رحلات في القارة الأوربية

إلى جنوب الشمال
بلاد السويد

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

Ⓒ محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

بلاد السويد.- الرياض .

٠٠٠ ص ، .. سم

ردمك ٣-٨٧٢-٤١-٩٩٦٠

١- السويد — وصف ورحلات ٢- المسلمون في السويد أ- العنوان

ديوي ٩١٤,٢٠٤٨٥ ٢٣/٣٥٥٥

رقم الإيداع : ٢٣/٣٥٥٥

ردمك : ٣-٨٧٢-٤١-٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات الكاريبية، طبع في مطبعة المسموعة في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٧١) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٤) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٥) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين.

(٧٧) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٧٨) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٧٩) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨٠) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.

(٨١) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٨٢) غايتي من السفر إلى هايتي.

(٨٣) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة في الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م..

(٨٤) إلى جنوب الشمال (بلاد السويد)، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٨٥) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٨٦) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٨٧) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٨٨) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٨٩) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٩٠) مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٩١) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٢) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٩٣) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٩٤) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٥) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٩٦) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٩٧) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٩٨) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٢) واجب المسلمين في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٣) "العالم الإسلامي: واقع وتوقعات" نشرته مجلة (العربية) التي تصدر

في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٠٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبع في مطابع الجاسر الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٥) ((حِكَمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٠٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبد العزيز في الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نعتمد ونتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن هذه ثانية رحلتين أذهب فيهما إلى الدول الإسكندنافية الأربع، وهي السويد والدانمارك والنرويج وفنلندا، والرحلة الأولى كانت قبل ١٦ عاماً، وذلك عندما كنت أنا وصديقي الأستاذ عبد العزيز المسند في مهمة في بريطانيا، فقررنا زيارة هذه الدول، فكانت زيارة سريعة عابرة، قصصت قصتها في كتاب: ((**ذكريات من أنحاء العالم**)).

وبعد تلك الرحلة طوحت بي الأسفار إلى أركان الأرض كلها قاصيها ودانيها، وإلى زوايا من ذلك القاصي من الأرض شملت فيما شملت القارات الست وأراضي وأنحاء خارجة عنها مثل مدغشقر وموريشوس ورينيون في البحر الزنجي المسمى بالمحيط الهندي الواقعة في شرق القارة الإفريقية، ومثل نيوزيلندا وجزر جنوب المحيط الهادئ، الواقعة شرق القارة الأسترالية. وجزر فيجي في منتصف المسافة تقريباً ما بين أمريكا وأستراليا، ومثل جزر البحر الكاريبي ما بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية.

ناهيك بمجاهل الصين، وأنحاء ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي التي شملت مورمانسك القطبية التي كانت لا تغيب عنها الشمس عندما زرتها في الصيف، وهي لا تطلع عليها في الشتاء، وإلى أنحاء من سيبريا وما كان عنها شرقاً من منغوليا الخارجية.

وأما الهند والبرازيل فإنني قتلتهما خبراً، وألفت في الرحلات إليهما كتباً تترى زادت على الخمسة عشر كتاباً، إن لم تكن قاربت العشرين.

وأما الدول الإسكندنافية فإنني لم أزرها بعد تلك الزيارة القصيرة القديمة، وذلك لكوني اعتبرتها مثل بقية أوربا الغربية وأمريكا الشمالية، بلاداً معروفة للجميع، مفتوحة لمن يريد الاطلاع عليها والوصول إليها.

سبب الرحلة:

ولكن حدثت أشياء تتعلق بأحوال المسلمين ومراكزهم فيها، ومن أهمها إشكال في وضع المركز الإسلامي في (مالمو) في السويد الذي أشرف على أن يباع ويشتريه من يحوله إلى ملهى، وذلك لكون الشركة التي بنته تطالب بإيفاء دين بقي لها على أهله، ولم يستطيعوا أداءه.

وكذلك الأمر أو هو قريب من ذلك بالنسبة إلى مركز إسلامي في الدانيمرك، وأما الأحوال الإسلامية في النرويج وفنلندا فإن معرفتها على الطبيعة، والتعرف على أوضاع الجمعيات الإسلامية وأوضاع المسلمين بصفة عامة هناك أمر يدخل في صميم عملي في رابطة العالم الإسلامي التي أشغل الآن وظيفة (الأمين العام المساعد) فيها.

لذلك عزمت على السفر إلى هناك، واصطحبت معي صديقي وزميلي الأستاذ محمد محمود حافظ، المدير العام للإعلانات والمشروعات في الرابطة، وهو مختص باتخاذ الإجراءات لتقديم الإعانات للمؤسسات الإسلامية في العالم من الرابطة، وتقديم ذلك إلى لجنة المساعدات فيها التي أنا رئيس اللجنة التحضيرية لها، ونائب في لجنة التنسيق التي هي اللجنة النهائية لها.

رأيت أن نبدأ بزيارة مدينة (أستكهولم) عاصمة السويد، ثم نسافر بالسيارة إلى عدة مدن في السويد للاطلاع على المراكز الإسلامية فيها، حتى نصل إلى مدينة (مالمو) في آخر السويد، ومن هناك نركب البحر إلى (كوبنهاجن) عاصمة الدانمارك، ثم نعود إلى (أستكهولم)، ومن ثم إلى مدينة (أوسلو) عاصمة النرويج، وبعدها إلى (هلسنكي) عاصمة فنلندا.

وسوف أقص عليك قصة المرحلة الأولى من هذه الرحلة، مع محاولة الاختصار لكون هذه البلاد كما قلت هي بلاد مفتوحة، وهي عصرية ليست فيها غرائب أو عَجائب إلاّ ما انطبع في ذهن السائح أنه كذلك، وما تعلق بأحوال المسلمين وجمعياتهم ومساجدهم فإنني أحاول أن أتبسط في الكلام عليه أو على الأقل ألا أختصر القول فيه.

وأسأل الله تعالى أن يكتب لنا من حسن الحظ في كتبنا الأخيرة ما كتبه لأوائلها أو أكثر من ذلك.

فهذا الكتاب الذي بدأت الآن بكتابته عن الرحلة الإسكندنافية قد سبقه تسعون كتاباً في الرحلات وبيان أحوال المسلمين، طبع منها حتى الآن ٦١ كتاباً، وباقيها مخطوط، أو معد للطبع، والله المستعان، وعليه التكلان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي


النروج
لوليا
فنلندا
أوميا
أوسترسند
سندسفل
يفله
أبسالة
فستراس
ستوكهولم
نورحوبنغ
لنكوبنغ
غتنبرغ
غتلند
بحر الشمال
أولند
بحر البلطيق
الدانمرك

بلاد السويد

السويد

السويد دولة صناعية غنية تقع في شمال غرب أوربا، وتبلغ مساحتها ٤٤٩,٩٦٤ كيلو متر مربع، وعاصمتها أستكهولم ويعد مستوى المعيشة فيها واحداً من أعلى المستويات المعيشية في العالم، وتطبق الحكومة السويدية أفضل أنظمة التأمينات الاجتماعية تأثيراً في العالم، فتقدم الحكومة التعليم المجاني والخدمات الصحية المجانية، وتدفع المعاشات لكبار السن والأرامل والأيتام، ويتحدث الشعب السويدي ومعه شعبا الدانمارك والنرويج لغات متشابهة، وعادة ما يستطيعون التفاهم بها، وللدول الإسكندنافية الثلاث روابط اقتصادية وثقافية وثيقة.

واسم السويد عند جيرانها (أسوج) بمعنى الجنوب، مثلما أن معنى النرويج الشمال، وأما اسم السويد بلغة السويديين أنفسهم فهو (اسفاريا).

عدد السكان:

يبلغ عدد سكان السويد ٨,٨٣٧,٤٩٦ نسمة حسب إحصائيات ٣١ ديسمبر ١٩٩٥م، ولم يتغير ذلك منذ سنوات، يعيش نحو ٨٤٪ منهم في المناطق الحضرية، وهي تقع وسط وجنوبي البلاد، كما يعيش نحو ثلث السكان في المدن السويدية الثلاث الكبرى: أستكهولم، مالمو، جونتبيرج، أو بالقرب منها، وهناك ٥٠ ألف مواطن من أصول فنلندية يعيشون في شمال السويد على طول الساحل الشرقي.

الاقتصاد:

السويد دولة متقدمة في الصناعة، وهي تعتمد على صادراتها، ونحو ٩٠٪ من الصناعة السويدية يملكها القطاع الخاص، وملكية الدولة

تقتصر على المناجم والمواصلات العامة والطاقة والاتصالات الهاتفية، وقد ساعدت الموارد الطبيعية الوافرة مثل الغابات الواسعة وخام الحديد على تحويل السويد من دولة زراعية فقيرة إلى مجتمع متقدم صناعياً، وقد تحقق التطور الاقتصادي السويدي نتيجة سياسات الحكومة السويدية الصناعية والضرائبية واستثماراتها في الأبحاث والتنمية، لتشجيع الابتكار التقني وغيره من الحقول.

التصنيع: ينتشر التصنيع في السويد، وتشمل منتجات الصناعة السويدية المهمة الآلات الزراعية والسيارات والطائرات والسفن، وتنتج صناعة الهندسة الكهربائية المعدات المستخدمة في إمدادات الطاقة والاتصالات والهواتف، وهي من صادرات السويد المهمة.

الزراعة: مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في السويد تقدر بنحو ١٠٪ فقط من مساحتها، ويقع الكثير من المناطق الزراعية في الجنوب، وحول البحيرات، وفي وسط السويد. وتعد مزارع منتجات الألبان، وتربية الحيوان المصادر الرئيسية لدخل المزارعين السويديين. ويشكل اللبن ولحم الأبقار، المنتجات الرئيسية لهم، وتضم المحاصيل الرئيسية الشعير والشوفان والبطاطس والبنجر السكري والقمح.

وتغطي الغابات أكثر من نصف مساحة السويد، وتبلغ صادرات البلاد من الأخشاب أو المصنوعات الخشبية نحو ٢٠٪ من صادراتها، وتقع مناطق الغابات في الأقسام الشمالية والوسطى.

نظام الحكم: السويد مملكة دستورية على رأسها ملك أو ملكة، ورئيس مجلس وزراء، ولديها برلمان، وكان للدولة دستور من عام ١٨٠٩ إلى عام ١٩٧٥م. وحسب دستور ١٩٧٥م فإن الملك صار بقاؤه رئيساً للدولة

شخصية رمزية أو تشريعية. أما السلطة التنفيذية فهي بيد رئيس الوزراء وأعضاء مجلس الوزراء الآخرين.

نبذة تاريخية: في الأزمنة القديمة: سكنت مجموعة من الناس القمة الجنوبية للسويد قبل ٨٠٠٠ ق.م، وبدءاً من عام ٥٠ ق.م، بدأت تلك المجموعات في التعامل التجاري مع الإمبراطورية الرومانية، وكان أول من كتب عن السويديين هم الرومان.

الفايكنج السويديون: ابتداءً من عام ٨٠٠ م أبحر مغامرون إسكندنافيون يدعون الفايكنج إلى العديد من أجزاء العالم، وقد حققوا ثروات من التجارة والغزو، ووصلوا إلى روسيا والبحر الأسود وبحر قزوين، وقد استمرت مغامرات الفايكنج حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

المملكة القديمة: بدأت النصرانية في السويد عام ٨٢٩ م، وكان أول ملك سويدي نصراني هو أولف سكوتنغ. وقد حكم من أواخر القرن العاشر إلى أوائل القرن الحادي عشر، ثم أصبحت السويد مملكة منفصلة وبدأت تطورها جزئياً على النظام الإقطاعي، وكانت هناك ثلاث طبقات اجتماعية: رجال الدين، والنبلاء، والفلاحون، ويرأسهم الملك الذي كان ينتخب بواسطة مجالس المحافظات التشريعية، وفي عام ١٢٤٩م، قامت السويد بغزو أجزاء كبيرة من فنلندا.

الاتحاد مع النرويج والدانمارك: في القرن الثالث عشر الميلادي توحدت السويد مع النرويج والدانمارك بقيادة الملكة مارجريت ملكة الدانمارك والنرويج، ووقعت بين تلك الدول معاهدة اسمها **اتحاد بالمر** وبقي الاتحاد أكثر من ١٠٠ عام.

وقد تطور اقتصاد السويد على أيدي التجار الألمان أثناء القرن الثالث

عشر وأوائل القرن الرابع عشر، وكان للتجار الألمان اتحاد قوي يدعى العصبة الهنزية.

وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تطور الراكسداج (البرلمان) إلى جهاز يقوم بوضع القوانين وفرض الضرائب، واستمر الاتحاد بين النرويج والسويد طوال القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً، إلا أن الصراع قد حدث بين مؤيدي الاتحاد ومعارضيه، مما نتج عنه انفصال النبيل السويدي جستافس نهائياً عن الاتحاد في عام ١٥٢٣ م بعد هزيمته للدانمركيين، وقد أصبح جستافس الملك الأول للسويد الحرة في ذلك العام، وبقيت النرويج تحت الحكم الدانمركي.

عصر التوسع: في أواخر القرن السادس عشر الميلادي دخل السويديون في سلسلة من المعارك للسيطرة على الأراضي التي تحيط بأرض البلطيق، وحقق الملك جستافس أدولفس (الذي يعرف باسم جستافس أدولفس) العديد من الانتصارات، وحصلت السويد على ممتلكات جديدة في أوربا.

حكم تشارلز الثاني عشر من عام ١٦٩٧م إلى عام ١٧١٨ م، وقد حقق العديد من الانتصارات أثناء النصف الأول من حكمه، وفي عام ١٧٠٩ م هزم القيصر بطرس الأكبر الروسي السويديين في معركة بولتافا، وفي أعقاب ذلك أرغمت السويد على التخلي عن أغلب ممتلكاتها في أوربا.

عصر الحرية: مات تشارلز الثاني عشر ١٧١٨ م، وأعلن عن دستور جديد نقلت بموجبه العديد من سلطات الملك إلى الراكسداج (البرلمان)، وتسمى فترة الحكومة البرلمانية التي تلت ذلك عصر الحرية، وقد استمرت حتى ١٧٧٢ م؛ حيث ظهرت ثورة سلمية قامت بإعادة تثبيت سلطة الملك.

الحرب النابليونية: بسبب تجارة السويد المتنامية مع بريطانيا دخلت حرباً ضد الإمبراطور نابليون في أوائل القرن التاسع عشر، وخسرت السويد خلالها فنلندا لصالح روسيا، إلا أنها كسبت النرويج من الدانمارك، وقد أقرت السويد في عام ١٨٠٩ م دستوراً جديداً، وفي عام ١٨١٨ م تم انتخاب جان باتست برنادوت ملكاً على السويد باسم تشارلز الرابع عشر، وهو مارشال في الجيش الفرنسي، كان قد أصبح الريجينت (أي الحاكم الفعلي) للسويد أثناء الحروب النابليونية، والأسرة السويدية الملكية الحالية هي من سلالته.

النمو الصناعي: حدثت تغييرات اقتصادية واجتماعية كبيرة خلال القرن التاسع عشر، وازداد عدد السكان، ولم تكن هناك وظائف كافية، مما أدى إلى هجرة نحو ٤٥٠ ألف سويدي بين عام ١٨٦٧ وعام ١٨٨٦ م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الهجرة قلت بعد أن طورت السويد التصنيع والتعدين وشبكات السكك الحديدية في الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر، ومع اختراع الكيميائي السويدي ألفريد نوبل في عام ١٨٦٧ م الديناميت، ازدهرت المناجم، وتطورت الصناعات التي تقوم على الحديد والفولاذ، وبحلول عام ١٩٠٠ م صارت السويد دولة صناعية مهمة.

في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كون العمال نقابات تدافع عن حقوقهم، وقد قامت اضطرابات كثيرة بسبب مطالبة العمال بتحسين أوضاعهم والمطالبة في المشاركة في الاقتراع، وهو امتياز كان يمنح من قبل لمن يصل دخله السنوي لمستوى معين فقط.

وتأسس الحزب الديمقراطي الاشتراكي في عام ١٨٨٩ م اعتماداً على قوة حركة نقابات العمال السويدية.

واستجابت الحكومة السويدية لمطالب العمال، وأجازت سلسلة من القوانين لمصالحهم، ومنها حق الاقتراع والتمثيل النسبي في البرلمان.

وفي عام ١٩٠٥ م انفصلت النرويج عن السويد، وكانت السويد محايدة أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م).

التطورات الحديثة: منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإلى الستينيات من القرن العشرين شهدت السويد نمواً سريعاً في اقتصادها، واستمر الاقتصاد في النمو والتنوع، وارتفع مستوى المعيشة، ووضع دستور للسويد في عام ١٩٧٥ م قلل بصورة كبيرة من سلطات الملك، ووضع السلطة في يد البرلمان ومجلس الوزراء.

سيطر الحزب الديمقراطي الاشتراكي على حكومة السويد من عام ١٩٣٢ م إلى ١٩٧٦ م، ومن عام ١٩٧٦ م إلى ١٩٨٢ م حكمت البلاد ائتلافات عدة غير اشتراكية، وعاد الديمقراطيون الاشتراكيون إلى السلطة بعد انتخابات عام ١٩٨٢ م.

عاشت السويد مأساة عام ١٩٨٦ م حيث تم إطلاق النار على أولف بالم رئيس وزراء السويد من قبل قاتل مأجور مما أدى إلى وفاته، وخلفه إنجار كارلسون رئيساً للوزراء، وقد دخل حزب جديد البرلمان وهو حزب الخضر بعد انتخابات سبتمبر ١٩٨٨ م.

ولا تزال السويد واحدة من أغنى دول العالم، إلا أنها مرت بمشكلات اقتصادية في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن العشرين، وارتفع النمو قليلاً إلى أن التضخم ارتفع بصورة كبيرة.

نظام التأمين الاجتماعي في السويد

تأسس نظام التأمين الاجتماعي في السويد في أواخر عشر الثلاثين من القرن العشرين بهدف توفير الأمان الحقيقي للشعب ضد الظروف القاسية في حالة المرض أو البطالة أو الحوادث غير المتوقعة وكبر السن. كان ينظر دائماً إلى المساواة الشمولية في نظام الضمان الاجتماعي بأنها عامل مهم في تقليل الفوارق الاجتماعية، لذلك شمل برنامج النظام الاجتماعي كل فئات الشعب بدخل مختلف، بدلاً من أن يكون لذوي الظروف الصعبة فقط من الشعب.

واليوم يضم نظام الضمان الاجتماعي التأمين الطبي والسني أي الأسنان - والأبوي - إما معاش جزئي أو أساسي أو إضافي، ويقع كل ذلك تحت قانون التأمين الوطني، كما أن هناك تأميناً ضد حوادث العمل، وهذا التأمين واجب، وهناك أيضاً تأمين اختياري ضد البطالة.

تدير التأمين الوطني المكاتب الإقليمية للتأمينات الاجتماعية، وهي ٢٦ مكتباً في مناطق مختلفة من البلاد. لكل منها مكاتب فرعية، وتنظم أعمال ونشاطات هذه المكاتب وكالة حكومية - مجلس التأمينات الاجتماعية الوطنية - إذا كان هناك أي اعتراض على قرارات المكتب الإقليمي يمكن رفع الشكوى إلى محكمة المقاطعة الإدارية، ويمكن رفعها إلى محكمة الاستئناف الإداري بعد ذلك، ثم من هناك إلى المحكمة العليا للتأمينات الاجتماعية، وهي أعلى سلطة في هذه الأمور.

وكل ما يتعلق بأصحاب التأمينات المقيمين في السويد مسجل أتوماتيكياً لدى أحد المكاتب الإقليمية للتأمينات الاجتماعية، وذلك بمجرد ما يصل الشخص إلى سن ١٦.

يمكن أيضاً أن يتمتع الأجانب بالتأمين الاجتماعي الوطني إذا كان بلدهم قد وقع على اتفاقية مع السويد في هذا الموضوع، وبناء على ذلك يكون هؤلاء الأجانب على قدم المساواة مع المواطنين السويديين، وتوجد الاتفاقية المذكورة بين السويد وعدد كبير من الدول.

ويلزم كل المترجمين والمستخدمين في مكاتب خدمة المهاجرين بواجب كتمان السر.

وتعمل مكاتب خدمة المهاجرين أيضاً على نشر المعلومات عن المهاجرين إلى مستخدمي الجهات الرسمية وإلى الجهات العامة. عند انتقال مجموعة من المهاجرين إلى البلدية يناط بمكتب خدمة المهاجرين مهمة على جانب من الأهمية، ألا وهي نشر المعلومات عن هذه المجموعة وعن تراثها الثقافي، وعن الصعوبات المحتملة التي قد تصادف هذه المجموعة بالذات في السويد. وبهذه الطريقة تبذل الجهود أيضاً لإعطاء المواطنين السويديين معلومات أكثر عن المهاجرين.

مجلة الأخبار للمهاجرين Invandrartidningen

ثمة مجلة أيضاً تصدر بمخصصات حكومية، ألا وهي مجلة الأخبار للمهاجرين. تحتوي المجلة على معلومات عن المجتمع، ومواد إخبارية عن السويد. تصدر هذه المجلة مرة في الأسبوع باللغة الإنكليزية والفنلندية، والصربو-كرواتية، والإسبانية، واليونانية، والبولندية. تحتوي هذه المجلة الأسبوعية على مقتطفات إخبارية من بلاد المهاجرين. وفضلاً عن ذلك تصدر المجلة أسبوعياً باللغة السويدية المبسطة حتى يكون بإمكان من قد بدأ لتوه بتعلم اللغة السويدية مطالعتها. وتصدر مجلة الأخبار للمهاجرين شهرياً في اللغات التالية: العربية، الفرنسية، الإيطالية، التركية والألمانية.

التشريع القانوني ضد التمييز Lagstiftning mot diskriminering

نعني بالتمييز العنصري وفقاً للقانون السويدي معاملة شخص أو مجموعة من الناس بطريقة أسوأ من معاملة الآخرين، أو بطريقة تعسفية أو مهينة بسبب العنصر، أو اللون، أو الأصل أو العقيدة. لقد أصدر البرلمان السويدي قوانين مختلفة لمكافحة مثل هذا التمييز.

ينص الدستور السويدي على أنه لا يجوز لأي قانون أو تعليم آخر أن يتضمن عدم العدالة في معاملة مواطن سويدي بسبب انتمائه إلى أقلية بالنظر إلى عنصره، أو لونه أو أصله العرقي. هذا وينص الدستور السويدي أيضاً على وجوب تأمين نفس الحماية للمواطنين الأجانب. ولكن ينبغي أن نذكر هنا بأن المواطنين الأجانب لا يتمتعون دائماً بنفس الحقوق.

لا يحظر الدستور السويدي مثلاً تسجيل أراء المواطنين الأجانب، كما يجوز طرد المواطن الأجنبي من السويد استناداً إلى قانون الأجانب، ابتداءً من الأول من تموز/يوليو ١٩٨٦، يوجد وكيل جمهور ضد التمييز العنصري DO ومهمته المكافحة ضد التمييز في حياة العمل وفي المجتمع عامة. وفي نفس الوقت فلقد بدئ العمل بواجب أصحاب العمل الحضور إلى وكيل الجمهور ضد هذا التمييز العنصري للنظر في الموضوع، ولتقديم البيانات التي قد يحتاج إليها وكيل الجمهور ضد التمييز فيما يتعلق مثلاً بأمور التوظيف والفصل من العمل.

لا يجوز لكل من يقوم بتقديم الخدمات العامة ممارسة التمييز. يتعلق ذلك مثلاً بموظفي الخدمات السكنية، موظفي الاستخدام وغيرهم من موظفي الحكومة والبلدية، موظفي المحلات التجارية وغيرهم. لا يجوز على سبيل المثال لصاحب مطعم رفض السماح بدخول السود إلى مطعمه. لا يجوز لصاحب البيت رفض تأجير مواطنين مهاجرين لعدم رغبته مثلاً في

تأجير الشقق لعدد أكبر من أفراد مجموعة قومية معينة. إن من يرتكب مثل هذا الجرم قد يحكم عليه بدفع غرامة أو بالسجن بجرم التمييز غير المشروع.

أما الشخص الذي يتعرض إلى التمييز فمن حقه المطالبة بالتعويض عن الضرر. إن من يرى أنه قد أسيئت معاملته من قبل إحدى السلطات يجب عليه أن يرفع شكوى في ذلك في المقام الأول لدى السلطة نفسها. هذا وبإمكانه طلب النظر في القضية من قبل وكيل الجمهور في الشؤون القانونية.

إن التحريض ضد مجموعة/مجموعات قومية هو أيضاً جريمة تمييز عنصري أخرى. يحظر التهديد أو التعبير علناً عن عدم احترام مجموعة قومية معينة، ولا حتى مجموعة المهاجرين ككل، بغض النظر عما إذا كان ذلك شفهياً أو خطياً. يعاقب على مثل هذا الجرم بالغرامة أو بالسجن.

ينبغي على كل من يتعرض للتمييز غير المشروع أو يلاحظ التحريض ضد مجموعة قومية التبليغ عن ذلك. ويمكن التبليغ عن ذلك في مركز الشرطة حيث يمكن التحدث عن ما حدث. ولكن يمكن أيضاً كتابة ما حدث وإرسال الكتاب إلى أقرب مركز شرطة، وتلزم الشرطة عندها بإجراء تحقيق في القضية، وقد يؤدي ذلك إلى رفع دعوى فيها.

إذا رأيت أنك قد تعرضت إلى التمييز من قبل صاحب عملك فيجب عليك الرجوع إلى صاحب العمل إذا كنت تعمل في القطاع الرسمي. وأما عندما يتعلق الأمر بالقطاع الخاص فيمكنك الرجوع إلى وكيل الجمهور ضد التمييز. هذا ويمكنك الرجوع أيضاً إلى نقابتك.

حتى يتمكن وكيل الجمهور ضد التمييز من التدخل في حالة ما

تشترط الإشارة إلى حالات تمييز معينة.

المسلمون في السويد:

هاجرت أول جالية إسلامية إلى السويد بعد الحرب العالمية الثانية من فنلندا، وهم من أصول تتارية، وأسسوا أول جمعية إسلامية في مدينة أستكهولم، وفي الستينات هاجرت أعداد كبيرة من الأيدي العاملة من تركيا ويوغسلافيا وشمال إفريقيا وفلسطين، وشكلوا جميعاً الأقلية المسلمة في السويد، وأقاموا الأندية والجمعيات الوطنية والجمعيات الدينية، وبلغ عددهم في الستينات خمسة عشر ألفاً، أغلبهم من اليوغسلاف والأتراك.

وفي السبعينات تحولت الهجرة من هجرة أيدي عاملة إلى هجرة سياسية إنسانية بسبب الحروب الأهلية والكوارث الطبيعية، وقدمت موجات من أوغندا وفلسطين ولبنان وسورية وكردستان وبنغلادش، واستقرت هذه المجموعات في المدن الكبيرة وخاصة في العاصمة وشكلوا جمعيات دينية لهم.

والمسلمون في السويد متفاوتون في الوعي والمستوى الثقافي ودرجات التزامهم بالإسلام، نظراً لاختلاف البيئات والعادات والتقاليد لديهم قبل قدومهم، لكن الإسلام هو القاسم المشترك الذي يجمع بين المسلمين الملتزمين، وهو بشكل عام في ازدياد مستمر، ويقيمون شعائر دينهم بحرية، وظروفهم المعيشية جيدة مقارنة بإخوانهم في البلدان الأوربية الأخرى. ورغم كثرتهم فإنهم يحتاجون إلى المؤسسات الثقافية والإعلامية والمراكز الإسلامية المتكاملة التي تحفظهم من الذوبان في المجتمع السويدي.

ويقدر عدد المسلمين في السويد الآن بنحو ٤٥٠٠٠٠ مسلم ومسلمة، وهم من ٨٠ جنسية، أغلبهم قدموا من فلسطين ولبنان وتركيا وألبانيا والبوسنة والصومال وإيران، ويسكن أغلب المسلين في المدن السويدية الكبرى، وأكبر عدد منهم في مدينة مالمو حيث يشكلون ١٥٪ من عدد سكان مدينة مالمو، ثم أستكهولم وقوتنبرق وأبسالا. ويعد الإسلام أكبر دين بعد الدين المسيحي.

والعمل الإسلامي في السويد مهيأ للنمو والانتشار، نظراً لأن السويد من الدول القلائل التي لا توجد فيها الجرائم والاعتداءات على المسلمين، وتقدم الدولة الحياة الكريمة لكل فرد من المهاجرين على قدم المساواة مع المواطنين دون تفرقة عبر الضمان الاجتماعي، مما يساعد على نشر الدعوة بحرية وبدون خوف، ما دام المسلمون يحافظون على القوانين العامة، ويحتاج المسلمون في السويد إلى المدارس الإسلامية والدعاة والمراكز الإسلامية المتكاملة، لتبصيرهم بأمور دينهم وحمايتهم من الذوبان في المجتمع السويدي.

والمهاجرون المسلمون ينقسمون إلى قسمين: عمال وفدوا من إفريقيا الشمالية أو من تركيا أو من يوغسلافيا، أو لاجئين وفدوا من فلسطين وإيران والعراق والصومال وإثيوبيا وألبانيا ومناطق أخرى من الشرق العربي.

وفي السويد يدخل الإسلام شهرياً نحو خمسة أشخاص من السويديين الأصلاء، ويبلغ عدد السويديين المعتنقين للإسلام نحو ٢٠٠٠٠ نسمة، وعدد منهم يتبوؤون مناصب مرموقة في الجامعات والمؤسسات الحكومية السويدية، ويقومون بدور مهم في التعريف بالإسلام وترجمة الكتب والحديث في وسائل الإعلام السويدية، والمشاركة في الحوارات والمناقشات التي تدور حول الإسلام.

وقد أصبح الإسلام في السنوات الأخيرة يثير اهتمام وتعليقات السكان الأصليين، وأصبحوا يكتبون للصحف للاستفهام عن الإسلام والمسلمين. وهناك إذاعة قصيرة في أستكهولم تدعى الإذاعة الإسلامية. تحاول أن تعبر عن مشاعر المسلمين وهمومهم.

وفي الواقع أن بعض السويديين البارزين قد اعتنقوا الإسلام في الماضي، من بينهم غوستاف نورينغ (١٨٦١م-١٩٣٧م)، الذي اعتنق الإسلام عام ١٨٨٤، واتخذ اسم علي نوري، والفنان إيفان أغولي (١٨٦٩م-١٩١٧م) الذي اعتنق الإسلام وغير اسمه فأصبح عبد الهادي المغربي.

ومنذ القرن التاسع عشر أسهم الباحثون السويديون في دراسة التراث العربي الإسلامي. من بينهم ماتياس نوربيرغ (١٧٤٧م-١٨٢٦م) الأستاذ في جامعة (لوند) الذي أشرف على عدة أطروحات عن الإسلام والعقيدة الإسلامية. وكذلك الباحث تور أندري (١٨٨٥م-١٩٧٤م) الذي كتب بحوثاً عديدة عن التراث العربي الإسلامي.

وبفضل اهتمام العلماء السويديين منذ زمن طويل باللغات السامية والتراث الإسلامي، ظهرت ترجمات لمعاني القرآن الكريم. وقد كانت أول ترجمة كاملة قد قام بها شخص يشتغل في القنصلية السويدية في المغرب. وصدرت عام ١٨٤٣م.

أما الترجمة الأكثر أهمية فقد قام بها المستشرق السويدي كارل فيهيلم زييتر ستين وصدرت عام ١٩١٧م، ويعتبرها الباحثون ترجمة ممتازة، وقد أعيدت طباعتها عام ١٩٧٩م.

الجمعيات والمساجد والمراكز والمدارس الإسلامية:

توجد في السويد أنواع من الجمعيات والمساجد والمراكز الإسلامية

تتلقى إعانات حكومية طبقاً للقانون السويدي، وهي:

١- المراكز والمساجد التي بنيت من الأساس حسب العمارة الإسلامية لتكون مساجد، مثل مسجد مالمو الكبير، ومسجد أبسالا، ومسجد ترولهتن، أو التي ستبنى مثل مشروع مسجد لوند واوربرو.

٢- الجمعيات والمراكز المستأجرة، وهي الأكثر انتشاراً، ويبلغ عددها نحو مائة مركز تستخدم للدروس وإقامة الصلوات ونشاط للشباب والنساء.

وتتجمع الجمعيات والمراكز الإسلامية في السويد في خمسة اتحادات إسلامية كبرى، هي:

١- اتحاد الجمعيات الإسلامية بالسويد، وأغلب أعضائه من الجالية العربية.

٢- اتحاد مسلمي السويد، وأغلب أعضائه من الجالية البوسنية.

٣- اتحاد المراكز الإسلامية، وأغلب أعضائه من تركيا.

٤- الاتحاد الإسلامي السويدي، أغلب أعضائه من الجالية الصومالية.

وقد سعت هذه الجهات والاتحادات للاتحاد فيما بينها وتشكيل مجلس مشترك يقوم بتوزيع المساعدات الحكومية على الجهات الإسلامية في السويد، إلا أن المحاولات فشلت لتوحيد تلك الاتحادات وأدت إلى تشكيل مجلسين في توجهات حزبية هما: «المجلس الإسلامي السويدي» و«مجلس مسلمي السويد»، وبقي الاتحاد الإسلامي السويدي خارج المجلسين.

وتوجد في السويد ٥ مدارس رسمية في المرحلة الابتدائية في كل من أستكهولم ومالمو وجونتبيرج، وهي مدارس معترف بها، وميزانيتها من الدولة، ويطبق فيها المنهج السويدي والتربية الإسلامية، أما المدارس غير الرسمية فتوجد في بعض الأماكن، وتتلقى شيئاً من الدعم المحدود من بعض البلديات، ولكنها لا تتجاوز تعليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام.

ويقول المسلمون من أهل مالمو: إن أول من وصل إليها من المسلمين هم تتار قدماء، لم يكن لهم مسجد ولا جمعية إسلامية، ثم جاء عمال مسلمون من يوغسلافيا والمغرب، تبعهم أناس من الألبان والأتراك، ولم يكن لهم نشاط ديني أيضاً.

وفي عشر الستين من القرن العشرين كان عدد المسلمين في مالمو يتراوح بين ١٥ ألفاً وعشرين ألف نسمة.

أما في عشر الثمانين من القرن نفسه فإن طلب اللجوء السياسي من المسلمين قد ازداد، فكثر المسلمون في السويد. وازداد نشاطهم الديني، فشمل إنشاء المدارس وبناء المساجد على ما ذكرناه. ومازال العدد في ازدياد من عدة جهات، منها جهة اللجوء، ومنها الزواج من سويديات، ومنها إسلام بعض السويديين ومنها الزيادة الطبيعية في الولادات، لأن المسلمين أكثر مواليد من غيرهم كما هو معروف في غير هذه البلاد أيضاً.

حكومة السويد تساعد المسلمين:

ليس المراد بذلك أنها تساعد المسلمين السويديين مثلما تساعد غيرهم من أرباب الديانات الأخرى، فذلك أمر معروف فيها، وفي أكثر الأقطار الأوربية الشمالية، حيث لا تفرق الحكومات، وبخاصة حكومات إسكندنافيا بين الناس على أساس اللون أو العرق أو الديانة، وليس المراد

بذلك أيضاً أنها تساعد المسلمين بأن تدفع مساعدات مالية لجمعياتهم الإسعافية الخيرية لكي تقوم بعملها، كما تفعل بغيرها، فذلك -أيضاً- أمر معروف عنها.

وإنما المراد الذي لا يكاد يصدقه المرء أكثر أنها تساعد الجمعيات الإسلامية في السويد على قيامها بالدعوة إلى الدين الإسلامي، حتى إذا عرفت أن جمعية إسلامية قد فترت همم أصحابها عن العمل في الدعوة الإسلامية، وأنها تركت ذلك لسبب من الأسباب قطعت عنها المساعدة المالية، وصرفتها إلى غيرها من الجمعيات الإسلامية العاملة، أو احتفظت بها لمن يعملون عملاً إسلامياً أكثر.

وهذا أمر عجيب، بل إنه غير مفهوم لكثير من أبناء المسلمين في الخارج، وهو عجيب حقاً من وجوده في السويد، البلد المسيحي العريق في مسيحيته، بالنظر إلى أكثرية سكانه واشتهاره حتى بوجود جمعيات تنصيرية منه في إفريقية وغيرها.

ولكن من يتأمل ما جاء في الحديث: (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) لم ينظر إلى أن ذلك غريب، فضلاً عن أن يكون مستحيلاً.

أما إذا نظرنا في سبب مساعدة الحكومة السويدية للجمعيات الإسلامية على نشر الإسلام في السويد. فإن الأمر قد يبدو لديه طبيعياً أو ما يقرب من أن يكون كذلك.

ذلك بأنها لا تقصر مساعداتها المالية على الجمعيات الإسلامية، وإنما تفعل ذلك مع الجمعيات الدينية التي تعمل على نشر دين تعترف به الحكومة، وعلى رأسها من حيث الكثرة واتساع العمل الجمعيات الدينية

المسيحية.

وسبب ذلك أن الحكومة السويدية قد ألفت لجاناً للبحث فيما يوفر السعادة لأبناء الشعب السويدي، فكان مما رأته تلك اللجان أن الدين يسبب سعادة الإنسان، لأنه يجعله يشعر بالرضاء والطمأنينة في الحياة، مما لا يوفره له المال والشهوات البدنية، فقررت فرض دخل معين على بعض الخدمات، وأن تصرف ريع ذلك للجمعيات الدينية التي تعمل في السويد على نشر الدين الذي تعترف به الحكومة، فكان أن بدأت بصرف المساعدات المالية للجمعيات الدينية المسيحية ثم اليهودية، ثم الجمعيات الإسلامية، بمعنى أنها كانت تعترف بالدين المسيحي بمذاهبه من اللوثرية والكاثولكية ثم اليهودية، حيث تقدم اليهود إليها طالبين ذلك. ثم تقدمت الجمعيات الإسلامية طالبة من الحكومة السويدية أن تعترف بها، وأن تصرف لها المساعدات التي تصرف للجمعيات الدينية، فبحثت الطلب، ووافقت عليه.

ومعنى ذلك - ضمنياً - أن الحكومة السويدية تقر وتعترف رسمياً بأن اعتناق الدين الإسلامي، والالتزام به مما يجلب السعادة للإنسان، وهي لذلك تساعد على نشره، أو على أن يلتزم معتنقوه به.

وسوف يأتي تفصيل ذلك في اليوميات، إلا أننا نذكر أنها قد قررت أن تعطي المسلمين ٤٠ مليون كرونة في هذا العام مساعدة على نشر الإسلام في السويد، وقد نفذت ذلك بالفعل.

الذين لا ينظرون إلا إلى السيئ:

كثير من بني قومنا، وبخاصة من المتدينين الذين يزورون السويد، أو يستمعون بالتفصيل لمن زارها طويلاً أو عاش فيها لفترة، يجعلون ديدنهم

هجو السويديين، وتكرار نعتهم بالانحلال والفسوق، وكون نسائهم أكثر نساء الأرض إقداماً على الفجور، ولذلك يستعيذون بالله من حالتهم، ويرمونهم بفظائع الأمور حتى يكادوا ينزعون عنهم صفة الإنسانية، ويدخلونهم في الحيوانية المتوحشة، إذْ يتجاهلون الخطوات الإنسانية التي اتخذها السويديون في الميادين الاجتماعية وغيرها.

وهذا مخالف لما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ... ﴾ ومن المعلوم أن معنى (يجرمنكم): يمنعكم، والشنآن: البغض، فمعنى الآية الكريمة النهي عن أن يمنع المسلم بغضه لغيره من أن يعدل فيه، ومن العدل: العدل بالقول، كأن يذكر ما له من محاسن - إن كانت له محاسن - إلى جانب ما يذكر فيه من سيئات.

ثم إن فعل أولئك الإخوة الغيورين على المحارم في ذكرهم ما لدى السويديين من الخلاعة والمجون بل الانحلال دون غيره ما قد يصل بهم إلى التدليس على أبناء المسلمين الذين يجب أن يوضحوا -عندما يقتضي الأمر- ما عليه السويديون، أو ما لديهم من أشياء رديئة وأشياء جيدة.

وفعلهم ذلك قد يجعل الشاب المسلم ممن لا يعرفون الأمر على حقيقته، وإنما يسمع ذلك سماعاً من أولئك الغيورين، يظن بل ربما يرسخ في ذهنه، أن العدل والضمان الاجتماعي والأمور الإنسانية الجيدة التي عند السويديين إنما مرجعه إلى كونهم فسقة منحلين، وإنه لا بد لبلوغ تلك المرتبة من العدل والضمان الاجتماعي من أن يكون الشعب الذي يريد أن يصل إلى ما وصلوا إليه مثلهم بأن يعمل مثل عملهم، مع أن ذلك غير صحيح، بل ربما كانوا هم أنفسهم متذمرين من الانحلال الاجتماعي ومن الفسوق المستشري في بلادهم.

وليس أدل على ذلك للمسلم من أن الله تعالى قرن النهي عن الفواحش بأمره بالعدل والإحسان الذي يشمل الإحسان إلى الإنسان والحيوان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

وكون السويديين وأمثالهم لم يجتنبوا الفواحش فيما يتعلق بالزنى ونحوه، لا يعني أنه ليس عندهم شيء من العدل لكونهم كفاراً، وقد ورد في الأثر: (ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنو شروان).

فأثبت صفة العدل له مع أنه مجوسي أغلظ كفراً من السويديين وأمثالهم.

الكثير من أحوال المسامين في اليوميات:

هذا مجمل مختصر عن (المسلمين) في السويد، ستأتي زيادة له بل زيادات في ثنايا اليوميات، استقاء من المشاهدات، وليس هذا بغريب، لأن هدف الرحلة من أساسها هو هدف إسلامي، بمعنى أن المقصود هو الالتقاء بالإخوة المسلمين في السويد، ومعرفة أحوالهم الحاضرة، وما زاد عن ذلك فإنه - على كثرته - نَفْلٌ من النَّفْل.

أحفاد الفايكنج:

عندما يذكر السويد، وهم أكثر شعوب إسكندنافيا بروزاً، لا بد أن يتطرق الذهن إلى جماعات (الفايكنج) التي كانت تسكن تلك المنطقة، وكان لهم احتكاك بالمسلمين في القديم، ولكن لكون كتابنا كتاب رحلة ومشاهدات لم أشأ أن أرهقه بنقول كثيرة عن الفايكنج، فاكتفيت بنبذة قصيرة نقلها أحد الإخوة المسلمين من محاضرة لباحثة

سويدية معاصرة اسمها (كريستين لندبلاد) Kirsten lindblad

الفايكنج والصرب:

كان في شمال أوروبا شعب بدائي يسمى بشعب الفايكنج، وكان هذا الشعب بدائياً جداً ومتخلفاً، بمقارنته مع بعض الشعوب، ولكن كان قوي التأثير، وتعلم هذا الشعب من بعض الشعوب المتحضرة خلال رحلاتهم عبر البحار والأنهار.

إن الفايكنج تواجدوا في شمال أوربا في القرن الثامن ميلادي، أما عن نقطة الانطلاق فكانت دائماً من معاقلهم في السويد والنرويج، وهنا يقع مركزهم الأساسي.

أما الدول التي وصلوا إليها عبر البحار والنهور فهي: الدانمارك، روسيا، انجلترا، جزيرة جرين لاند في المحيط الشمالي، أسلاند، أمريكا، كندا، فرنسا، إيرلندا، القسطنطينية ويقال في بغداد أيضاً.

عاش الفايكنج حياة صعبة جداً شبيهة بالبدائية في أرض تكثر فيها الثلوج في كل أيام الشتاء، وكان معدل حياة الفرد ٣٥-٤٠ سنة.

كان الفايكنج أعظم من صنع السفن الشراعية الخفيفة في ذلك القرن، ويرجع السبب إلى قوة هذا الشعب البدائي، فكانت السفن تمتاز بالخفة والتوازن أثناء هيجان البحر.

فكانوا يصنعون السفن من شجر الصنوبر لكثرة وجوده في إسكندنافية.

ويقال إن الفايكنج اكتشفوا أمريكا قبل كولومبس بخمسمائة عام.

إن الجيولوجيين وجدوا آثاراً للفايكنج في أنحاء كثيرة من كندا، كان الفايكنج قراصنة ولصوصاً، وكانوا يسرقون الفضة والذهب، وكانوا يقايضون بعض الدول الأوروبية، إما الحرب أو يدفعون الجزية، أو يأخذون ويسرقون بالقوة، وكانوا يقايضون الذهب والفضة بالعبيد أو الرقيق، وكذلك البهارات والملابس والجلود.

وكان الفايكنج على علاقة قوية وطويلة مع الخليفة هارون الرشيد، وملك فرنسا كارل العظيم. وكان هارون الرشيد خليفة المسلمين، على عداوة شديدة وقوية مع ملك فرنسا لاختلاف الديانة، وأثار الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين. وكان الفايكنج مثل همزة الوصل بين فرنسا والعرب للتبادل التجاري بطريقة غير مباشرة، مثل الحرس المستأجر الفاصل بين الأعداء، مثل حرس الأمم الممتدة في وقتنا الحالي.

فكان الفايكنج يقومون بنقل التجارة بين المسلمين والصليبيين في فرنسا مثل همزة الوصل، لوجود العداوة الشديدة بين الشعوب الصليبية والشعوب الإسلامية.

وكان الفايكنج مثل الحرس المستأجر لفصل القتال، وواسطة بين البيزنطيين والقسطنطينية. وكان الفايكنج في الغالب يميلون إلى هارون الرشيد حبًّاً في كرمه لضيافتهم، وكانوا سفراءه في وقت من الأوقات لبيزنطة.

وكان لهارون الرشيد الفضل الكبير في تعلم الفايكنج النظافة وأنواع الطعام، وبعض الحرف اليدوية مثل النسيج وصقل الحديد وسك العملات.

والفايكنج من الشعوب التي كانت تتاجر بالرقيق، وكذلك

تستعملهم لخدمتهم، مثل التجديف، وكان الرقيق لديهم بكثرة إما عن طريق شرائهم أو خطفهم أثناء الغزوات.

وقد تفرق الفايكنج بعد دخول ديانات مسيحية لدول الشمال، بعد أن أصبحت السويد جزءاً من أوروبا.

يوجد في الوقت الحاضر ما يدل على صحة هذا القول من عملات ونقود يقدر زمنها العصر العباسي، وكذلك معادن ثمينة وحلي، وجميع هذه الأشياء موجودة في متاحف السويد الوطنية. انتهى.

يوم السبت ٧/ ٤/١٤١٣هـ - ٣/١٠/١٩٩٢م.

من الرياض إلى أستكهولم:

قمنا مع الطائرة السعودية من طراز (ترايستار) الكبيرة من الرياض في الساعة الحادية عشرة ضحى قاصدة مطار شارل ديغول في باريس، مع المرور بمطار روما، ومن مطار شارل ديغول نغير الطائرة فنركب إلى أستكهولم، وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران من الرياض إلى روما سيستغرق أربع ساعات ونصفاً.

وكان الطيران ممتعاً لأنه في النهار، بخلاف أكثر الرحلات التي سافرتها مع هذا الخط، فقد كانت لعدة سنوات تبدأ بعد منتصف الليل، ولم يكن في الطائرة إلا أقل قليلاً من نصف ركابها، وبقية مقاعدها خالية، وذلك لكون الوقت ليس وقت إجازة للسعوديين، ولذلك كانت أكثرية الركاب من الأجانب، ليس فيهم إلا قلة من السعوديين، وقدمت المضيفات العربيات طعام الغداء سخياً جداً نظيفاً، وهن من المغرب العربي.

وقد قضيت أكثر الوقت في مطالعة كتيب صغير باللغة الإنكليزية عن (السويد).

تغيير الملابس:

وكدت أجعل العنوان: «تغيير الزي»، والأمر قد يكون أمر اصطلاح، وإن كان الزي أخص من اللباس، وكان من عادتي أن ألبس اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي في المطارات الدولية، وذلك من أجل دواعي الأمن، ومن أجل أن الثياب العربية لا تدفئ في البلدان الباردة، وهي أيضاً يضر بها اللبس أثناء اللبث الطويل الذي قد يكون معه نوم أو

استرخاء، إن لم يكن تمدد.

وعادتي أن أغير ملابسي في مثل هذه الرحلة إلى أوربا في الطائرة، وقد أردت أن ألبس الثياب الإفرنجية في البيت قبل الخروج إلى المطار، إلا أن أم ناصر (زوجتي) منعتني من ذلك قائلة: قد يراك في المطار أحد ممن يحسن ألا يروك إلاَّ في الثياب العربية.

وذكرت في نفسي تمسك بعض إخواننا العرب؛ سواء من بلادنا أو من جيراننا بالملابس العربية في أوروبا، وما كانوا يجادلوننا به من أن هذه الملابس العربية هي الشعار الوطني، وبعضهم يقول: إنها اللباس الإسلامي، ولا ينبغي تركها إلى لباس أقوام معادية للإسلام، أو على الأقل هو لباس مغاير للباس المسلمين.

وكنت أرد عليهم بأن هذا اللباس الذي يلبسه بنو قومنا في الوقت الحاضر ليس هو بلباس العرب المسلمين الأوائل الذين صنعوا المجد واستحقوا الثناء، بل هو لباس أقوام من المسلمين، ولا نستطيع أن نقول: إنه اللباس الإسلامي، لأنه - أولاً- ليس كذلك كما قدمت، ولأنه - ثانياً- ليس هو بلباس المسلمين كلهم.

فألبسة المسلمين في الوقت الحاضر متعددة من أقصى غرب إفريقية؛ حيث ملابس الموريتانيين والسنغاليين والماليين - نسبة إلى مالي- الفضفاضة، إلى ألبسة العمانيين التي هي عكس ذلك، وبين أولئك ألبسة متعددة للمصريين والشاميين والسودانيين وغيرهم، ثم ألبسة الباكستانيين والهنود المسلمين.

والحكم على أحد هذه الألبسة بأنه ليس إسلامي دون غيره ليس صحيحاً.

هذا من جهة واقع اللباس، أما من جهة المعنى الذي من أجله يلبس المرء لباساً معيناً في الغربة، وفي هذه الحالة في أوربا، فإن هذا اللباس الذي نلبسه الآن في الجزيرة العربية لا يشرف لابسه في أوروبا.

فهو يدل عندهم على أن لابسه أحد رجلين: إما ثري من العرب الذين يعتبرونهم من الأغنياء الأغبياء، يطمعون في مالهم، وقد يتابعهم أرباب الجرائم منهم، يستدلون بهذا اللباس عليهم، فيؤذونهم. وإما رجل مغفل متأخر - في نظرهم- لا يقدر الأمور حق قدرها، ولا يعرف للظروف حكمها، لأنهم هكذا عرفوا أناساً من بين قومنا.

أما أن يوحي هذا اللباس لهم بمجد إسلامي عريق، وبحاضر عربي مشرق يدل على القوة والعلم والمعرفة، ويوحي بأن لابسه قوي في دينه ودنياه، بحيث ينظر الناس إليه على أنه من ذوي العزة والكرامة، والرفعة الدنيوية، أو المكانة الدولية، فإن ذلك يجعلنا نتمسك به، ولا نبتغي بلبسه بديلاً حتى في بلادهم.

ولكن - مع الأسف الشديد- فإن هذه المعاني لا تخطر على بال من يرى لابس اللباس العربي في أوربا وأمثالها، وبذلك لا يكون لبسها مفيداً للمرء لا من الناحية الشخصية ولا من الناحية الجمالية.

وإذاً لا يكون التمسك باللباس العربي هناك مطلوباً.

وقد سمعت قولاً عجيباً لأحد الإخوة حينما قال: إن اللباس العربي يمنع صاحبه من ارتياد الأماكن التي لا يليق أن يذهب إليها العاقل النزيه، وهي محلات اللهو ونحوها. والجواب: أن المرء إذا كان لا يمنعه عن ذلك دينه ولا مروءته، فإنه يذهب إليها بملابسه العربية كما شاهدنا ذلك في أول عهد الناس بالسفر إلى أوربا، إذ كانوا يذهبون إلى تلك المحلات التي

لا يليق بهم الذهاب إليها، وهم يرتدون ملابسهم العربية المتميزة، فيصبحون بذلك صيداً سميناً للمحتالين والسارقين، ولقمة تلوكها ألسن المغرضين والحاقدين.

وقد نقل لنا عن الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - وكان أول شيوع السفر إلى أوربا وأمريكا في وقته أنه كان يقول: لماذا لم يتستر هؤلاء بالملابس الإفرنجية فيستروا أعراضهم، ويستروا أعراض قومهم عن القيل والقال؟

واليوم نحن نرى الزي العالمي الذي كان يسمى بالزي الإفرنجي قد أصبح شاملاً للعالم كله، حتى أصبح لابسوه في العالم أكثر من لابسيه الإفرنج. ليس لكون الإفرنج يلبسون غيره، وإنما لكون الشعوب في أنحاء العالم صارت تلبسه، وناهيك بلابسيه من أهل الصين واليابان وبعض أهل الهند والسند الذين هم أكثر عدداً من الإفرنج أضعافاً مضاعفة.

وقد قال رسول الله ﷺ: (التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا)، ويشير إلى صدره ﷺ أي أنها في القلب.

ويوضحه الحديث الآخر: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم)، وفي رواية (وأبدانكم) بدلاً من (أقوالكم)، (وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

إذا أصلح العرب من حالهم، وتضامنوا فيما بينهم، وأحسنوا التصرف في أموالهم، ومحوا هذا العار الذي لحق بهم على يد من هم أقل عدداً منهم، بل هم أحط قدراً عند كثير من الناس وعند العرب خاصة من أكثر الناس انحطاطاً، ألا وهم اليهود، فإن لباسهم يكون لباساً محترماً عند الناس، لأن الذين يلبسونه هم قوم يحترمهم الناس، ويعجبون بهم.

إلى مطار روما:

بعد أن انقضت أربع ساعات وربع على الطيران بدأت الطائرة تتنزل من عليائها فوق أرض إيطاليا المعهودة ذات البحيرات المتعددة، والمنازل الضخمة التي يخيل إليك وأنت تقبل على روما أن المدينة قد استهلكت ما حولها من الريف.

والأمر ليس كذلك، وإنما لكون المنطقة معمورة بالقرى والتجمعات السكنية المتقاربة، وأهم ما يميزها من ارتفاع الطائرة منازلها الريفية المتفرقة ذات السقوف الحمر البهيجة المنظر، وزاد المنظر بهجةً قطع من الغيم الأبيض المتدارك الذي يركب بعضه بعضاً دون أن يغلق المنظر، وترى هذه القطع وهي تتحرك بسرعة لكون طيران الطائرة يعاكس سيرها أحياناً، فيخيل إليك أنها تمرح في هذا الفضاء الجميل.

يثرون على حسابنا:

لا شك في أن منطقة روما هذه لا تمثل أرض إيطاليا كلها التي فيها مناطق ريفية منسقة معمورة بالزراعة، حتى إنها تنتج من القمح ما يكفي السكان، ويفيض منه ما تعجز صوامع الغلال في البلاد أن تستوعبه، وقد قرأنا في الصحف أخيراً أن إيطاليا أجرت مفاوضات مع المغرب والجزائر لتخزين القمح فيها، لأن الإيطاليين لم يجدوا متسعاً لخزنه.

ومع ذلك فإن المرء إذا رأى كثرة المساكن هنا، وزحفها على الريف الذي حولها خيل إليه أن البلاد لا تنتج ما يكفيها من المحاصيل الزراعية، ويوفر لها ربحاً تصرفه في وسائل الإنفاق التي تحتاجها الدولة.

الواقع أن الأمر كذلك بالنسبة إلى الزراعة، لأنها لا تؤلف إلا جزءاً

صغيراً من واردات الدولة، أما الجزء الأكبر الأهم فإنهم يحصلون عليه من الصناعة، والصناعة إذا لم يكن فيها فائض كبير للتصدير لم تكسب الشعب الغنى والثروة على المستوى العالمي، لذلك لا بد لها من أسواق خارجية، ولكي يكون ذلك لا بد من أن تكون الصناعة على مستوى عالٍ من الإتقان، والقدرة على منافسة المصنوعات التي تصنعها الدول الأخرى.

والأمر الذي ورد على ذهني في هذه المناسبة هو الأول، فلولانا نحن المستهلكين للمواد المصنعة الدولية لما أثرت هذه الدول الصناعية التي منها إيطاليا، لأن المهارة الصناعية هي تحويل المواد الخام الرخيصة إلى مواد مصنعة غالية، فمثلاً لو نظرنا إلى الساعة التي توضع في المعصم، وجدنا أن المواد الخام الموجودة فيها وهي حديد أو ألمنيوم وزجاج لا تساوي دولاراً واحداً، ولكن تلك الساعة تساوي مثلاً مائة دولار، والفرق كله لصالح الدول الصانعة، لأنه استثمار لمهارة الصناعة فيها.

وحتى السيارة المعتادة لو حسبنا المواد الخام الموجود فيها قبل أن تصنع، لوجدنا أنها لا تساوي ١٪ من قيمة السيارة بعد تصنيعها.

الأمر أعظم بالنسبة إلى الصناعات التي تحتاج إلى مهارة أكثر، فالطائرة الأمريكية الحديثة قد يصل ثمنها إلى خمسين مليون دولار، على حين أن المواد الأولية المستعملة في صناعتها ربما لا تصل إلى خمسين ألف دولار، وهكذا.

وإذاً تكون هذه الدول الصناعية قد ازدهرت على حسابنا نحن المستهلكين من العالم غير المصنع، ولا نقول العالم الاصطناعي، وإن كان ذلك يصح على اعتبار أن كثيراً من أمورها، بل من تنظيماتها مصطنعة، إذا ما قيست بالدول المتقدمة في الصناعة، فحتى التسميات تبين المفارقة فيها، فمثلاً هنالك أكبر شخص وظيفة في الولايات المتحدة هو

رئيس، ونجد في بعض الدول المتخلفة على رأس النظام فيها (رئيس)، ولكن شتان بين مدلول اللفظين فيهما.

ويتبادر إلى الذهن السؤال المستحيل الوقوع في المستقبل المنظور وهو: ماذا لو صنعنا، أو لنقل تصنعنا - من التصنيع وليس من التصنع-؟ كيف يعمل أولئك الجبابرة الذين كانوا كذلك بسببنا.

لا شك أن الأمر سيعود -في هذه الحال- إلى ما كان عليه في الأزمنة البدائية للتجارة عندما كان كل شيء فيها يتم عن طريق المقايضة والتخصص، بحيث تصنع كل دولة أو مجموعة من الدول أشياء، وتصنع غيرها أشياء أخرى، وتتم التجارة بينهما بالمقايضة، فيدفع كل واحد مما عنده ليأخذ مما عند الآخر، وهكذا.

ولنعد إلى المشاهدات قبل النزول في مطار روما فنقول: إن هذا الجو المدني المزدهر كان يتلوى فيه نهر جم المياه، وقطع من أشجار الغابات في أحضان التلال أو في أماكن متفرقة لا تزرع فيها الحقول، ولا تقام فيها المنازل، ومع ذلك فإن الخضرة في المنطقة ليست مطبقة، فهناك أماكن من الأرض خالية من الخضرة، لا شك في أنها حقول تركت للإراحة والإخصاب، وأماكن مرتفعة لا تصلح لزراعة الحقول.

في مطار روما:

وكدت أقول (رومية) لأن روما اسمها عند أسلافنا العرب (رومية)، وإن كان بعضهم سماها (رومة) وكانوا يبالغون في كتبهم باتساعها وكثرة مرافقها، حتى قالوا: إن دورها يبلغ أربعين ميلا، وقطرها اثنا عشر ميلاً. هكذا ذكر صاحب كتاب الروض المعطار، كما أن أرباب البلدانيات ينقولون عن أهلها نقولاً، ويذكرون خرافات كلها تهويل أو

تحريف.

ولا شك في أن مرجع ذلك عدم وجود علاقات وثيقة بين أهل (رومة) أو روما وبين البلدان العربية وقت التدوين، بخلاف القسطنطينية التي هي (إسطنبول) الآن، فإن العرب كانوا يعرفونها، وكانت لهم معاملات تجارية معها، وغزوها في القرن الأول الهجري، واستشهد حول سورها في تلك الغزوة الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري ﷺ، ودفن تحت سورها ﷺ.

هبطت طائرتنا في مطار روما في الساعة الثالثة والنصف وخمس دقائق بتوقيت المملكة، ويساوي ذلك الساعة الواحدة والنصف وخمس دقائق بتوقيت روما، بعد أن استمر طيرانها أربع ساعات وخمساً وثلاثين دقيقة.

وأهم ما يميز المدرج في هذا الوقت من السنة أعشاب تحيط به صفر كثيفة، ولكنها ليست عالية.

وجددت بهذا المطار عهداً قريباً كان عندما كنت عائداً من رحلة في بلاد ما وراء النهر وسيبيريا ومنغوليا الخارجية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، وكنا قادمين من موسكو إلى روما بعد أن قدمنا إلى مطار موسكو من مدينة (أولان باتور) عاصمة منغوليا التي استغرق الطيران منها إلى موسكو ست ساعات إلا ربعاً من دون توقف، ولم ندخل مدينة موسكو لضيق الوقت، وإنما بقينا في مطار روما ثلاث ساعات غادرناه إلى جدة.

كما جددت عهداً قديماً بالطيران إلى روما كان أوله في عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م عندما قدمت إليه من بيروت التي جئت إليها من المدينة

المنورة حيث كنت أعمل آنذاك في وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة.

وكنت ذاهباً على رأس وفد الجامعة إلى تونس لحضور اجتماعات جمعية الجامعات الإسلامية التي كانت ستعقد اجتماعاً لها في جامعة الزيتونة، فكان أن مررنا من بيروت بروما للذهاب إلى تونس، لأنه لم يكن يوجد طيران مباشر مناسب إليها من المملكة في ذلك الوقت.

أعلنوا في مكبر الصوت في الطائرة أن درجة الحرارة في روما هي (٢٣) درجة مئوية، وهذه درجة معتدلة، غير أننا شعرنا فيها بالحر أكثر مما شعرنا به في الرياض عند الإقلاع، وذلك أن الطائرة لم تشغل مكيفات الهواء فيها، ولا يصل إليها هواء من الخارج.

وقد نزل أكثر ركابها، ولكن صعد إليها بعد ذلك ركاب جدد أكثر منهم بكثير، وكلهم من الأوربيين، وأغلبهم من الإيطاليين فيما يظهر من أشكالهم.

ومن العجب أن يقبل الأوربيون على الركوب في الطائرة السعودية، مع أنها لا تقدم شراباً مسكراً، وربما يقدمونها على طائرات الشركات الأخرى التي تقدم مثل ذلك المشروب.

من روما إلى باريس:

كان المطر قد بدأ يرسل زخات غير كثيفة عندما بدأت الطائرة التحرك من موقفها في المطار، ولكنها وقفت أمام المدرج الذي ستقلع منه وقد اشتد المطر ولمع البرق وقصف الرعد حتى كان صوته ينافس أصوات الطائرات في المطار، وظننا أن سبب تأخر إقلاعها هو السحاب، ولكن

تبين أن ذلك راجع إلى وجود طائرات ستنزل في المدرج تأخر نزولها حتى اجتمع خلفنا ثلاث طائرات ضخمة، أولها طائرة (اكونتس) التي هي شركة الخطوط الأسترالية.

وبعد طول انتظار أقلعت الطائرة في الخامسة والربع بتوقيت الرياض، وهي الثالثة والربع عصراً بتوقيت روما، وسط مطر جود كأنما تسبح فيه وهو نازل فتحيله إلى باقات متصلة من خيوط النور المتعرجة المتموجة، ثم دخلت في سحابه الذي كان يخضها ويهزها، بل كانت فيها مهاو (مطبات) هوائية عنيفة، إلى أن استطاعت أن تتغلب عليه فتعلو فوقه، حيث الشمس الشارقة التي هي شمسنا الصحراوية الحارة، وعاد معها النور الذي كان قد اختفى على الأرض، وكأنما هي قد عادت بذلك إلى جواء بلادنا الحبيبة.

وبعد أن استوت في الجو فترة عاودت المضيفات العربيات، وهن من تونس، تقديم وجبة غداء سخية كالتي قبلها.

وقد حجب السحاب عنا وجه الأرض، فصرنا لا نرى إلاّ السماء وحامل الماء، وهو السحاب، الذي يسيل الوديان ويفيض الأنهار، كما قال أحد الأدباء من أسلافنا الكرام: ما ثَمّ إلا السماء والماء... وذلك عندما لجج في البحر، وبعد عهده باليابسة، ونحن قد لججنا في الجو، وغاب عنا وجه الأرض. وفي مثل هذه الحالة لا حلية لي في شيء أتحمله إلا أن أُعمل القلم في هذه الأوراق أسود صفحاتها بما تقرأه الآن.

في مطار شارل ديغول:

قبيل الوصول أخذت الطائرة في التدني، وأخذت السحب الكثيفة تفسح المجال لها لدخولها في أحنائها، ولكنها لا تستقر على ذلك، وإنما

تهوي نازلة لتخترق سحاباً آخر، حتى أشرقت الأرض الخضراء، أرض فرنسا الفنانة الفتانة.

وجددت بها عهداً غير بعيد، وعهداً أبعد عندما زرتها لأول مرة وحامت بي الطائرة العملاقة آنذاك وهي طائرة (بوينغ ٧٠٧)، وكانت أضخم وأكبر الطائرات النفاثة العاملة، بل كانت أعجوبة العجائب، وغريبة الغرائب في ذلك العهد التي تقطع من البحر المحيط الأعظم في ساعة ما تقطعه الإبل من الصحراء في شهر، وذلك في عام ١٣٩٠هـ الموافق لعام ١٩٧٠م، وكنت آنذاك قادماً إلى باريس من ريودي جانيرو في البرازيل، حيث حضرت المؤتمر الأول للجمعيات الإسلامية في أمريكا الجنوبية الذي عقد في سان باولو، ويومها لم يكن مطار شارل ديغول هذا الذي سننزل فيه قد وجد، وإنما كان (مطار باريس) هو مطار أورلي، وإن كان مطار (لبورجيه) موجوداً، مثلما أن الطائرة العملاقة (الجامبو) وهي (بوينغ ٧٤٧) لم تكن موجودة، وإن كانت (بوينغ ٧٠٧) موجودة وعاملة.

وقد مضت الآن على ذلك العهد الأبعد من عهد إلقاء النظرة الأولى على باريس وما حولها من الجو قرابة ٢٣ سنة تغيرت فيها الأحوال، وتبدلت الأوضاع، وأهمها ما يتعلق بأوضاعنا نحن، إذْ صرنا نهتم بالإخوة المسلمين في العالم، نذهب إليهم في بلدانهم، ونزور جمعياتهم ومؤسساتهم، ونقدم لهم من العون المادي والثقافي ما يساعدهم في المحافظة على دينهم، بل توسيع ثقافتهم، وتوجيه الدعوة الإسلامية إلى غيرهم.

كنت أستعيد في ذهني هذه الأمور، فأحمد الله تعالى وأشكره، وإن كانت الشوائب التي شابت المسيرة الإسلامية، وبخاصة فتنة الخليج الكبرى تشوب السرور الذي تذكرته، أو تكدر سناء تلك المسيرة، ولكن التاريخ علمنا أن من يستفيد من عبره ويستعملها لتلافي أمثالها في

لاحق عمره، هو الذي يستطيع أن يجعل من النكبات حوافز للتقدم، ومن المعوقات دوافع إلى الأمام.

وقد ارتبط الطيران فوق باريس لأول مرة في ذهني بحادثة بارزة في تاريخ الأمة العربية المعاصر، وهو وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وكان ذلك في آخر شهر سبتمبر عام ١٩٧٠م، إذْ بلغني ونحن نتهيأ لركوب الطائرة إلى باريس من مطار ريودي جانيرو في البرازيل من بعض الإخوة العرب أن الإذاعات العالمية قد بثت منذ قليل خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن ذلك لم يتأكد بصورة قاطعة، وركبنا الطائرة بعد المغرب ووصلنا باريس في ضحى الغد، فكانت عناوين الصحف تنشر الخبر في صدر صفحاتها الأولى لأول مرة.

ونعود إلى ذكر الهبوط في مطار باريس معتذرين إلى القارئ الكريم عن هذه الثرثرة التي هي في طبع الكاتب، و« الطبع يغلب التطبع » كما يقولون، فنذكر أنه من المقارنات أو المفارقات أنني عندما رأيت الطرق قرب مطار باريس أعجبت بها، سواء من حيث استقامتها ووجود جسور عليها، لتعبر عليها السيارات المعاكسة، أو من حيث سعتها، واليوم عندما رأيتها لم تثر شيئاً من إعجابي، بل إن العكس هو الصحيح، إذْ رأيتها ضيقة قليلة الجسور غير بعيدة الاستقامة إلى آماد طويلة، وذلك بالنسبة لما أصبحت عليه الطرق في بلادنا، والجسور والأنفاق في مدننا، وقد حمدت الله تعالى في سري مرة ثانية على ذلك.

هبطت الطائرة في مطار شارل ديغول في السابعة إلا الثلث بتوقيت المملكة، ويساوي الخامسة إلا الثلث بتوقيت باريس، وأعلنت المضيفة أن درجة الحرارة في باريس هي الثالثة عشر مئوية.

وهذه درجة جيدة بالنسبة إلى شهر أكتوبر في باريس الذي شهدت

تدنيها مرة فيه إلى قرب التجمد.

ودرجة الحرارة تهمني ليس من أجل باريس، لأنني سأتركها عابراً إلى أستكهولم في السويد، وإنما لكونها تدل على حالة الجو في السويد من حيث البرد والدفء، أو تقرِّب ذلك.

كان المطر ينزل رذاذاً يسقي العشب الأخضر الذي يحيط بمدارج المطار إلى مدى البصر، وما هو بحاجة إلى السقي.

وفي مدخل المطار من جزء مستدير الشكل تحيط به البوابات ذوات الأكمام المتحركة التي يدخل منها ركاب الطائرة أو يخرجون، كانت مندوبة الخطوط السعودية امرأة عربية سألتها أن تساعدني على تسجيل رحلتي إلى أستكهولم، فاتصلت برقم للهاتف ثم أخبرتني برقم البوابة التي تخرج منها الطائرة وهي: (١)، وأرشدتني إلى مكتب تحويل الرحلات بقربها وأنه سيقوم بما يلزم، ووجدت بالفعل في مكتب التحويل امرأة فرنسية قد جمعت بين جمال المظهر وجمال العمل، فأسرعت بقطع التذكرة من باريس إلى أستكهولم، وأعطتني بطاقة الدخول إلى الطائرة التي ستغادر باريس في السابعة والنصف، ونحن الآن في الخامسة والربع.

وقد قضيت الوقت في المنطقة الدولية من المطار، وتفرجت برؤية المسافرين الذين كانوا جالسين فيه والمسافرين المغادرين والواصلين، ولاحظت - من بين ما لاحظته - أن الجمال الشامل الذي عهدته في مطار باريس عندما رأيته لأول مرة قد شابته الآن شوائب من وجوه صفر حائلة، وجلود سمر مغبرَّة، وسحن سود حالكة، وكلها غريبة على باريس، ولك أن تقول إن ذلك مما ينقص الجمال الذي تراه فيه، أو أن تقول إنه ما يزينه ويزدهيه، لأنه يظهر جمال الجميل. و« الضد يظهر حسنه الضد »، كما يقول المثل القديم.

من باريس إلى أستكهولم:

غادرنا مطار شارل ديغول في السابعة والنصف بتوقيت باريس الذي هو توقيت أستكهولم مع طائرة ثانية للشركة الإسكندنافية من طراز (إم دي ٨٧)، وأعلنت المضيفة باللغة السويدية ثم الإنكليزية أن الطيران سيستغرق ساعتين وربعاً من دون توقف.

نهضت الطائرة من المطار وسط ظلام دامس، إذْ كانت الشمس قد غربت منذ فترة، وكان السحاب مطبقاً، والمطر ينزل.

وقد كنت في درجة رجال الأعمال، لأنه ليس في الطائرة درجة أولى، وإنما هي مقسمة بين درجة رجال الأعمال والدرجة السياحية، وكانت السياحية مليئة كلها، أما درجة رجال الأعمال التي تتميز بانفساح كراسيها، وسعة ما بينها، فإن فيها عدة مقاعد خالية.

اتجهت الطائرة فور إقلاعها إلى إسكندنافيا في الشمال الشرقي وسط هذا الظلام الذي أعاد إلى ذهني ذكريات عديدة في بلاد باردة ومظلمة، لا أريد أن أثقل على القارئ الكريم بذكرها، ولكنني أشفقت من أن أُلاقي الآن - مع أننا في شهر أكتوبر الذي هو خريفي وليس شتوياً - ما لاقيته في تلك البلاد الباردة التي زرتها في شهر ديسمبر، مثل يوغسلافيا وفرنسا وبريطانيا في أوروبا، وأفغانستان وإيران في آسيا، وكلها كان الجو فيها ثالجاً مظلماً في ذلك الوقت.

لم أر بين ركاب الطائرة من ليس من أهل إسكندنافيا، أو من يشبهونهم من الصهب، وهم البيض بياضاً ناصعاً، إلا راكباً واحداً تبين بعد ذلك أنه السفير الجزائري في السويد.

ولذلك عندما وزعوا الجرائد على الركاب لم يكن من بينها إلا

اثنتان بالإنكليزية، أخذت واحدة منهما، أما باقي الركاب فإنهم كانوا يأخذون جرائد بلغات إسكندنافية.

وحالما أطفئت إشارة ربط الحزام أحضروا أنواع الشراب، وكان في ذهني ما عرفته من قبل عن أهل البلدان الباردة الذين يكثرون من شرب الخمر فقلت: أرجو أن يكون معهم شراب من شراب البرتقال، وفوجئت بأن أكثر الركاب الذين في درجتنا طلبوا شراب البرتقال، وأن الأقل هم الذين طلبوا شراباً مسكراً.

وتبين أن القوم، وبخاصة من يكونون من المثقفين أمثال الذين يركبون الطائرات، قد شعروا بعواقب شرب الخمر المضرة، أو على الأقل عواقب الإكثار منها، فهجروها إلا في مناسبات لهم خاصة.

وبعد الشراب وزعوا قوائم الطعام، فلم أر فيها ذكراً لأي شيء محرم من لحم الخنزير أو نحوه، بل أكثر ما فيها الأطعمة البحرية.

ومن الأشياء الغريبة التي ذكروها في قائمة الطعام والشراب خمر بدون كحول، وقد أسموها (واين) التي تعني الخمر أو النبيذ. ولا أدري عن صحة ذلك، ولكنه - إذا صح - يطرح سؤالاً مهماً عن حكم هذه الخمر أو النبيذ الذي ليس فيه كحول، أو المفهوم أنه لا يسكر متى كان كذلك، وإذا كان لا يسكر، أي ليست مادة الإسكار فيه أصلاً، وليس لكونها قليلة فيه، فهل يصدق عليه اسم الخمر ؟.

ثم قدموا العشاء، ويخدم في هذه الدرجة مضيفتان ومضيف، كلهم مهذب مؤدب، يجيدون فن الخدمة من اللطف أو التلاطف مع الراكب، والابتسام له ابتسامة عمل حاضرة من دون تحضير.

وكانت مقدمة الطعام صحناً من المأكولات البحرية، ضم شرائح

سمك السلمون المدخن، والإربيان الذي هو الروبيات بلغة العامة عندنا، والجمبري بلغة العامة في مصر، و رؤوس من الفجل، وقطع مما أسموه قلب النخلة، يعني جمارها، وهو جمار نخل معين غير نخيل التمر، ينمو في البلدان الحارة والمعتدلة، طالما أكلته في البرازيل، ويسمونه هناك (باليتو).

وأما الصحن الرئيسي فإنه لحم العجل، معه الخضار وقليل من البطاطس، ومع ذلك سلطة أخرى وجبن وحلوى، مما جعل الوجبة سخية كاملة.

وعندما فرغت من الأكل لم يكن في خارج الطائرة ما يشغلني بالنظر إليه، ما عدا مناطق أبصرنا أنوارها تحتنا قبل الوصول بقليل، وهي مناطق واسعة ذات تجمعات كالقرى والبيوت الريفية تسطع أنوارها، وتتألق مما يؤكد أننا نطير فوق أرض عامرة بقوم يقدرون عمارتها، وتتوافر عندهم الكهرباء بسبب توفر مساقط المياه فيها.

في مطار أستكهولم:

قبيل الهبوط في المطار مرت الطائرة فوق طريق سريع واسع مضاء إضاءة غامرة تركبه جسور معترضة، ويعطي أول دليل لمن لا يعرف البلاد على أنها بلاد متقدمة ممتازة.

ثم هبطت قبيل التاسعة في مطار ساطع الأنوار، واسع المدارج، فيه طائرات كثيرة، ثم ألقموها فم كُمٍّ من هذه الأكمام المتحركة التي يحلو لبعض الكتاب العرب أن يسموها جيباً من الجيوب المتحركة، ولكن الجيب يكون في اصطلاحهم مغلقاً، أما (الكم) فإنه يكون مفتوح الجانبين تدخل منه الأيدي وتخرج.

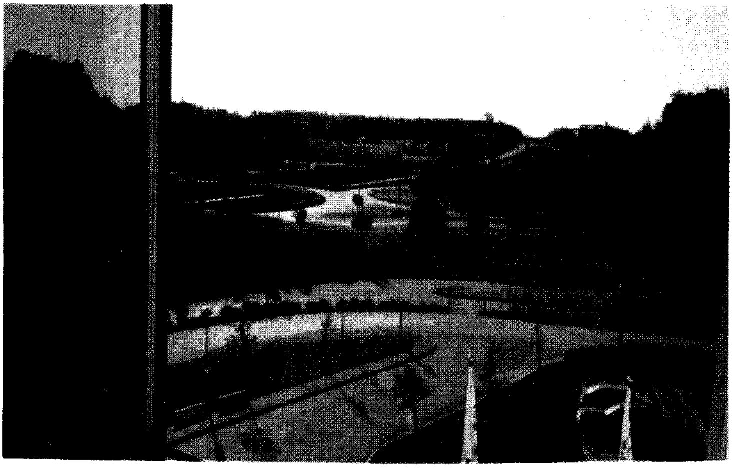
ويصح أن يسمى ذلك أيضاً بالدهليز المتحرك، فهو دهليز، أي ممر مسقوف متحرك كما هو ظاهر.

لم يكن لديَّ ما أخشى منه من التعويق، فمعي سمة دخول سياسية من سفارة السويد في بلادنا، وجوازي (دبلوماسي) لا أخشى معه من التفتيش، لذلك انتهيت من إجراءات القدوم بسرعة، ووجدت عندما خرجت من قاعة القدوم عدداً من الإخوة المستقبلين، منهم الأستاذ محمد بصفر أحد موظفي سفارتنا في أستكهولم، بل هو الرجل الثاني فيها، وهو المسؤول عن الشؤون الإسلامية في السفارة، وهي المتعلقة بشؤون الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في السويد، والأخ الشيخ سعيد نورتال مدير المركز الثقافي في أستكهولم، وهو غامبي الأصل، متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ويعمل مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي للدعوة إلى الله في أستكهولم، ويحمل الجنسية السويدية، والأخ الأستاذ مصطفى غنيم، وهو مصري مهاجر إلى السويد، اكتسب الجنسية السويدية ويعمل مترجماً إلى جانب عمله في المركز الإسلامي بسبب تدينه ومحبته للخير، وأخ صومالي مهاجر للسويد، وهو نائب رئيس المركز الإسلامي في أستكهولم، وقد أمضى أكثر من عشرين سنة في السويد، ويعرف اللغة السويدية مثله في ذلك مثل مصطفى غنيم.

قصد القوم بنا فندقاً كان يسكن فيه رفيقي في هذه الرحلة الأستاذ محمد محمود حافظ، وكان سبقني إلى أستكهولم من أجل تهيئة بعض الأشياء، فسافر من مكة يوم الخميس الماضي.

يقع الفندق على بعد ٢٥ كم من أستكهولم في ضاحية ريفية، واسمه فندق (إسكندك)، وهو من سلسلة فنادق مشهورة بهذا الاسم، وأجرته لليلة الواحدة (٩٥١) كرونة سويدية، والكرونة هي عملة السويد،

ويساوي ذلك ١٨٥ دولاراً، إذْ يصرف الدولار الواحد بخمسة كرونات وثلث تقريباً.



منظر عام لطريق المطار

أخذت هذه الصورة من فندق أسكندك

وهو غالٍ بهذه القيمة، لأنه من ذوات النجوم الأربع، إلا أنهم يخفضون الأجرة في الجمعة والسبت، أي ليلتي العطلة في نهاية الأسبوع التي يسمونها (ويك إند).

ومع الأجرة طعام الإفطار، وهذه عادة متبعة في دول إسكندنافيا أن يكون الإفطار داخلاً في أجرة الغرفة، فتتناول إفطارك مجاناً، وذلك -في الأصل- شأن البلدان الباردة التي يصعب على النزيل في وقتها أن يبحث عن طعام الإفطار خارج الفندق في الصباح.

لكن بعض البلدان غير الباردة كالبرازيل تفعل ذلك، وقد رأيتهم يجعلون طعام الإفطار داخلاً في أجرة الغرفة في كل أنحاء البرازيل، إلا أن الطعام في البرازيل رخيص جداً بالنسبة إلى أسعاره في هذه البلدان الإسكندنافية.

وعلى سبيل المثال فإن قيمة فنجان الشاي في أستكهولم تبلغ في المقاهي الراقية أربعة دولارات ونصفاً ، وهذه تكفيك لوجبة غداء أو عشاء في البرازيل.

وأما في بلادنا فإن نصفها يكفيك لعشاء أو غداء إذا اكتفيت بالخضر والمرق دون اللحم في المطاعم الشعبية.

ومن الطريف في هذه الغرفة أنهم وضعوا أدوات كي الثياب كالسروال الغليظ (البنطلون) في الغرفة ، فيستطيع النزيل أن يكوي ثيابه ولا سيما سرواله فيها متى شاء ، وهذا أمر لم يكن شائعاً من قبل ، وهناك شيء آخر صار معتاداً في كثير من الفنادق الراقية ، وهو وجود منشف شعر يعمل على الكهرباء في حمام الغرفة.

يوم الأحد ٨/٤/١٤١٣هـ ٤/١٠/١٩٩٢م

الصباح البارد:

هذا العنوان من وحي المكان، وإلا فإنني حتى كتابته لم أعرف البرد خارج الغرفة، وإنما أزحت ستارة النافذة المغلقة فكان الجو صاحياً، والشمس مشرقة لا توحي بالبرد، بل إنها تشعرك بالدفء، والشعور الأجمل من ذلك أنك ترى كل ما حول الفندق وكأنه خلوي جميل من أعشاب منسقة إلى أشجار من أشجار الغابات، لولا الممرات بينها منظمة.

والأبنية الريفية القليلة التي تراها هي جميلة الطلاء، حتى كأن طاليها قد فرغ منها البارحة، وكل شيء تراه هنا بهيج وجميل.

نزلنا إلى مطعم الفندق لتناول الإفطار، فكان معتاداً إلا أن المطعم في غاية النظافة، ومن الأشياء الجديدة فيه أنك تضع فنجان الشاي أو القهوة تحت صنبور خاص، ثم تضغط عليه بطرف إصبعك فيرسل ما شئت من الماء الحار للشاي، أو من القهوة الجاهزة ما يملأ الفنجان من دون زيادة أو نقص، بحيث لا تحتاج أن تقدر ذلك بنفسك، أي أنك لو واصلت الضغط عليه من دون أن ترفع إصبعك عنه لما صب في الفنجان، وإنما عليك إذا أردت أن تأخذ فنجاناً آخر وتضغط مرة أخرى ليصب لك مقدار فنجان آخر، وهكذا.

ووجدناهم وضعوا الشاي في أكياس صغيرة، ولكنه أربعة أنواع من الشاي المعتاد، إلى شاي أسموه بالليمون، وآخر بنوع من الفاكهة أو ثمار الأشجار عندهم يجعل طعمه كطعم الكركديه السوداني، وما هو به، ورابع مع طعم الفراولة، والخدمة جيدة، والمراد بها هنا إعداد المائدة، وإلاّ فإن على النزيل أن يخدم نفسه بنفسه، لأن الطعام على مائدة مفتوحة.

إلى العاصمة القديمة:

أشار بعض الإخوة علينا أن ننزل في فندق على بحيرة ضخمة تقع عليها بلدة سويدية قديمة، بل كانت عاصمة مملكة السويد في وقت من الأوقات، واسمها (سق تونا)، ولا تزال الآن مسكن الأثرياء والمترفين منهم.

وعللوا ذلك بأن المدينة هادئة، والطريق منها إلى أستكهولم سريع وواسع، ولا تبعد عن (أستكهولم) إلا بمسافة ٤٧ كيلومتراً.

غادرنا فندقنا فندق (إسكندك) في العاشرة بعد أن وضعنا أمتعتنا في سيارة الأخ الكريم (مصطفى غنيم) وانطلقنا ومعنا الأستاذ (سعيد نورتال) مع طريق واسع سريع اسمه (طريق أوربا رقم ٤)، وهو الذي تذهب منه السيارات السويدية والفنلندية الضخمة التي تجيء إلى بلادنا محملة بالبضائع من هذين البلدين، وذلك عن طريق (إسطنبول)، إلا أنها لا بد من أن تعبر مضايق بحار فوق العبارات.

وقد اخترق الطريق جنات ملتفة، إلا أنها منسقة، ولا يشينها إن لم تقل: يزينها إلاّ أوراق قد بدأت تحمارُّ أو تصفارّ حين مسها برد أكتوبر الذي هو كبرد ديسمبر في نجد، فصارت كالمريض الذي أصفر لونه قبل أن يذبل ويموت، إلاّ أن موتها إلى نشور، لا يستمر إلا عدة شهور حتى يحل عليها الربيع، وهو كربيع الشباب قصير في هذه البلاد، ولكنه ربيع كالشتاء عندنا يتبعه صيف كربيعنا، وفي خلال هذه الفصول الثلاثة غير الشتاء التي تتكمش حتى تكاد تصبح فصلين: فصلاً ثالجاً، وفصلاً بارداً نضراً، في خلال ذلك تنزل الأمطار الغزار حتى تستمر أحياناً طول الليل وأحياناً طول النهار، مما جعل البلاد بلاد الأنهار والبحيرات، حتى بلغ عدد بحيراتها ثلاثين ألف بحيرة، وأعتقد أن هذا العدد لا تدخل فيه البحيرات الصغار مما نعدها بحيرة ويعدونها منقعاً، وإن شئت التعبير الدارج قلت:

مستنقعاً.

الألوان الزاهية:

رغم كون السويديين قوماً متقدمين بعرف هذا العصر، وهم بلا شك في مقدمة القافلة البشرية في العلم والإدارة، وفي التعاون والتعاضد والضمان الاجتماعي، إضافة إلى التقدم الصناعي، فإنهم يحبون الألوان الفاقعة، بل الصارخة، فتجد بيوتهم على وجه الإجمال مطلية باللون الأحمر القاني، وأحياناً تجد اللون الأصفر الفاقع، وحتى الأشياء الأخرى عندهم من أمتعة ومرافق هي صارخة الألوان أيضاً.

وما شبهت السويديين في هذا المضمار إلا بالصينيين الذين يحبون الألوان الصارخة على بعد ما بين الفريقين في الأذواق والأعراف والألوان، وحتى الأجواء والأكوان.

لذلك كانت المناظر هذه جميلة، بل جليلة، وكانت ألوان البيوت الحمر القانية منسجمة مع ألوان الأرض الخضراء الزاهية والأشجار الكثيفة.

المطار الأول والثاني:

كنت نزلت في الزيارة الأولى لمدينة (أستكهولم) في مطار يسمى (بروما) ويبعد عن المدينة (٧٢) كيلومتراً، ولذلك لازلت أذكر أنهم رفعوا لافتة تقول: إن المطار يبعد (٧٢) كيلومتراً عن المدينة لتذكر القادمين بأن لا يركبوا سيارة أجرة إلا وهم على معرفة بما سوف يدفعونه لها من أجر، وهو أجر غالٍ في ذلك الوقت، وإنما يمكنهم أن يركبوا الحافلات وهي رخيصة نسبياً.

ولم أعرف بعد المطار عن المدينة، وظننته الأول قد جددوه عندما وصلت البارحة، لأنني نزلت في فندق (إسكندك) خارج المدينة، وأخبرني المرافقون أن المطار الذي نزلت فيه البارحة هو مطار جديد لا يبعد عن المدينة أكثر من ثلاثين كيلومتراً، واسمه (آرلندا) بمعنى المهبط الأرضي، لأن (آر) هي أير بالإنكليزية بمعنى جو، ولندا: أرض وهي (لاند) الإنكليزية.

أما (بروما) فإن معناها مجتمع الجسور، لأن (برو) جسر، و(ما) باللغة السويدية القديمة (مجتمع)، أي مكان تجمع الجسور.

وماذا عن الشتاء؟

عندما رأيت هذه الجنان الخضر غبطت السويديين عليها، ولكن بعض الإخوة قال: إن كل هذه الأشياء الجميلة تغدو في الشتاء كالصحراء القاحلة، حيث يجف كل عود أخضر، بل تموت كل نبتة، وتصبح الأرض رمادية كأنها شعر المشيب أو دخان النار الذي يعقب اللهيب، وليس ذلك فحسب، وإنما تصبح خطراً من الأخطار لمن يسير عليها على طبيعته في الليل أو النهار، ولا يمكن لأي شخص أن يبيت في العراء، كما يكون مبيته في الصحراء.

وقال آخر: بل إن منظرها هو منظر قشيب، إذْ ينقلب الثلج فيها إلى بلور، ينقلب منظره في نظر غير المقرور إلى منظر باعث على السرور، إذا كان الإنسان قد أخذ كفايته من الدفء والطعام، وإلا فإنه لا يوجد في هذه الأرض الثالجة ما يقتات منه إنسان ولا حيوان، ولذلك يدَّخرون في فصل الصيف لفصل الشتاء سواء منه طعام الإنسان وطعام الحيوان.

مدينة سق تونا:

تقع هذه المدينة التاريخية على ضفاف بحيرة جميلة وهي البحيرة التي تمتد إلى مدينة أستكهولم على بعد ٤٧ كيلومتراً، وتبحر فيها سفن صغيرة تنقل الأناسي والأمتعة.

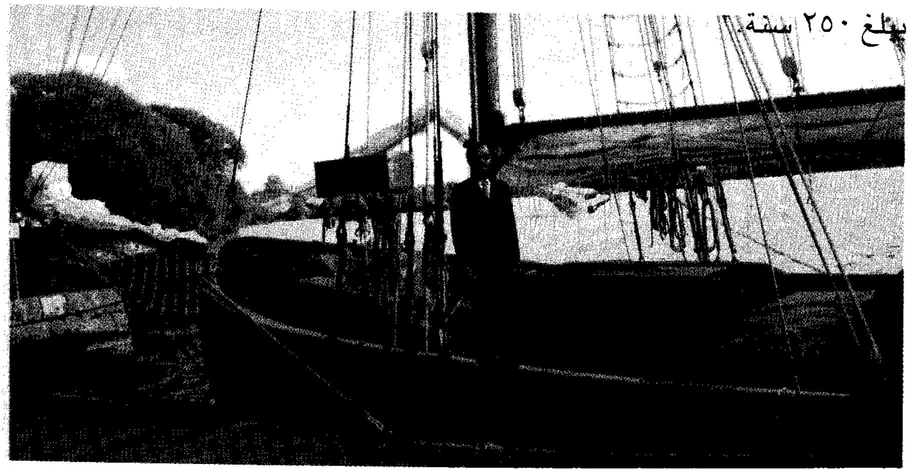
قالوا: وهذه المدينة التاريخية قدمها نسبي، ربما لا يزيد على أربعمائة سنة، لأن تاريخ هذه البلاد السويدية ليس عريقاً في الحضارة، إلا إذا اعتبرنا حضارتهم امتداداً لتاريخ الفايكنج، وهم الإسكندنافيون القدماء الذين جابوا البحار، وخربوا بعض الأمصار، ولكونهم كانوا همجاً يمجدون القوة، ولا يلقون لغيرها أي اعتبار، حتى إنهم وصلوا الأندلس، بل وصلوا إلى بعض البلدان العربية في شمال إفريقية، فخربوا فيها ما خربوه، ونهبوا منها ما نهبوه، من غير أن تكون لهم مثل يقاتلون من أجلها، أو مدنية يسيرون على هديها، ويسعون إلى نشرها.

وهذه المدينة الجميلة (سق تونا) مثلما ذكرنا أنها مدينة الأثرياء وكبار القوم، فإنها مدينة الأدباء والمفكرين، لما تمتاز به من موقع جميل، ومن جو هادئ لا يكدره في نظرنا إلا البرد الذي ربما كانوا ألفوه حتى اعتادوه.

على سفينة فاينكونقية:

ومعذرة لهذه النسبة الثقيلة، وهي نسبة السفينة إلى (الفايكونج) الذين ذكرتهم، فقد أرسوا سفينة حقيقية على شاطئ البحيرة قبالة متحف المدينة، ذكروا أنها على طراز السفن الشراعية التي كان يستعملها (الفايكونغ) في قديم الزمان، وإن لم تكن هي قديمة قدم حركة أولئك القوم، فإنها قديمة نسبياً، إذا ذكروا أن عمرها - أي عمر هذه السفينة -

يبلغ ٢٥٠ سنة.



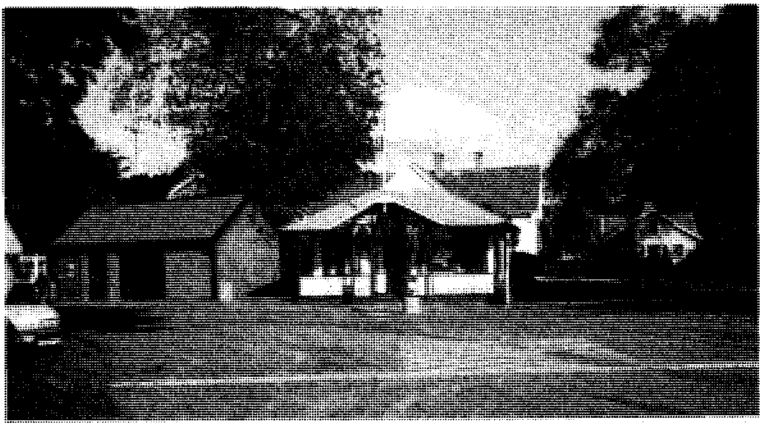
صورة تذكارية على سفينة تعود إلى ٢٠٠ سنة وهي ترسو في البحيرة التي تقع عليها مدينة (سق تونا)

ولا يعتبرها مثلي من لا يعرفون صناعة السفن ولا مزاياها إلا سفينة معتادة ذات شراع يسيرها، لأن تسيير السفن بالبخار لم يكن عرف بعد.

وهي متوسطة الكبر، وقد التقطت بجانبها صورة لي لأبين حجمها بالنسبة إلى طولي، ولا مجال لمعرفة ذلك حقيقة إلا بمعرفة طولها بمقياس حقيقي لم يتيسر لنا.

أقدم مبنى:

رأينا مبنى احتفوا به ذكروا أنه أقدم مبنى في هذه المدينة، ويقع على شاطئ البحيرة لا يفصل بينهما إلا شارع الشاطئ، وهو مبنى - إن لم يكن الأصح أن نقول إنه مقام من الخشب - أبقوه على هيئته التي ذكر لي أحد الرفاق أنه عليها بني، أي بني قبل أربعمائة عام، إلا أنهم يجددون طلاءه، ويرممونه إذا احتاج إلى ترميم.



المبنى الأبيض الذي يعود إلى مئات السنين فوق العلم السويدي في مدينة (سق تونا)

نصفها من الخشب ونصفها من الحجارة:

وعلى ذكر هذا المبنى الخشبي المهم عندهم أقول: إن مدينة (سق تونا) هذه مكونة الآن من قسمين: القسم الواقع على البحيرة، وهو كان المدينة الأقدم، كل منازله وأبنيته من الخشب. والنصف الثاني وهو الأحدث أو لنقل إنه الأقل عراقة في القدم مبني من الحجارة.

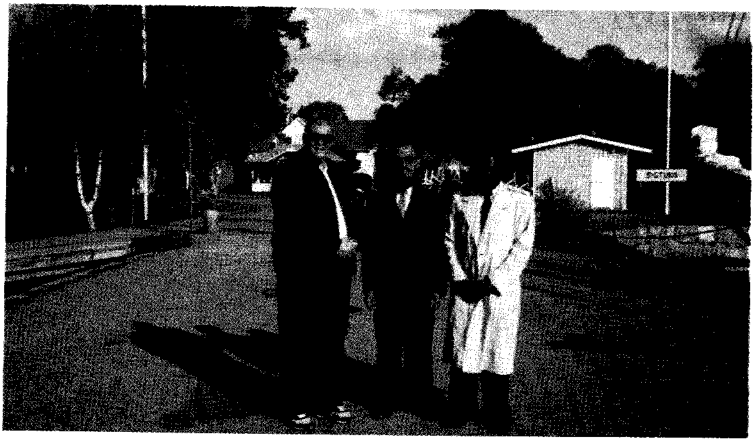
وقد فعلوا ذلك محافظة منهم على طابع المدينة القديم.

وعلى ذكر طابع المدينة القديم أحب أن أنوه هنا أن الشعب السويدي ثابت العدد أو ينقص قليلا، وذلك دأبه منذ ثلاثين سنة على وجه التقريب.

بل إن الإحصاءات الأخيرة تدل على أن عدده ينقص بمعدل يقارب ٢٠٠ ألف نسمة في العام، ولكن المهاجرين يزيدونهم قليلاً، وإن كان ذلك بنطاق محدود.

وعلى هذا تكون المدن السويدية ثابتة العدد، وبعضها ينقص عدد سكانه، ولذلك يمكنها أن تبقى على حالتها أو ما يقارب حالتها القديمة

في عدد السكان وفي عدد المنازل، إلا ما كان من العاصمة التي قد تزيد بسبب مجيء المهاجرين إليها من الريف والمدن الصغيرة الأخرى، وإن كان بعض أهلها القادرين يغادرونها للعيش في مدن صغيرة أو في مناطق ريفية، طلباً للهدوء، وبعداً عن تكدير المدنية وتعقيداتها.



المؤلف وعلى يمينه مصطفى غنيم وعلى يساره سعيد نورتال وذلك عند مدخل مدينة (سق تونا)

وقد تمشينا في المدينة في جو هادئ بديع كل ما فيه جميل من الماء والخضرة والوجه الحسن، إلا أن الهواء كان بارداً مع أن الجو كان شامساً يشبه أيام الشتاء الشامسة الباردة في بلادنا في الشتاء.

مع أنهم ذكروا أنهم يعتبرون مثل هذا اليوم من الأيام الجميلة غير الباردة، فدرجة الحرارة الآن هي ١٠ درجات مئوية، إلا أن الهواء إذا هبّ كان بارداً ندياً.

وقد ذكر أن معدل الحرارة في الأيام العشرة الأولى من شهر أكتوبر وهي مثل أيامنا هذه يبلغ في وسط النهار ما بين (٨) إلى (١٢) درجة.

وعلى جمال هذه المنطقة وهدوئها فإن المرء منا لا يتمنى أن يسكن فيها إذا تذكر الريح الصرصر العاتية التي تهب عليهم في ليالي الشتاء

الطويلة القاسية.

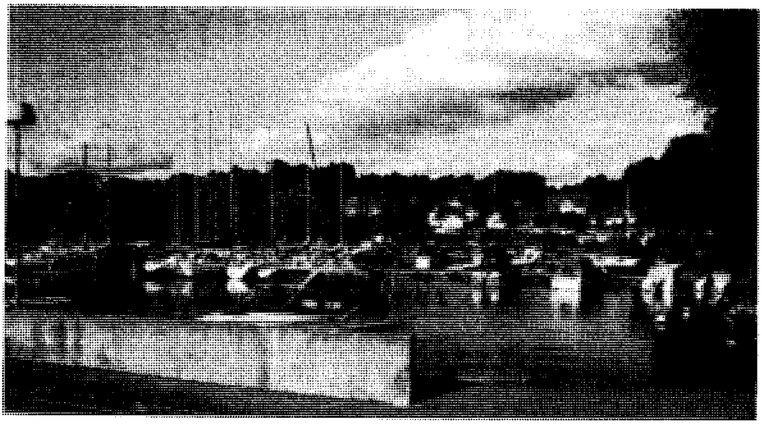
وقد ذكروا أن الجو في الصيف يكون معتدلا، وأن الحرارة لا تتعدى إذا اشتدت ثلاثين مئوية، وإن كان المعدل أنها أقل من ذلك بكثير.

وقد عجبت من هذا اللون الأحمر الذي يصبغون به البيوت، ولمَ لمْ تغيره الشمس، فأجابوا أن ذلك بسبب ضعف الشمس في الشتاء، وقلة إشراقها في الصيف، لأن الصيف هو موسم الأمطار الغزيرة، ولشيء آخر هو عدم تعاقب الرطوبة والجفاف عليها، لأن معدل الرطوبة متقارب في كل فصول السنة.

التفاح على الأرصفة:

رأينا أكواماً من ثمار التفاح ساقطاً على الأرصفة في هذه المدينة لا يجد من يلتقطه، وقد أسقطته الريح أو النضج من الشجر، ولكون أهل الريف من الأغنياء، وإن التفاح رخيص بالنسبة إلى دخولهم المرتفعة في البلاد، فإن أصحاب البيوت التي تزدان حدائقها بأشجار التفاح لا يجمعونه للبيع، وإنما يأكلون منه، وأكلهم منه قليل، وعدد أفراد الأسر عندهم قليل أيضاً، لذلك يبقى في شجره، وبعضهم يفرح بمن يقرع عليه الباب ويقول له: أريد جمع التفاح من حديقة منزلك، لأنه إذا لم يفعل ذلك فإنه يسقط على الأرض ويلوث المكان، ويحتاج جمعه مرة ثانية ونقله إلى أماكن القمامة مجهوداً لا يريدون أن يبذلوه.

وليس هذا بالنكتة التي تطلق عفواً، فقد رأيته بعيني، ورأيت أشجاراً في البيوت قد امتدت أغصانها فوق الرصيف محملة بثمار التفاح لينضج، وقد سقط على الرصيف، وبقي دون أن يأخذه آخذ.



منظر عام لجانب من مدينة (سق تونا) على البحيرة

قالوا: وتنتج هذه المنطقة إلى جانب التفاح فاكهة أخرى، منها الكرز الذي رأينا بعضه على شجره، وكذلك الكمثرى يوجد لديهم بكثرة، ورأيناه في شجره أيضاً.

ومن معالم هذه المدينة مدرسة ثانوية عريقة كبيرة تعتبر لعلية القوم يلحقون بها أولادهم حتى من كان منهم خارج مدينة (سق تونا).

أنوار ساطعة في النهار:

غادرنا مدينة (سق تونا) بعد أن قضينا فيها بعض الوقت قاصدين مدينة (أستكهولم)، ولم تعجبني الإقامة في فندقها الذي يبعد عن المدينة بـ٤٧ كيلومتراً مع الطريق الذي كان حافلاً بالسيارات، وأغلبها من سيارات الركوب الصغيرة النظيفة، واسترعى انتباهي أن مصابيح السيارات كلها مضاءة في هذا الوقت الذي هو منتصف النهار وفي جو ذي شمس ساطعة، فسألت عن ذلك فأخبروني أن إضاءة مصابيح السيارات أمر لازم بموجب الأوامر المرعية في البلاد، ولا يجوز إطلاقاً لسائق السيارة أن يسير دون أن يضيء مصابيح سيارته الأمامية والخلفية، سواء أكان ذلك

ليلاً أم نهاراً.



أحد الطرق الرئيسية بين (سق تونا) و(أستكهولم)

وقد حملهم على ذلك كون البلاد كثيرة الضباب، قلما تشرق فيها الشمس في بعض الأوقات، لذلك أوجبوا إضاءة الأنوار في السيارة.

هذا وقد دخلت طريقاً متسعاً سريعاً ذا اتجاهين في كل اتجاه مسار يتسع لسيارتين، وتركبه جسور للسيارات المعترضة بين الحين والآخر.

ولكن - ولله الحمد - قد أصبحنا ننافس الدول المتقدمة في الطرق والجسور رغم عدم كثافة السكان في بلادنا، وعدم شمول التعليم لجميع أفراد شعبنا.

ومع ذلك فإن الجمال الذي نسير فيه الآن يجعلنا نشعر حتى بجمال هذه الطرق التي توجد مثيلاتها في بلادنا، بل توجد لدينا طرق أفضل منها من حيث السعة وكثرة الجسور، وخاصة في مدننا الكبيرة.

ولكن المرء يشعر هنا إذا غض بصره عن هذه الطرق السريعة الحديثة بأنه يسير وسط غابات كثيفة، لأن المنطقة كلها مجللة بتلك الغابات، وهي غابات عذراء لا تمس، لأنها لا يجوز عندهم قطع أي شجرة إلا بعد الحصول على إذن من السلطات الحكومية المختصة التي لا بد أن تشترط على من يقلع الشجرة أن يغرس غيرها بديلة منها.

إلا أن تلك الغابات الكثيفة والأشجار الموجودة في كل مكان هي منسقة الجوانب، وبخاصة ما كان منها قرب طريق.

ويرى المرء البيوت الريفية المنعزلة في هذا الريف زاهية الألوان، جميلة المنظر كأنها البيوت في المدن، إن لم تكن أحسن منها في ذلك.

وبعض البيوت موجودة داخل الغابات الكثيفة.

في مدينة أستكهولم:

قصدنا من المدينة فندقاً يقع على حاشية القلب القديم لها، وإن يكن خارجاً قليلاً عنه، يسمى فندق (دوموس) ولا أدري معنى اسمه، إلا أنهم ذكروا أنه فندق قديم يرقى عهد إنشائه واتخاذه فندقاً إلى ٧٠ سنة.

وجدنا في مكتب الاستقبال في الفندق فتاة رقيقة لا تستطيع إلاَّ أن تصفها بالسويدية فيكون معنى ذلك الرقة والتهذيب في المعاملة للقريب والغريب، ويكون مع ذلك الجمال في الغالب، إلا لمن يرى أن الجمال هو جمال اللون دون جمال التقاسيم، فإن الجمال هو القاعدة الغالبة.

ذكرت أن أجرة الغرفة لليلة الواحدة (٦٧٠) كرونة، ويساوي ذلك ١٢٠ دولاراً تقريباً.

وبريالاتنا يكون أربعمائة وستين ريالاً على وجه التقريب، وتدخل في ذلك وجبة الإفطار في الصباح.

طابق غير المدخنين:

وكدت أن أكتب العنوان (أين أنتم أيها المقلدون ؟) ولكنني تذكرت أنني قد استعملته في أحد كتبي فلم أحب أن أكرره.

عندما حجزنا عندها سألتنا: أنحن من المدخنين؟ أو من غير

المدخنين؟ وقد استغربت هذا السؤال الذي لم أر له محلاً هنا، وعرفت محله بعد ذلك، فالمدخنون لهم طابق خاص في الفندق، وغير المدخنين لهم طابق خاص كتب عليه وبخاصة على مداخله: إنه يمنع هنا التدخين.

ولذلك يسلمون من أذى المدخنين المتطفلين حتى وإن كان تدخينهم يكون وسط غرفهم، وبينهم وبين غير المدخنين من ذلك حجب وأبواب.

وقلت في نفسي ولصحبي بعد ذلك: ماذا لو أخذ أهل بلادنا بمثل هذه الفكرة؟

لا شك في أن المقلدين ومدعي التمدين سيقولون عنهم إنهم من المتعصبين المتأخرين الذين لا يفهمون شيئاً من أمور التمدين.

فكنا في غرفنا بعد ذلك نأمن حتى أن نرى مدخناً في طرقات هذا الطابق من الفندق وفي أبهائه.

ونزلت في غرفة في الطابق الرابع، فيها سريران وفيها تلفاز ملون وثلاجة، ومستواها مستوى فنادق الدرجة الأولى، وإن كانت أبهاء الفندق ومداخله أقل من ذلك بكثير.

مدرسة بلال الإسلامية:

كانت أولى الفقرات العملية هذا اليوم زيارة (مدرسة بلال الإسلامية)، وهي مدرسة تابعة لمركز الجمعيات الإسلامية الذي يديره أخونا ومرافقنا (سعيد نورتال) مبعوث رابطة العالم الإسلامي.

وأكثر الطلاب الذين يدرسون فيها هم من الأفارقة، ومعهم قلة من الطلاب المسلمين من غير إفريقية.

ومن الغريب أن هذه المدرسة الإسلامية تشغل طابقاً واسعاً في مبنى حكومي أعطت الحكومة لهم ذلك الطابق من أجل اتخاذه مدرسة إسلامية بالمجان، أي من دون أن يدفعوا إليها أي شيء من الأجرة أو نحوها.

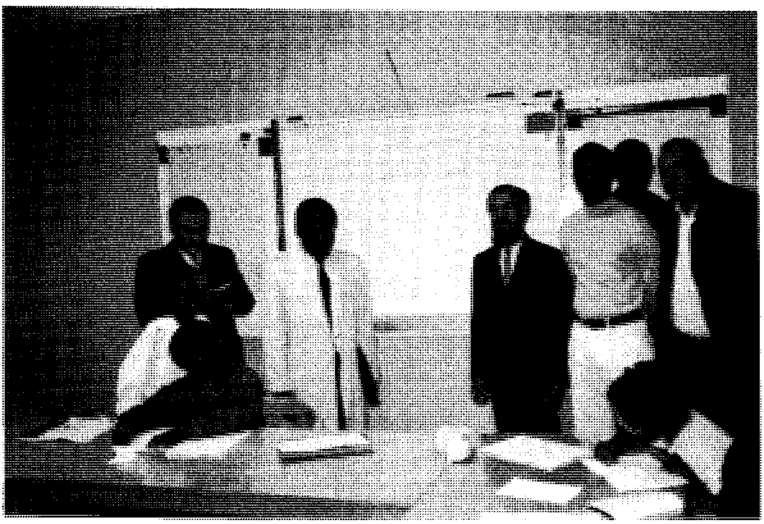
وهو طابق واسع حديث يشتمل على عدة غرف ومرافق كلها نظيفة.

ويبلغ عدد الطلاب فيها أو لنقل الأطفال فيها لأنها مدرسة للأطفال ٧١ طالباً من الجنسين الذكور والإناث، والذكور فيها هم الأكثر.

وعندهم خمسة من المدرسين، ثلاثة مدرسين ومدرستان، ولكنهم كلهم غير متفرغين لهذه المدرسة، وإنما يحضرون في وقت من الأوقات فيؤدون فيها ساعات معينة، أحياناً لا تزيد على ساعة واحدة للأستاذ الواحد في اليوم.

والمدرسة تدرس دواماً كاملاً في يومي السبت والأحد، وتدرس كذلك في غيرهما.

ويدفع المصاريف المتكررة لها (مركز الجمعيات الإسلامية) الذي سبق ذكره، وهو الذي سنزوره بعدها إن شاء الله، وذلك من التبرعات التي يحصل عليها من المسلمين.



داخل مدرسة بلال الإسلامية مع الرفقة

ووجدنا معهم كتباً عربية من التي تستعمل في تدريس العربية للطلاب الأجانب في المملكة، فقد صوروها هنا، وجعلوها مقررات

دراسية، وقد قام بتصويرها الأخ مصطفى غنيم وكتب عليها أنها إهداء من (إيمان غنيم)، وهي ابنة له صغيرة لا يزيد عمرها على تسعة أشهر.

مركز الجمعيات الإسلامية:

يقع في القلب التجاري المهم من المدينة حيث محطات القطار والحافلات والقطارات الكهربائية، ويسمونه (سنتريوم)، وهذا اسم قلب المدينة وهي الكلمة الإنكليزية (سنتر) و(سنترو) باللغات اللاتينية.

أما اسم الحي فهو (هوشرتب).



إمام مركز الجمعيات الإسلامية في محراب المركز

وجدنا المركز في طابق تحت الأرض (بدروم) يدخل إليه من الشارع، وينزل إليه بدرج قصير، وهو ضيق المساحة يمتلئ يوم الجمعة بالمصلين،

حتى يضيق بهم، ويرجع بعضهم من دون صلاة، وهذا ما حدث لعدد من أعضاء السفارة السعودية الذين حدثوني أنهم يحضرون للصلاة فيه، فلا يجدون مكاناً إذْ يكون مزدحماً جداً حتى إن بعض الحاضرين لا يجدون مكاناً لوضع جباههم عليه في المسجد.

مع أن أكثر السفراء المسلمين يصلون فيه لقربه من السفارات.

ورأيتهم وضعوا ستارة يتسع ما خلفها لأربع أو خمس من النساء، ولكنهم يرفعونها يوم الجمعة، لأن المكان يضيق بالرجال، ومع ذلك ذكروا أن أجرته ١٣٦ ألف كرونة سويدية في الشهر، وذلك يعادل ألفين وثلاثمائة دولار أمريكي، تدفعها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة كاملة.

ويعرف عند الناس بأنه مركز خاص بالسعودية، لأن المملكة هي التي تدفع راتب إمامه الشيخ (سعيد نورتال) وتدفع أجرة المكان، وهو إلى ذلك مركز خاص بالشؤون الإسلامية الصحيحة من دون التدخل في الأمور السياسية، أو سبّ بعض الإخوة المسلمين من حكام ومحكومين، كما تفعل بعض المراكز التي يشرف عليها بعض العرب في هذه البلاد.

مستشفى الكلاب:

ومن المخجل أن هذا المركز الإسلامي الذي يضيق بالمصلين، بل يرجع بعضهم من دون صلاة لعدم وجود متسع فيه للمصلين، ويقع بجانبه غير بعيد منه، وإن لم يكن ملاصقاً له بناءٌ كامل، حسن الطلاء، يشغله مستشفى للكلاب، يعالج مرضاها، ويقيم فيه المسنون منها - بمعنى المتقاعدين عن العمل من الكلاب - وتنفق عليه النفقات الطائلة.

أما هذا المركز الإسلامي الذي تنفق عليه أغنى الدول العربية بالثروات النفطية، وهي التي عهد إليها برعاية شؤون الحرمين الشريفين، وهي أيضاً التي تقوم على الإنفاق على المراكز الإسلامية في العالم، وتساعد الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في كل القارات، ويصلي فيه عدد من سفراء الدول الإسلامية، فإنه بهذه المثابة من الضيق.

وعلى ذكر هذا المستشفى للكلاب الذي لا يحظى بمثله القادرون على العمل من الرجال، بمعنى أنهم لا يدخلونه من دون مقابل، فإن إنشاءه نابع من عناية السويديين بالكلاب خاصة وبالحيوان عامة، حتى إن القطط لا تجوع في بلادهم، بل إذا لم يطعمها الناس أطعمتها الدولة، ولا تترك من دون علاج إذا احتاجت إلى ذلك.

حتى إن العرب هنا يقولون: إن ترتيب الأفضلية عند السويديين هي للأطفال أولاً، يليهم في ذلك النساء ثم الكلاب، ويأتي بعدهم الرجال في المرتبة الرابعة من العناية، ويعلق بعضهم على ذلك من أنه ناشئ أيضاً من زيادة عدد النساء في السويد بالنسبة إلى عدد الرجال.

هذا وقد عقدنا جلسة في المصلى الذي هو صغير ضيق غير مناسب قد صنعوا له محراباً اصطناعياً، وجلس معنا الأخ مصطفى الريس وهو لبناني هاجر أولاده إلى هذه البلاد قبل عشرين سنة، ثم لحق بهم بسبب الحرب الأهلية في لبنان، ويعمل متفرغاً متبرعاً في المركز، وكان معنا عدد من الإخوة الذين وجدناهم في المركز من الصومال وإفريقية الغربية والعراق، وجرى البحث حول الشؤون الإسلامية وأحوال المسلمين في هذه البلاد.

وقد أجمعوا كلهم على مدح موقف الحكومة السويدية من اللاجئين والمقيمين والأجانب، وأنها لا تميز المسلمين من غيرهم، فلا تنقصهم عما

تعطي غيرهم، فضلاً عن أن تتعصب ضدهم، بل إنها تدفع مساعدات مالية للمراكز والجمعيات الإسلامية في السويد مثلما تدفع للكنائس التي يتبعها السويديون أنفسهم.

وقد تقدم ذكر ذلك.

في السفارة السعودية:

انطلقنا من مركز الجمعيات الإسلامية إلى السفارة السعودية في منطقة للسفارات الأجنبية غير بعيدة من (السنتريوم) وهو قلب المدينة التجاري، فوجدنا السفارة السعودية في مبنى من أبنية متلاصقة متعددة الطبقات، وليست في مبنى مفتوح على هيئة (فيلا) أو على هيئة بيت .



في قلب مدينة أسنكهولم

فتح الباب سفيرنا الأستاذ (مروان الرومي) بنفسه، فقد كان يتوقع قدومنا، فصعدنا منذ أن دخلنا الباب على درج يؤدي إلى الطابق الثاني وهو الذي يقع فوق الأرضي، حيث مكتب السفير، وعقدنا في مكتبه جلسة استمرت ساعتين كاملتين تناول الحديث فيها كل ما يتعلق بأحوال

المسلمين في هذه البلاد السويدية، وأوضاع المراكز الإسلامية بوجه عام، ومركز (مالمو) بصفة خاصة.

وهو المركز الذي من مهمتنا أن نتصل به ونسوي أوضاعاً معلقة فيما بينه وبين رابطة العالم الإسلامي، وتقع (مالمو) على بعد ٦٣٠ كيلومتراً من أستكهولم، وسوف نتوجه إليها بطريق البر بإذن الله، وذلك من أجل أن نزور في طريقنا عدداً من المراكز الإسلامية والجمعيات الإسلامية في عدد من المدن السويدية.

وحضر الاجتماع الأخ (محمد بصفر) المسؤول في السفارة عن الشؤون الإسلامية، وعلاقة السفارة بالمراكز والجمعيات الإسلامية.

وقد بحثنا ذلك كله بحثاً مستفيضاً، واستشرنا السفير في بعض الأمور، كما أطلعناه على الأمور التي ليس عند السفارة علم بها فيما يتعلق بالمراسلات المباشرة ما بين الرابطة والمراكز الإسلامية في البلاد.

مأدبة السفير:

غادرنا السفارة في الرابعة عصراً، وهو عصر أقرب للمساء، إذْ تغيب الشمس بعد الخامسة بقليل، كما تغيب عندنا في الشتاء في الرياض بعد الخامسة بقليل.

فذهبنا مع السفير على سيارته التي يقودها بنفسه إلى فندق (قراند هوتيل) وهو من أفخر الفنادق في هذه البلاد، وإن لم يكن أفخرها وأغلاها، ويقع في داخل المدينة ولكن على شاطئ خور بحري من هذه الأخوار، وهي الخلجان الصغيرة المتعددة التي تقع عليها مدينة أستكهولم.

فكان الغداء في مطعمه الفاخر، ومعنا الأستاذ محمد بصفر من

السفارة، والأخ مصطفى غنيم، والشيخ سعيد نورتال وهما المرافقان لنا في أستكهولم.

وكان الغداء في مكان يصح أن يقال فيه ما قيل في المثل القديم: «خالطوا الناس وزايلوهم» أي ابتعدوا عنهم، أو لا تخالطوهم مخالطة لا تنفصل عنهم، فقد كان يفصل المطعم عن شارع الشاطئ الذي يسمى عند العامة شارع الكورنيش جدار من الزجاج الصافي، باطنه فيه الدفء والطعام الفاخر، وظاهره البرد والريح.



أحد الأخوار البحرية في مدينة أستكهولم

وهذا الشاطئ هو شاطئ خور كما قلت يدخل من البحر في الأرض، وهو بحر البلطيق الذي وقفت على شواطئه في عدة أماكن، منها شاطئ مدينة غدانسك في بولندا، ولكن هذا الشاطئ جميل جداً، فهو ذو أخوار كما قلت، وهي الألسنة أو الخلجان الصغيرة الداخلة في الأرض من البحر، وقد نسقوا ما حوله من الأماكن وجملوها وغرسوها زهوراً وأشجاراً منسقة.

وهذا الخور الضيق من البحر هو على هيئة هلال، عليه أبنية تاريخية

مهمة جداً، منها القصر الملكي ومبنى المطار.

وترسو حوله قوارب جميلة عديدة، أكثرها قوارب للنزهة أو للانتقال الشخصي الخاص.

وقد غام الجو قبل المساء، فحل ظلام قبل أن تغيب الشمس، وقال الإخوة الحاضرون: إن الجو المظلم في هذه البلاد يبعث على الكآبة، وقد وصل بعضهم به إلى درجة كونه يكون سبباً للانتحار، وأنه من أسباب كثيرة للانتحار في هذه البلاد، وأظن أن الأمر ليس كذلك، وإن كان قد يبعث على الاكتئاب، وإنما سبب الانتحار هو خلوّ القلب من الإيمان، وعدم وجود مثل عليا يؤمن بها الإنسان، ويطمئن ضميره إلى كونه سار عليها، وأهم ذلك هو الإيمان الذي يوفره الدين، كما ذكرت ذلك في موضع آخر من هذه الرحلة.



شارع عام في مدينة أستكهولم

هذا ونحن الآن في أول شهر أكتوبر، فكيف بهم في الشهور الباردة المظلمة حقاً عندما تبتعد عنهم الشمس جهة الجنوب، ويقصر النهار حتى لا يتعدى ست ساعات، ويحل البرد الذي يجعل انزواء الإنسان في بيته وانطواءه

على نفسه أمراً معتاداً، وإن كانوا قد عالجوا ذلك بوجود النوادي والأماكن الرياضية العامة المدفأة، فإنها تكون على وتيرة واحدة وتحتاج إلى نفقة.

يوم الإثنين ٩/٤/١٤١٣هـ:

جولة في مدينة أستوكهولم:

معنى اسمها باللغة السويدية القديمة (مستودع الجُزر) أو مخزنها، فاستوك: مستودع أو مخزن، وهولم: جزر - جمع جزيرة -، وليس أكثر من الجزر في مياه السويد الإقليمية.

ويبلغ عدد سكانها مليوناً من النفوس من مجموع سكان السويد البالغ عددهم ثمانية ملايين وثلاثمائة ألف نسمة، وكانوا قبل ١٥ سنة ثمانية ملايين وأربعمائة ألف فنقصوا.

كانت الجولة هذا اليوم على سيارة الأخ الكريم مصطفى غنيم، وهو ضابط مصري اختلف مع رؤسائه وهاجر إلى السويد، وعمل في عدة أعمال، منها عمل مترجم ذكر أنه يدر عليه أكثر من راتب رئيس جمهورية مصر، إذْ قال: إن دخله في بعض الأوقات السابقة يصل إلى ٢٦ ألف كرونة في الشهر، وذلك يساوي قرابة خمسة آلاف دولار أمريكي.

وهو حاصل على الجنسية السويدية، ومتزوج من سويدية أنجبت له ولدين ذكرين، ثم طلقها لأنها مرضت في رحمها فعزفت عن المعاشرة الزوجية، وتزوج بمصرية، ولكنه يثني على السويدية، ويذم المصرية لكونها لا تحنو على أولاده من السويدية، وتغضب إذا زارهم.

قال: لقد طلقت السويدية بناء على الاتفاق معها، لأن القانون السويدي لا يجيز الزواج بأكثر من واحدة، وهي لا تصلح للفراش، ولا تزال صلتي بها قوية بسبب ولدينا.

ويعمل في المركز الإسلامي مشجعاً ومتعاوناً وهو متدين، وكان

معنا رفيقي في السفر إلى السويد والنرويج الأستاذ محمد حافظ والأستاذ سعيد نورتال، وهو من غامبيا مبعوث رابطة العالم الإسلامي للدعوة إلى الله في السويد كما تقدم، ونزيد هنا أن مواطني غامبيا يجوز لهم أن يدخلوا السويد والنرويج بدون سمة دخول، ولذلك كثر عددهم فيهما.

اخترقنا شوارع (أستوكهولم) الجميلة المنظمة، والجمال والترتيب إذا اجتمعا كانا نموذجاً للشيء المحبوب، لأن بعض البلدان قد تكون شوارعها منظمة ولكنها ليست جميلة، ولا يبتغي أهلها الجمال فيما يفعلونه لها، وإنما يقصدون الراحة المادية والتنظيم.

أما هذه البلاد فإن أكثر ما يشاهده المرء فيها هو جميل، من الشوارع والمنازل والحدائق والأرصفة، وأما الذين يمشون على الأرصفة فإن جمالهم كجمالها أو أكثر، وربما كان جمالهم هو الذي أعطاها هذا الجمال، لأن المعروف أن الجميل أو الذي عاش في وسط جميل يصبح من طبيعته أن يبتغي الجمال أو ينشده فيما يصنعه إلى جانب التنظيم والمنفعة.

أبنية أثرية:

وصلنا إلى منطقة قديمة من المدينة وفيها أبنية أثرية حافظوا عليها وعلى طابعها القديم، وإن كانوا يجددون طلاءها والعناية بها، ذكروا أن تاريخها يرقى إلى مائتي عام، وهي مكسوة بالآجر، إضافة إلى ما بنيت به من أعمدة لا يراها الإنسان لأنها مستورة.

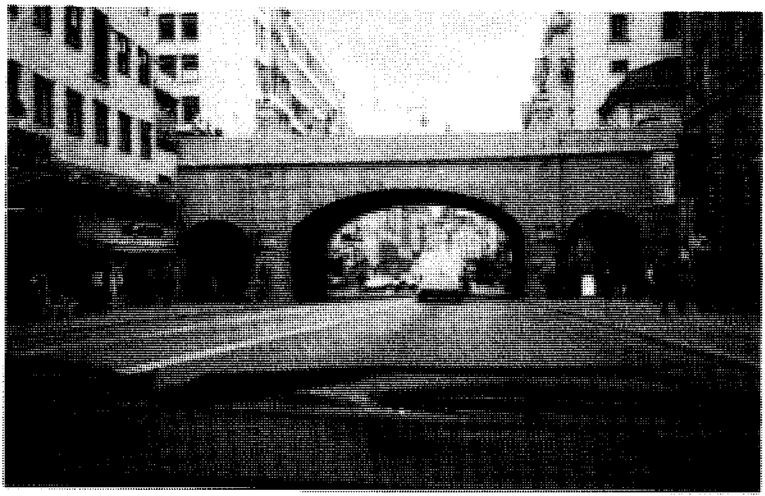
ولا يجد الإنسان فيها ما يميزها كثيراً عن غيرها من الأبنية الحديثة المعتنى بها هنا، لأن القوم يحرصون على أن تكون أبنيتهم كلها مستوحاة من أطرزة وطنية معينة، إلا ما كان من بعض أبنية الشركات أو المؤسسات التي تكون في ضواحي المدينة وأطرافها، وهي أيضاً جميلة

معتنى بها.

وذلك راجع إلى طبيعة الشعب السويدي في حب الجمال، وفي كفايته من العيش الرغيد الذي يجعله يتطلب ما فوق الشيء المعتاد وإلى شيء مهم جداً وإن كان منبثقاً من الأول أو مبنياً عليه، وهو أن الدولة تجبر أرباب المنازل على تجديد طلائها، فضلاً عن ترميمها حتى بتجديد أقفالها، وملاحظة ذلك.

الجسور والأنفاق:

والجسور والأنفاق في هذه المدينة كثيرة ومتعددة، ولكن أنفاقها دون أنفاق مكة المكرمة بكثير، وجسورها دون جسور الرياض.



الجسر القديم في قلب مدينة أستوكهولم

هذا إذا نظرنا إلى الموضوع نظرة مقارنة ظاهرية مجردة، أما إذا نظرنا إلى بواطن الأمور فإننا نجد أن الشعب السويدي الذي يستخدم هذه الجسور والأنفاق يدفع مقابل ذلك ضرائب عديدة متنوعة من دخله، على حين أن الشعب في بلادنا لا يدفع مقابل ذلك أي شيء، وكل المطلوب أن

يحافظ عليها بعدم القيام بأي عمل قد يشوه جمالها مثل رمي الأوراق أو المهملات فيها، أو مثل كتابة عبارات أو نقش نقوش عليها.

الضواحي في وسط المدينة:

مما يميز المدن الراقية أمر فطنت إليه بعض البلدان في الأزمنة القريبة وهو أن لا تكون الأبنية متلاصقة متراكمة لا يجد ساكنوها مقادير من الهواء النقي يتنفسونها، ولا مساحات واسعة يطلقون أبصارهم وأرجلهم فيها.

ومدينة (أستوكهولم) من المدن الراقية التي راعت ذلك من زمن قديم، فيرى المرء في وسط المدينة - ما عدا قلبها التجاري - مساحات واسعة من الفراغ والحدائق والأراضي المعشبة. بل يرى بعض البحيرات، فضلاً عن الأخوار وهي الخلجان الصغيرة - جمع خليج - التي تكثر في المدينة.

ومع ذلك فإن المدينة لم تبن على نهر من الأنهار، وإنما تقع فيها وبجانبها عدد من البحيرات العذبة، ذكروا أن المدينة فيها ثلاث بحيرات، وأما ما يكون بقربها فضلاً عما في السويد من البحيرات الصغيرة والكبيرة فحدث عنه ولا حرج.

ومن ذلك ضاحية في المدينة تسمى (الذنتشو) بمعنى البحيرة، وبقربها حديقة غناء قد أقاموا عليها سياجاً ساتراً مضاعفاً من الخشب فيما بينها وبين طريق سريع عام للسيارات تسلكه أعداد كبيرة منها، وذلك من أجل أن تمنع وصول الأدخنة المنبعثة من السيارات إلى أشجار الحديقة فتؤذيها.

وقد جعلني ذلك أضحك من هذا الأمر، مع أنه لا يثير الضحك،

وإنما يثير الاستغراب والإعجاب، ولكن ذلك لكون كثير من الحكومات المتخلفة التي انبثقت عن شعوب متخلفة لا تبالي بحماية الناس من أن يستنشقوا أدخنة السيارات التي تلوث الهواء، فضلاً عن أن ينظروا في حماية الأشجار منها.



حديقة بين في أستوكهولم

جزيرة الحب:

وصلنا حياً يسمى (سترا) وهو من ضواحي مدينة (أستوكهولم) يشقه الطريق الذي نسير فيه.

وفيه لافتة مضيئة تشير إلى أن الحرارة في هذه الساعة هي ١١ درجة مئوية، وهذه درجة معتدلة في هذه البلاد في أول شهر أكتوبر.

ولافتة تشير إلى جزيرة صغيرة اسمها (شور هلمان) بمعنى جزيرة الحب، فهلمان بلغتهم: جزيرة، وشور: حب أو حبي.

وهناك غير بعيد منها منطقة أو ضاحية يسمونها قرية الربيع (بور

بي)، فبور: ربيع، وبي: قرية. وقد استرعى انتباهنا وجود هذين الاسمين لأسهم تشير إلى الطريق إليهما.

ولك أن تتصور شاعرية هذين الاسمين في هذه المدينة الجميلة التي يسكنها من جمَّل الله ظاهرهم بحسن اللون، وجمال الخلقة، وأكدوا ذلك بفعلهم الجميل تجاه مواطنيهم، وتجاه الآخرين الذين يصلون بلادهم أو يحلون ضيوفاً عليهم.

ومن الغريب أن يجد المرء غابات باسقة الأشجار، كثيفة الاخضرار، وسط الأبنية أو الأبنية وسطها.

وقد زان تلك الأشجار الخضراء، أو شانها - إن شئت - شعورها بقرب حلول الخريف الذي تراه في اصفرار الأوراق في أطرافها، فكأن ذلك خجل الحبيب الجميل عندما يصفر وجهه عند لقاء الحبيب.

وقد زاد من جمال المنطقة أن فيها ربى غير حادة الارتفاع، أو لنقل إنها متواضعة لم تشنها، وإنما أبعدت عنها الرتابة.

حي المسلمين:

وصلنا إلى حي قصدناه يعرف بأنه (حي المسلمين)، بمعنى أن المسلمين يكثرون فيه، ويسمى (فتيا)، وهو ضاحية من ضواحي المدينة تكاد تكون منعزلة عنها، وإن كانت متصلة بها، ومعنى كونها حيًّا للمسلمين هو أن المسلمين يقطنون فيها أكثر مما يقطنون في أي حي آخر من أحياء مدينة (أستوكهولم)، وليس معنى ذلك أنهم أغلبية سكان الضاحية.

وقد أكد لي عدد من المسلمين المهتمين بهذه الأمور ممن يطلعون على

الإحصاءات المتعلقة بالمسلمين فيها أن نسبة سكانها من المسلمين تبلغ فيها ما بين ٤٠ إلى ٤٥٪.

وهم من بلدان متعددة فيهم عرب وأتراك.

المركز الإسلامي:

في هذا الحي حي (فتيا) عدة مؤسسات إسلامية من مراكز ومساجد ومدرسة وفصول دينية في المساجد، وسوف نزور بعضها.

أولها الذي زرناه (المركز الثقافي الإسلامي) وجدنا عليه لافتة نصها بالسويدية. (إسلاميكا كولتشر سنتر ينن. إسفريا ١٩٨٤).

ومعنى إسلاميكا: إسلامي، وكولتشر: ثقافي وهي الكلمة الإنكليزية المعروفة (كلتشر)، وسنترينن: مركز، وإسفريا: هي السويد. هكذا ينطقون باسم بلادهم السويد (إسفريا).

وهذا المركز هو مقر اتحاد المراكز الإسلامية الذي أنشئ في عام ١٩٨٤م تحت إشراف الأستاذ حمزة بال، وهو تركي مثقف يتكلم في التلفاز عن الإسلام، وله نشاط جيد، إلا أنه مثل غيره من الأتراك يحبون العمل وحدهم، أو لنقل إنهم لا يحبون الاختلاط بباقي الأجناس الأخرى من المسلمين خوفاً من المشكلات، وبخاصة مع الإخوة العرب الذين يرون كثرة تفرقهم واختلافهم، بسبب كثرة الأهواء والاتجاهات السياسية في البلدان العربية، وكون بعضهم يؤيدون بعض حكام البلدان العربية وبعضهم يخالفونهم.

ويتبع هذا الاجتماع أربعة عشر مركزاً إسلامياً في السويد، فيها الأئمة والمصليات إن لم نقل المساجد، ونحن لم نقل هذا، وحق لنا أن

نقوله، لكون المسجد صار الآن في عرف كثير من الناس يطلق على المصلى الذي له صفة المسجد المميزة من منارة وقبة، وغير ذلك من المظاهر، أما المساكن التي تستأجر وتهيأ من الداخل لكي تكون أماكن صلاة، وإن لم تختلف في داخلها ولا في الانتفاع بها عن المساجد المعتادة، فإنهم يسمونها مراكز، ولا يسمونها مساجد. وقد بلغ عددها الآن خمسين مركزاً تقام فيها الصلاة، وكل هذه المراكز الإسلامية عمرها أقل من خمس عشر سنة.



محراب مسجد مقر اتحاد المراكز الإسلامية في فتيا (أستوكهولم)

ومثلها المراكز الإسلامية العربية التي بدأت بعد ذلك، وانتشرت في السويد، ولا تسمى بالمراكز الإسلامية العربية تجنباً لعدم سوء الفهم من كونها خاصة بالعرب، وهي لعامة المسلمين، بل إن إخواننا العرب يسمونها

المراكز الإسلامية، ولو كانوا هم القائمين عليها من جهة النفقة والإدارة، وكذلك الخطب باللغة العربية.

ولكن الأتراك عادة لا يذهبون إلى المساجد العربية، إلا إذا لم يكن بقربهم مركز إسلامي تركي، فإنهم يصلون في أقرب مسجد، ولكنهم لا يدخلون مع أهله في الاجتماعات أو سماع المواعظ، لأنهم لا يعرفون العربية، وغالباً ما يكونون أيضاً لا يعرفون الإنكليزية، ولا لغة البلاد التي يقطنونها، بخلاف العرب الذين يسرعون إلى معرفة لغة البلاد، إلى جانب كون أكثرهم يعرفون الإنكليزية من قبل.

كما أن السفارة التركية تؤكد في أكثر الأحيان على الإخوة الأتراك أن تكون لهم مساجدهم ومراكزهم الخاصة بهم التي يكون الوعظ والإرشاد فيها باللغة التركية وحدها، وغالباً ما ترسل إليهم رئاسة الأئمة والخطباء في تركيا أئمة من تركيا بنفقتها، وتشرف السفارة التركية على أحوالهم من الناحية السياسية.

وكل هذه المراكز حديثة الإنشاء، فإن أول إمام لجماعة في السويد كان في عام ١٩٧٩م، وقبل ذلك كان عدد المسلمين قليلا، ولم تكن لهم مراكز يصلون فيها، ولا كانوا يحضرون الجمعة، لأنه لا تصلى الجمعة. إلا ما كان من بعض السفارات الإسلامية التي تكون في مقراتها مصليات خاصة بها ومن يريد من أعضاء السفارات المسلمة الأخرى.

وغالباً ما تكون أماكن الصلاة في السفارات صغيرة، ولا يمكن دخولها لغير السياسيين المعروفين لدواعي الأمن كما يقولون.

ويعمل مع الأستاذ (حمزة بال) نائبه (حسين آيات)، وقد علمنا بعد ذلك أن لهما نشاطاً جيداً في خدمة الدين الإسلامي، ومن ذلك أنهما

يظهران عدة مرات في التلفاز السويدي، ويناقشان الأمور الإسلامية وبحوثهما في التلفاز جيدة .

وقد ذكر الأخ حمزة بال أن لديه موعداً اليوم للاجتماع مع رؤساء الكنائس في السويد في مؤتمر لهم هو الثالث من نوعه، يجتمع فيه أئمة المساجد والقساوسة من أجل البحث في الأمور المشتركة بينهم، وهي محاربة الإلحاد، والحصول على المساعدات للجمعيات الإسلامية من الحكومة، كما يهدف المسلمون وبعض المسيحيين إلى مقاومة التعصب الديني المذهبي الذي يسود الآن بعض أنحاء أوربا ضد المسلمين بصفة خاصة، وضد المهاجرين بصورة عامة.



مسجد المركز التركي بحي فتيا بأستوكهولم

والمركز واسع تبلغ مساحته ثلاثمائة متر مربع، وهو طابق أرضي

مؤلف من عدة أجزاء، منها مكتب اتحاد المراكز الإسلامية الذي لا يوردون فيه كلمة (تركي) ابتعاداً منهم عن العنصرية، لكونهم يصلي معهم مسلمون من غير الأتراك، وإن كان واقع تلك المراكز هو ما قدمت ذكره. وفيه مصلى في غاية النظافة مع الأثاث ذي الرونق الجميل الذي لا يوجد مثله إلا في منازل أغنى الأغنياء، كما أن الذوق الجميل هو السائد فيه انسجاماً مع الذوق الجميل الذي يسود بلاد السويد كلها، ومع الذوق التركي المتمدين.

فعلى سبيل المثال وضعوا مائدة عصرية أنيقة مستطيلة تطوى وتلصق بالحائط، وفوقها مكواة كهربائية من أجل أن يكوي فيها المصلون سراويلهم الغليظة إذا انثنت بعد الصلاة التي قد يؤثر الركوع والسجود فيها على السراويل المكوية.

وعندما أبديت إعجابي بالنظافة والذوق الرفيع والأثاث الغالي الذي يفوق الأثاث الذي يكون عادة في بيوت السويديين ومكاتبهم، قال الأخ حمزة بال: إن السويديين من مسؤولين وكبار ومثقفين يأتون إلينا يزورون مركزنا، ويريدون الاطلاع على ما عندنا من كتب، وما نمارسه من شعائر، لذلك وجب أن يظهر في هذا المظهر الممتاز الذي يؤثر فيهم.

الحكومة تساعد المسلمين:

قد يكون موقع هذا العنوان سبق في مكان آخر من الكتاب، ولكن ذكرته عندما أجابني الأخ حمزة بال على سؤالي عن كيفية تسديد مصاريف أجرة المركز، والمصاريف المتكررة من الكهرباء والماء والتدفئة، فقال: إننا نحصل على مبالغ من الحكومة السويدية عن طريق مجلس الكنائس في السويد.

وذكر أن اتحاد المراكز الإسلامية الذي يرأسه يحصل من الحكومة السويدية على مليون وثلاثمائة ألف كرونة في السنة، وذلك يساوي مائتين وستين ألف دولار أمريكي تقريباً، توزع على المراكز المذكورة فتسد كثيراً من المصاريف، ويكملون ذلك من تبرعات المصلين وبخاصة يوم الجمعة.

مع أنهم نوهوا كما نوه غيرهم فيما بعد بأن الاقتصاد السويدي يمر الآن بمرحلة صعبة، لذلك قلت مداخيل المسلمين، وبالتالي قلت قدرتهم على التبرع.

ولم يذكر لنا الأخ الشيخ حمزة بال سبب المساعدة التي تقدمها الحكومة السويدية للمسلمين، ولم نسألهم عن ذلك، لأنني أعرفها وأعرف سببها منذ مدة طويلة.

وسببها أن حكومة السويد، ومثلها حكومة النرويج لاحظت أن الانتحار هو أعلى نسبة فيها من أي مكان على وجه العالم، وأيدتها في هذا الحكم منظمة الصحة العالمية التي تتبع هيئة الأمم المتحدة التي تتابع مثل هذه الأمور، وتجرى إحصاءات مستمرة لها، مع أن حكومات الدول الإسكندنافية عامة وحكومة السويد خاصة، توفر لرعاياها من المزايا الاقتصادية، والرعاية الاجتماعية ما لا توفره دولة من الدول الأوربية فضلاً عن غيرها.

وقد أباحت لهم الملذات الجسدية بدون حدود، حتى إن من يسكر في الشارع لا تحاسبه الحكومة، بل تقوم الشرطة بنقله برفق إلى بيته إن كان يعرفه، أو بإبقائه لديها محتفى به حتى يفيق، وكذلك ملذات النكاح، والملابس والمشارب وغيرها.

ولكن ذلك كله لم يكن كافياً لإسعاد الشعب والبعد به عن الانتحار الذي لا يكون إلا بسبب ما يحس به الإنسان من شقاء وضيق في الحياة.

وبعد دراسة مستفيضة تبين لهم أن الذين يقدمون على الانتحار هم من غير المتدينين، وأن المتدينين لا يقدمون على الانتحار في العادة، لأنهم تكون لهم من إيمانهم سعادة روحية تجعلهم يتمتعون بالبقاء على قيد الحياة، ورأت بعد الدراسات المستفيضة أنه يجب عليها أن تساعد على تشجيع التدين، وبث الإيمان في نفوس الشعب حتى يحس بالسعادة، ولا يقدم على الانتحار، وأن ذلك لا بد له من مساعدة الجمعيات والمؤسسات الدينية عندها. بحيث لا توكل إلى المساعدات والتبرعات الشخصية فقط. فقررت فرض ضريبة خاصة على بعض الأشياء، وتخصيص ما يحصل منها لمساعدة الجمعيات الدينية في البلاد على القيام بها.

وقررت أن تشمل تلك المساعدة جميع الأديان التي يعترف بها قانوناً في السويد، ومن ذلك الدين الإسلامي.

لذلك تدفع للجمعيات الدينية بالتفاهم ما بينها وبين الحكومة هذه المساعدات المالية التي زادت في العام الماضي على أربعة ملايين كرونة سويدية في العام الواحد لجميع الجمعيات الإسلامية.

أليس هذا من العجب العجاب؟

لا شك أن الأمر كذلك، وأن العجب الأعجب منه أن تقصر بعض حكومات البلدان المسلمة في مساعدة الجمعيات والمؤسسات الإسلامية، وهي حكومات تدعي أنها مسلمة، وحتى إذا لم تكن كذلك فإنها حكومات لأقطار مسلمة، ورعاياها مسلمون على حين أن هذه الحكومة

السويدية الكافرة تفعل ذلك، ولا يؤلف المسلمون فيها إلا نسبة قليلة من سكانها، وهم إلى ذلك ليسوا من أبناء البلاد الأصلاء، وإنما هم من الأقوام الطارئة على البلاد إلا ما كان من أمر قلة ضئيلة العدد من إخواننا السويديين الأصلاء الذين دخلوا حديثاً في الإسلام.

هذا وقد أدينا صلاة الظهر في مسجد المركز خلف الأخ الشيخ حمزة، وهو إمام المسجد وخطيبه، وكان يلبس لباساً عصرياً أنيقاً، غير أنه ليس فوقه جبة وعمامة عندما أراد الصلاة، كما صلينا العصر بعدهم جمعاً.

ويزدان المسجد بلوحات عربية جميلة كانت معتادة في مساجد أهل السنة ومنهم الأتراك إبان فورة المذهب الشيعي على زمن الصفويين في إيران، وهي أن يكتبوا اسم الجلالة واسم الرسول ﷺ، وبعد ذلك أسماء الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وزادوا لها في بعض المساجد اسمي السبطين الكريمين الحسن والحسين رضي الله عنهما، كل اسم من هذه الأسماء الثمانية في لوحة خاصة ضمن إطار جميل.

المركز التركي:

وهذا مركز أو مجمع تركي وطني يقع في حي (فتيا) نفسه، ويضم النادي التركي، وجدنا فيه أناساً يلعبون الورق ويدخنون، وعليه لوحات من التراث التركي الشعبي، وعلقوا على حوائطه صور سلاطين الأتراك القدماء حسب تسلسل عهودهم، وختموهم بصورة مصطفى كمال الذي يسمونه كمال أتاتورك، و(أتاتورك) بالتركية تعني (أبا الترك)، لأن (أتا): أب، و(تورك): تعني الترك.

لم نلبث في النادي التركي الذي وجدنا فيه طائفة منهم، وإنما ذهبنا

إلى المسجد في مكان مجاور، فرأيناه يشغل جزءاً من طابق أرضي، مؤثثاً بأثاث نظيف، وبفراش جيد.

وعندما أردنا أن نقارن مظهره في أذهاننا بالمركز الإسلامي الذي رأيناه أمس الذي يسمونه (مركز الجمعيات الإسلامية)، ورابطة العالم الإسلامي تدفع راتب إمامه وأجرته السنوية، وجدنا أن المقارنة في صالح هذا المسجد التركي، مع أن المساجد كلها لله، ولكن عناية الذين يقومون عليها تختلف بطبيعة الحال.

ومن الطريف في الأمر أننا وجدنا في المسجد أخوين من الأتراك الذين يظهر علهم التدين، وأنهم ممن يعتادون الصلاة في المسجد، فسألناهم عن اسم إمام المسجد فلم يعرفا من اسم الإمام إلا أنه (يوسف)، ولم يعرفا بقية اسمه.

وهذا شاهد على قلة فضول الأتراك، أو إن شئت قلت: إنه عدم رغبتهم في الاستزادة من المعلومات العامة التي لا تعنيهم مباشرة.

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية، أي كتاب لتعليم الأطفال مبادئ الدين الإسلامي، فيه ٤٥ تلميذاً وتلميذة، وهي مؤثثة بأثاث نظيف، رأينا فيها بنيتين صغيرتين قد ألبستا لباساً ساتراً ومعهما دفاترهما، وبجانب المدرسة غرفة فيها طاولة لكرة الطاولة لتزجية الوقت، وهذه الساعة ليست ساعة دراسة لأنها ساعة عمل.

وقد أخبرونا أنهم يجمعون فيما بينهم ما يكفي للصرف منه على المسجد والمدرسة.

ومن الأشياء المحزنة أن أحد الأتراك دخل المسجد ونحن فيه، فسألنا عن بلادنا فأخبرناه فزمّ شفتيه، وقال: جاءنا من بلادكم في عيد الأضحى

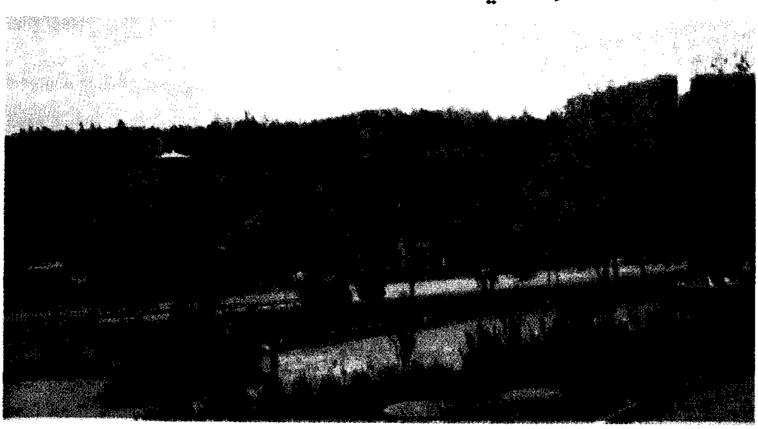
شخص اسمه عبد الله من أسرة كبيرة معروفة، وذكر تلك الأسرة باسمها، وأنه نزل في أفخم الفنادق وأغلاها في أستوكهولم، وأنه كان يشرب الخمر، ويتظاهر بذلك لا يستخفي ولا يتستر، وكل الناس يعلمون أنه من تلك البلاد.

وقال: كيف يكون ذلك في الوقت الذي كان فيه الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية يغسل الكعبة المشرفة، ويؤدي الصلاة مع المسلمين في الحرم المكي في وقت الحج.

فقلنا له: إنَّ السفهاء والعصاة موجودون في كل الأمم، وإنه كان من الأفضل أن تذهب إليه وتنصحه وتقول ما قلته لنا من أجل أن ينتفع بالنصيحة، أو على الأقل تقوم عليه الحجة بذلك.

وإذا فرضنا أن ذلك صحيح، فإن ذلك الشخص يكون قد أخطأ خطأً كبيراً، ولكن ذلك لا ينطبق على غيره من أهل البلاد.

مسجد المركز الإسلامي:



حدائق تحيط بمنطقة مقر المركز التابع لاتحاد المراكز الإسلامية في فيتا بأستوكهولم

وهو أول مسجد، أو لنقل أنه أول مركز أنشئ في أستوكهولم حيث

أسس في عام ١٩٨٠م، والآن بلغ عدد المساجد فيها عشرة.

ويقع على شارع فرعي.

وجدنا فيه إمامه الأخ الشيخ (قدوسي أو عبد القدوس ألتن).

وتصلى فيه الجمعة فيمتلئ بالمصلين، وهو مؤثث على الطريقة التركية الجميلة.

ومع الأسف الشديد أنه يشغل الطابق الأرضي، بل تحت الأرضي من مبنى فيه عدة طبقات، وغير بعيد منه كنيسة فخمة خضراء الطلاء اسمها (كنيسة الملك جوستاف الثالث) سميت بذلك لكونه مدفوناً فيها.

مواصلة الجولة:

ودعنا الأخ حمزة بال والذين معه في هذا المسجد وواصلنا الجولة ومعنا الأخ الشيخ سعيد نورتال، فسرنا مع شارع رئيسي يسمونه (الشارع التجاري)، مع أن الشوارع التجارية في المدينة كثيرة، ولكنهم خصصوا هذا بهذا الاسم لكونه توجد فيه جميع البضائع التي تباع، فيستطيع من يطلب شيئاً معيناً يحتاجه أن يجده فيه، وليس مخصصاً لنوع دون نوع من البضائع أو الأمتعة.

شارع الملك:

وللملك والملوك في هذه البلاد شأن عظيم من ناحية التسميات، لأنها بلاد ملكية عريقة، وفي شارع الملك هذا رأينا داراً للسينما تفتح لمدة اثنتي عشرة ساعة متواصلة، قالوا: وقد صارت بذلك مأوى لمن يكون غضبان من زوجه، أو يكون قد أحس بالبرد الشديد يدخل فيها بعد أن يدفع رسم

الدخول المعتاد، ثم يظل فيها نائماً أو قاعداً منتبهاً مستريحاً مستمتعاً بالدفء من دون أن يزعجه أحد طيلة اثنتي عشرة ساعة.

وهذا الشارع وما بعده متصل بقلب المدينة التجاري الذي رأيناه حافلاً بمكاتب شركات الطيران والمصارف ونحوها.

حديقة الملوك:



مع الأخ مصطفى غنيم في جانب من حديقة الملوك

أوقفنا سيارتنا في شارع داخلي، لأنه لا يجوز إيقافها في الشوارع الرئيسية. ومع ذلك كان وقوفها بأجر، وقد قال لنا أصدقاؤنا: إن إيقاف السيارة في السويد أمر يحسب له صاحبها الحساب، ويقدر له ميزانية ضمن المصاريف التي ينفقها لاقتناء السيارة.

والشرطة السويدية حازمة، بل صارمة في هذا الأمر، مع أنها متساهلة في أمور أخرى.

سرنا مشياً لرؤية حديقة كبيرة قديمة اسمها: حديقة الملوك، يوجد

فيها تماثيل لعدة ملوك من ملوكهم.

كان من أهم ما رأيناه قبل الوصول إليها مبنى كبير متعدد الطبقات، هو مقر لإحدى الشركات الكبرى، وقد جلله نبات متسلق أخضر جميل المنظر، غير أن خضرته مائلة اللون إلى الاحمرار، الذي يتبعه الاصفرار، ثم الموت والسقوط من الجدار.

ذلك بأن عمر أوراقه قصير في هذه البلاد ذات الشتاء المرير.

ثلثمائة شجرة متنوعة:

تحفل حديقة الملوك بأنواع منوعة من الأشجار، ذكروا أن عددها يبلغ ثلثمائة وهي مختلفة، متباينة، ونظراً إلى أن عدد الأشجار الكبير هذا لا بد من أن تكون أشجاره من بلاد متعددة، متباينة الجواء - جمع جو - فإن شجرها لا بد من أن تكون فيها أشجار من بلاد حارة أو معتدلة المناخ، وتلك لا تقوى على العيش في صقيع هذه البلاد الثالجة، لذلك صاروا يرفقون بها ويدفئونها، كما يقوم الأبناء البررة بتدفئة أبيهم الشيخ الكبير، فصاروا يمدون إليها أسلاكاً دافئة تمتد حول جذوعها، وفي أماكن مختارة تبعث إليها بدفء مصطنع، يخيلون لها به أنها لا تزال في أماكنها الدافئة الحنون.

مباذل المدينة:

من الأشياء المنفرة الجالبة للتقزز أن الحديقة تحتوي على تمثال لأحد ملوك السويد هو الملك شارل الثالث عشر الذي مات في عام ١٥٣٠م.

وليس هذا بالمهم، وإنما وجه التكرّه أنه يعرف عنه أنه لوطيٌّ يحب الاقتراب من الذكران من العالمين، ويكره الاقتراب من النساء، وإن هذا

طبع معروف عنه لم يمنعهم من إقامة هذا التمثال له.

ولو كانوا أخذوا بالأثر المروي: (إذا بليتم فاستتروا) فلم يذكروا ما فيه من انحراف الطبيعة أو انعكاسها في هذا الأمر لهان الخطب، ولكنه وهو معروف مشهور بهذه الصفة - صفة اللوطي المعروف عنه اللواط - صار تمثاله وما حوله مسرحاً للوطيين بعده الذين يتجمهرون في الحديقة حول تمثاله يحيون ذكراه، ويجددون في أذهان الناس كونه لوطياً مثلهم، أو كونهم لوطيين مثله، ولا يجدون من الشعب السويدي الذي غلبت المدنية بترفها على مشاعره الدينية، من يستنكر ذلك، بل ربما لا يستنكر أن يوصف الرجل بذلك..

النافورة القمرية:



مع الأستاذ محمد حافظ عند النافورة القمرية في حديقة الملوك في أستوكهولم

وهي نافورة وسط بركة يحيط بها تماثيل من النحاس تسمى (النافورة القمرية) - نسبة إلى القمر - وقد أقاموا هذه التماثيل النحاسية للملك شارل الحادي عشر بجانبه زوجته الملكة والوصيفات ومربيات الأطفال، وتماثيل هؤلاء عاريات وقد أوضح المثال كل ما في أجسامهن ما عدا العورة، فإنه طمسها ولم يبين حجمها أو الخطوط الطبيعية فيها.

وحول البركة تماثيل لنوع من الطير أكبر من البط وهو البجع من النحاس أيضاً.

وأهم ما يميز تمثال الملك أنه يحمل بيده عصاً أو سوطاً مفتولاً من جلد الوعل، وهو شعار الفايكنج أسلاف السويديين، وسكان إسكندنافيا، وهم المعروفون بأنهم محاربون أشداء، ولكنهم همجيون يقدسون القوة، ولا يعترفون بغيرها.

وقد بنيت هذه النافورة وأقيمت عليها التماثيل في عام ١٨٦٣م.

القصر الملكي القديم:

ويسمى (قصر أستوكهولم) تركنا حديقة الملوك، وفيها أشياء تستحق الذكر، ولا يستحيى من ذكرها، ولكن الوقت لم يسعفنا بأن نذكر تفاصيل كل الأشياء التي نراها.

وذهبنا إلى القصر الملكي القديم في أستوكهولم وهو من المعالم الشهيرة في المدينة، يقصده السياح من داخل السويد وخارجها.

ويقع على تلة جميلة غير عالية تطل على منظر من أبدع المناظر في مدينة أستوكهولم ذات المناظر المبهجة، وهو خور أي خليج صغير من البحر داخل في البر خلفه تلة أخرى غير مرتفعة، عليها المنازل الجميلة التي تلفها

الجنان الخضر المنسقة.

وصلنا إليه مخترقين باحة مكشوفة مرصوفة الأرض بحجارة خشنة، وليس بالإزفلت، وذلك من أجل ألا تنزلق عليها الأقدام عند نزول الثلوج في الشتاء.

وبجانبه كنيسة قديمة صفراء الطلاء، عليها لوحة قد صوروا فيها الملك جوستاف الثالث وهو من الملوك الأقوياء الذين اتسعت مملكة السويد في عهدهم، فكان يحكم أيضاً النرويج وفنلندا.

وقد ولد في عام ١٤٩٣م، وتوفي عام ١٥٥٢م.

وتزين الباحة وهي كالميدان الذي يتقدم هذا القصر الملكي العريق والكنيسة التي بجانبه، وجانب من حي قديم من أحياء مدينة (أستوكهولم) مسلة من حجارة يركب بعضها بعضاً، أسفلها أكبر من أعلاها، وكلما ارتفعت دقت، وهي تشبه المسلات الفرعونية الشهيرة التي توجد واحدة منها في ميدان الكونكورد في باريس، إلاَّ أن هذه المسلة السويدية هي حديثة البناء مقلدة تقليداً للمسلات المصرية القديمة.

وتحيط بهذه الباحة بيوت على الطراز السويدي العريق، أكثرها مطلي بطلاء أصفر، وللسويديين ولع بالمحافظة على قدم القديم عندهم.

وتؤلف تلك البيوت وما خلفها حياً قديماً بل عريقاً من أحياء مدينة (أستوكهولم)، يتميز بقصر أزقته وعدم طولها أو استقامتها، دون أن تعترضها أزقة أخرى.

وكانت حاشية الملك الذي كان يقيم في هذا القصر والعاملون غير المقربين منه تقيم في بيوت هذا الحي القديم.

وقد رأيت طائفة من سكان الحي من أطفال وكبار، فوجدتهم من السويديين الأصلاء، الذين يتميزون بصهبة اللون، وهو بياضه الناصع،

وصفرة الشعر إذا رأيته على رؤوس بعضهم خلته من رقائق الذهب، وأحياناً تخاله كومة من اللَّهب.

وأزقة هذا الحي مثل أرض الميدان، مرصوفة بحجارة خشنة من الجرانيت الأحمر، وأحياناً يكون ملوناً، وقد جعلوه خشناً رثاً ،أي ليس أملس، وذلك عن قصد من أجل أن تلتصق به الثلوج، فلا تكون زلقة في الشتاء كما سبق.

وحتى أرصفته هي مبلطة بالحجارة الصغيرة وليس بالإزفلت.

وتحفل هذه المنطقة بالسياح الذين أكثرهم من الأوربيين، وذوي المظهر الأوربي، وأقلهم من اليابانيين ولم أرَ فيهم من قومنا السمر أحداً.

دخلنا القصر العظيم من بوابة ضخمة عالية السقف، إلى بهو مسقوف، مرتفع ضيق ذي شكل مستدير، يفتح عليه بابان على مستوى الأرض كبيران، إلا أنهما مغلقان، والمفتوح منه للسياح درج ينزل إلى الأرض مع ممر منقور في الصخر ينزل إلى أسفل في غير استقامة، بل هو دائر بدوران الجدار، وفيه نوافذ لا يرى النور منها، وإنما هي لتجديد الهواء، مما زاد غرابة القصر من الداخل إلى جانب فخامة مبناه من الخارج.

ولا شك في أن سبب وجود هذه الدرج والمحلات التي فيه تحت الأرض هو الطلب للدفء في أزمان لم تكن الكهرباء فيه قد اكتشفت، ولا توجد وسائل التدفئة الحديثة.

وقد ذكرني منظر هذا الدرج الذي ينزل إلى أسفل الأرض بما كنا نفعله في المساجد في بلادنا، إذْ كان قومنا يحفرون حفرة في الأرض يسقفونها على مستوى سطح الأرض، ويكون لها درج نازل في الأرض، ويجعلون المصلى الرئيسي في المسجد فوقها، ويستعملونها للصلاة فيها في

ليالي الشتاء الباردة، لأنه لم تكن توجد لديهم في تلك الأزمان وسائل للتدفئة، كما لم تتوفر لهم الملابس الثقيلة الواقية من البرد.

مع العلم بأنه لا تناسب بين برد الشتاء في بلادنا وبين برد هذه البلاد السويدية الثالجة كما هو معروف.

وقد كتبوا على واجهة القصر أن الذي بناه هو الملك كارلو الثاني عشر، وذلك في لوحة عالية فوق مدخله الرئيسي، ولم نرهم ذكروا تاريخ بنائه في تلك اللوحة، وربما لم نستطع تبين ذلك.

ومن هذا القصر القديم تجولنا في الحي القديم المقابل له في جو مفعم بالجمال، بل كل ما حولك جميل، وما تقع عليه عينك إلى مدى البصر هو أشبه باللوحة الرائعة من الجمال الذي مزج فيه الجمال المطبوع، بالجمال المصنوع.

ولم يكدر الأمر علينا إلا برودة زائدة عن الثياب التي نرتديها، ولو كنا أخذنا للأمر أهبته لكان الجو طبيعياً، ولكننا قسنا الأمر على ما قيل لنا من أن درجة الحرارة في شهر أكتوبر في هذه البلاد تتراوح بين ثمان واثنتي عشرة، فلم نرتد اللباس الثقيل.



منظر لأحد أخوار أستوكهولم وما حوله. التقطتها من المرتفع الواقع بقرب القصر القديم

ومن المكان المرتفع الذي يقع بقرب القصر اطلعنا على باخرة جميلة المنظر، واقفة في خور من أخوار البحر التي جمّلوا أطرافها المتصلة بالبر حتى صارت كأنها شوارع تصطفق مياهها، وهي باخرة جميلة المنظر، متعددة الطوابق، ويمكن التعبير عنها بأنها فندق متحرك، إذْ تقل الناس من مرساها في هذا الخور الذي يقع بين المساكن في (أستوكهولم) إلى مدينة هلسنكي في فنلندا، وتستغرق المسافة مدة ١٣ ساعة ينام فيها الراكب، ويدفع أجرة ركوبه في السفينة مثلما يدفع لأي فندق أجرة لنومه ليلة فيه أو أقل من ذلك، وقد راعوا أن تقوم من (أستوكهولم) في السادسة مساءً فتصل إلى هلسنكي في السابعة من صباح الغد، فكأن الذي يركب فيها لا يخسر شيئاً إذا لم يكن من أهل أستوكهولم، وقد حدثونا عنها أنها تشتمل على كل وسائل الراحة، وأن الركاب فيها يتمتعون بسهرة فيها مع نوم مريح أثناء سيرها في البحر، ثم يصحون وقد وصلوا هدفهم: مدينة هلسنكي.

ميدان بيريو يار:

وقد أسموه على اسم (بيريو يار) وأنه أول من وضع نظام القضاء القانوني في السويد، وقد ولد في عام ١٧٨٧ - وتوفي عام ١٨٥٤م.

ويقع على هذا الميدان مبنى المحكمة العليا، وليس بالمبنى الفخم ولا الضخم بمقاييس المباني الضخمة في بلداننا العربية، ولكنه أكبر من ذلك بكثير فيما يؤديه من خدمة قانونية هي مضرب المثل في النزاهة والتجرد في أوربا.

وليس الميدان بالواسع، ولكنه مهم جداً للمعنى الذي ذكرناه.

ورأينا كنيسة كبيرة معتنى بها، تطل عليه، ولا أدري أبنيت قبله أم

هي أقيمت عليه، ولكن مبنى الكنيسة وهي بيت العبادة عندهم أمام المحكمة العليا التي هي موطن العدالة عندهم أمر له معناه الكبير.

بين الشاطئين:

قلت فيما سبق: إن في مدينة أستوكهولم وهي واقعة على شاطئ البحر، أو على الأصح على شطآن البحر أخواراً عديدة، وهي الخلجان الصغيرة من البحر الداخلة في اليابسة، ونقول إن أهلها لم يدفنوا مثلاً بعض هذه الأخوار أو يبنوا فوق أرضها، وإنما جملوها تجميلاً، فصاروا منها في جو أخضر من خضرة الأرض وخضرة البحر التي تميل إلى الزرقة، لأنهم عمقوا هذه الأخوار حتى تستطيع تحمل السفن التي تنقل الأناسي والبضائع، إلا إننا وصلنا الآن إلى خورين مختلفين، أحدهما: عذب من بحيرة ممتدة، والثاني: ملح من مياه البحر المختلطة قليلاً بمياه البحيرة. وقد جملوا ما بين هذين الخورين حتى غدا جنة أرضية، عندما وصلتها لم أستطع إلا أن أطلب من المرافقين أن يوقفوا السيارة ويقفونا هنا فترة نستجلي هذا المنظر الساحر، ونستمتع بجماله الباهر.

واسمه: ميلان استراندم، وتعني: بين الشاطئين، لأن (ميلان) تعني بالسويدية: بين، واستراندم تعني: شارع الشاطئ، أو (الكورنيش) بالعامية.

والجنوبي من الشاطئ هو شاطئ مياه عذبة، والشمالي هو من مياه ملحة.

جسر الانتحار:

لا يخلو هذا الجمال الغامر، من شيء يكدر الخواطر، وهو تذكّر أن هذه الحياة مليئة بالمنغصات، وأن الإنسان مخلوق في كبد كما في الآية

الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، قال بعض ظرفاء المفسرين في تفسيرها: إن الكبد ظرف للإنسان، والظرف هو ما يوضع فيه الشيء كالكأس الذي يوضع فيه الماء حين تقول: الماء في الكأس، فكأن الكبَد مكان وضع فيه الإنسان.

ذكرنا هذا الأمر عندما وقفنا عند هذا الشاطئ الجنوبي الجميل ونحن نشاهد بعده الخور الآخر عليه جسر عالٍ يسمى (بسترا برون)، ويبلغ علوه خمسة وثلاثين متراً عن ماء البحر في أوسطه، وقد جعلوه عالياً هكذا من أجل أن تمر السفن من تحته، ذكر الإخوة المرافقون أن بعض الناس يلقبونه (جسر الانتحار)، لأن حوادث الانتحار فيه تتكرر كثيراً، حيث يلقي من يريد أن يقتل نفسه بنفسه منه، ويصعب تدارك أمره وإنقاذه بعد أن يقذف بنفسه، لأن الجسر عالٍ، والبحر عميق تحته، وفي قاعه أشياء من الطين ونحوه تعيق من يحب مثلاً أن يرتفع منها.

وهكذا نجد وسط هذه الجنة الأرضية من يرغبون في مفارقتها إلى حيث المجهول بالنسبة لهم، لأن من يقتل نفسه لا يكون من المؤمنين بالله ولا باليوم الآخر في العادة، ولذلك شجعت الحكومة السويدية الجمعيات والمؤسسات الدينية من أجل بث الإيمان في النفوس الذي يمنع من الانتحار، إضافة إلى ما يجلبه من سعادة روحية، وطمأنينة نفسية - كما سبق -.

في مطعم عربي:

ذهبنا لتناول طعام يصح أن يسمى بالغداء، ويصح أن يسمى بالعشاء، وهو عشاؤنا في أزماننا الخوالي عندما كان الناس عندنا لا يتناولون طعام إفطار في العادة، وإنما يتناولون غداءهم في الضحى ما بين العاشرة والحادية عشرة، ويتعشون بعد صلاة العصر أو قبل صلاة المغرب.

وقد اختار لنا الإخوة المرافقون مطعماً عربياً نظيفاً، ذكروا أن أهله فلسطينيون من أهل غزة، فأكلنا فيه ما لذ وطاب من اللحم الحلال ما بين شواء وصليق (مسلوق).

إلى جانب الأرز والخبز العربي الذي نعرفه في بلادنا.

وقد رأيت من إقبال القوم على الأكل فيه ما أعجبني، بحيث إن الطابق الأرضي منه كان مليئاً بالآكلين وإن لم يكن واسعاً، فجلسنا على مائدة من موائد عديدة في طابق أعلى، وهو على طريقة اخدم نفسك بنفسك، إذْ يختار الآكل ما يريد من الطعام، ثم يدفع ثمنه لصندوق المطعم، ويذهب به يحمله بين يديه إلى مائدة الأكل.

ولم نفرغ من المطعم إلا قرب السادسة، وكان الجو بارداً، فآثرنا البقاء في الفندق استعداداً للسفر غداً إلى أنحاء عديدة من أنحاء السويد.

يوم الثلاثاء ٦/١٠/١٩٩٢م

إلى مدينة أبسالا:

أفطرنا في الفندق إفطاراً متوسطاً كعادة الفندق الذي يعرض طعام الإفطار على موائد يتناول منها النزلاء ما يشاؤون، وهذه عادة لفنادق السويد كلها، بأن يكون الإفطار داخلاً في أجرة الغرفة، لأن البلدان الباردة يصعب على النزيل أن يخرج من الفندق فيها للبحث عن طعام الإفطار ثم العودة إلى الفندق.

وبعض الفنادق يكون ما يعرضه من الطعام فاخراً، ووافراً، وبعضها يكون متوسطاً، ومنها فندقنا هذا (فندق دوموس)، وقد دفعت له الأجرة لليلتين اثنتين نحو ٢٨٠ دولاراً أمريكياً، وهو فندق رخيص بالنسبة إلى أسعار الفنادق في السويد.

وغادرنا (أستوكهولم) إلى مدينة أبسالا على سيارة جديدة مدفأة للسفارة السعودية كان السفير قد وضعها تحت تصرفنا لهذه الجولة التي هدفنا منها أن نطلع على المراكز والمساجد في عدة مدن سويدية.

وقد صحبنا من السفارة الأخ الكريم محمد يسلم باصفر المختص بالشؤون الإسلامية في السفارة التي من أهمها الاتصال بالمراكز والجمعيات الإسلامية، وتقديم العون لها عن طريق المساعدة على اتصالها بالجهات المعنية في المملكة كرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

كما أن أهم أعمال الأخ محمد باصفر إيصال المساعدات المالية التي ترسلها المملكة إلى الجمعيات والمراكز الإسلامية في السويد عن طريق السفارة السعودية من أجل أن تتحقق السفارة من استحقاقها للمساعدة،

ومن كونها سلمت لأشخاص موثوق بهم في تلك الجمعيات.

وكان الأخ محمد يسلم باصفر إلى جانب ذلك هو سائق سيارتنا جزاه الله خيراً، كما كان معنا الأخ الشيخ سعيد نورتال الذي سبق ذكره.

أما نحن الذين جئنا من الرابطة فلا يزيد عددنا على اثنين أنا وزميلي في الرابطة الأستاذ محمد محمود حافظ المدير العام للإعلانات والمشروعات في الرابطة.

كانت مغادرتنا مدينة (أستوكهولم) بعد التاسعة بقليل من صباح اليوم، فاخترقنا الضواحي الجميلة لهذه المدينة المنسقة التي لم يكتف أهلها بمنظر ابتسامات الورود، بل سواء منها ورود العود، وورود القدود، حتى جعلوا اللون المفضل لطلاء بيوتهم هو اللون الوردي الأحمر، وقد يكون أحمر قاني الحمرة أحياناً أكثر من اللون الوردي المعتاد.

وتخترق هذه الضواحي الجميلة طرق كثرة متشبعة لولا أنها حافلة باللوحات الإرشادية لكانت مضلة لسالكها، وذلك لكثرتها وسعتها، وكثرة الجسور التي تعترضها لتصل طرقاً تبتعد بسالكها عن قصده إذا لم يكن عارفاً بها، مع ذلك فإنهم قد جملوا هذه الشوارع ونسقوها حتى غدت منسجمة مع اللوحة الجميلة التي تؤلفها هذه المدينة ومن فيها وما فيها.

وسلكنا طريقاً سريعاً من تلك الطرق التي تسمى في أمريكا (الهاي وي)، وتعريبها الطرق السريعة، وهي التي لا توقف سالكها إشارات المرور ولا تعرقل سيره السيارات التي تستعمل الطرق المعترضة.

وقد وقعنا في الريف المربِّع - بكسر الباء - بسرعة، فكانت

الأشجار الموجودة فيه ملتفة التفاف أشجار الغابات.

وتحقق عندنا ما سمعناه من كون حكومة السويد تعاقب على قطع الأشجار، حتى ولو كانت شجرة واحدة بعقوبة شديدة، وعلى من يريد أن يقطع شجرة من الأشجار أن يحصل على إذن من الحكومة التي تأذن له إذا رأت أن الغرض الذي سيقطع الشجرة من أجله له ما يبرره، ولكن شرط أن يكون قطعها غير مستأصل، كأن يقطعها قطعاً لا يمنع نموها بعد ذلك، وإذا كانت الحاجة - مثلاً - ماسة إلى مكانها من أجل أن يبني فيه بيتاً لم يجد له مكاناً في موضع خالٍ من الأشجار، فإن الحكومة تأذن له ولكن بشرط أن يغرس بالقرب من مكانها شجرة أخرى جديدة.

ولذلك بقيت السويد أشبه ما تكون بالغابة الكبيرة المنسقة التي تتناثر فيه المنازل بطريقة منسقة بديعة.

وقد زان أشجار الريف هذه أوراق قد لفحها برد الخريف، فأحال خضرتها الداكنة إلى حمرة أو صفرة، فصار لها منظر يروق، لكونها قطعت الرتابة عن ذلك المنظر الأخضر الذي يشوق.

ومن البديع أن هذه لطريق السريع، يفصل بين جزئيه الذاهب والآيب أشجار عالية ملتفة في هذا الجزء الريفي القريب من العاصمة، وهو الذي نسير فيه الآن.

على أن هذا الطريق ليس في السعة مثل طرقنا السريعة، فيه ثلاثة مسارات، وأكتاف أخرى بعد الخط الأصفر، يقف فيها من يضطر للوقوف المؤقت، وإنما هو يتألف من مسارين اثنين تحف بهما أكتاف الطريق، فطرقنا أوسع من طرقهم، وإغلاق طرقنا السريعة دون المواشي وغيرها أكثر إحكاماً من طرقهم، وربما كان ذلك ناشئاً عن عدم

خشيتهم من تسرب المواشي إليه، لكون أهلها قد مرنوا على كيفية إبعادها عن هذه الطرق الواسعة، ولأن المراعي متوفرة في أيام الدفء بكثافة في الأماكن التي توجد فيها المواشي، وأما في الأيام الثالجة فإن طعام المواشي يكون مما قطعوه في الصيف وادخروه لها في الشتاء.

قبل الوصول إلى إبسالا:



مدخل مدينة أبسالا

تبعد (إبسالا) ٧٩ كيلو متراً عن العاصمة (أستوكهولم)، وقد قطعنا من الطريق إليها (٥٠) كيلومتراً بسرعة دون أن نشعر بالمسافة، وذلك لجودة الطريق، وعدم وجود العوائق فيه، وللجمال الذي يحيط به.

وقد وصلنا إلى منطقة ريفية تربى فيها الأبقار في مزارع محجوزة بأسلاك وموانع تمنع من تسرب الأبقار أو خروجها عن المزارع.

منطقة الأيايل:

والأيايل: جمع أيِّل، وهو بقر الوحش الذي تسميه العامة عندنا بالوضيحي، من الوضح، بمعنى البياض، لأنه عندنا يكون في جلده

أماكن بيضاء وأماكن تميل للبياض.

ورأيناهم هنا كتبوا على منطقة من المناطق لافتة تبين أنها منطقة من المناطق التي تكون فيها (الأيايل) فكتبوا: منطقة أيايل، خفف السرعة.

وهذه الأيايل ترعى وحشية لا تذار فلا يجوز تنفيرها فضلاً عن صيدها، وكل من فعل شيئاً من ذلك لقي جزاءً رادعاً على فعله، على أن الأهالي لا يفعلون ذلك في العادة، بل إنهم ينكرون على من قد يؤذي هذا الحيوان من الأجانب الذين لا يبالون بذلك، فيخبرون الشرطة بعملهم، ويثابرون على ذلك، فكأن الشعب ساهر على تنفيذ القوانين مثلما أن الدولة تكون كذلك.

الظباء في ضواحي العاصمة:



ضاحية في مدينة أبسالا

وبمناسبة الحديث عن وجود الأيايل أو بقر الوحش في هذه الضواحي طليقة لا ينفرها أحد، بل لا يزعج حياتها مزعج، حدثنا الإخوة أن الظباء، وهي أصغر منها بطبيعة الحال، تسرح وتمرح في هذه الأرياف، وقد يطيب

لها أن تكتشف العاصمة، فتأتي إلى ضواحيها، وتجوس خلال بيوتها، وأكثر الفراغ بين تلك البيوت، إن لم يكن كله، إنما هو حدائق ومراعٍ لها، وأشجار ترتع فيها مثلما يكون عليها الحال في البراري القفر عندنا، فيراها الناس هناك، ولا يمسوها بما يزعجها، وقد لا ترى فرقاً بين حياتها البرية وحياتها الحضرية إلا في زمجرة هذه السيارات، وقطعها عليها الطرق مسرعة، فهي تخشاها كما يخشى البأس قطاع الطرق في البلدان غير الآمنة، وإن كانت السيارات تتحاشى أن تمسها بأذى، وتنفر منها كما تنفر من الناس في البلدان المتوحشة، أي التي تسارع إلى صيد الحيوان وقتله، حتى ولو لم يكن لها به حاجة.

هذا وقد أشرقت الشمس على هذا الريف الأخضر فزانت اخضراره، وإن كانت الريح الباردة لا تزال تهب خريفية قاسية كأنها الريح الشتوية العاتية في بلادنا.

وقد كثرت رؤية حقول القمح الحصيد من الطريق، والمراد بذلك حقول القمح الذي حصد وبقي بعض قصبه وأماكنه لم يغير.

هذه أبسالا:

أول ما رأيناه منها مصانع كبيرة لعدد من المصنوعات، كان أقربها من الطريق مصنع شركة (إكيا) المشهورة بصناعة الأثاث الخشبي السويدي، ولها شهرة في بلادنا وغيرها من البلدان العربية.

ومصانع أخرى بعيدة تنفث مداخنها الدخان الذي يرتفع عالياً في الجو الندي.

ورأينا من مظاهر الترف وإن كانوا في هذه البلاد يعتبرونها من

مظاهر القوة وطلب الراحة صفاً من الأبنية المتعددة الطبقات (عمارات) قد كسوها بصفائح من الألمنيوم الأبيض التي ينعكس عليها ضوء الشمس الشارقة في هذا الصباح، فتبدو على بعد كأنما هي مكسوة بزجاج مشع.

وكانت المشكلة تشعب الطرق فيها، وكون الذي يضيع عن هدفه فيذهب مع شارع غيره يظنه يؤدي إليه، فإنه يحتاج إلى وقت وجهد حتى يستطيع العودة إلى الطريق الصحيح.

ومن الطريف الغريب أنني رأيت طيراً يتشاءم به أسلافنا العرب، لأنهم يعتبرونه نذيراً بتفرق الشمل ومفارقة الأحباب، ألا وهو الغراب الذي اعتدنا على رؤيته بكثرة في بعض البلدان المتخلفة. وبخاصة في الهند التي لا يباريها مبار في كثرة ما تحتويه أرضها من غربان قبيحة المنظر، وسخة الأرجل، لكونها تقصد الأوساخ والأماكن التي تناسبها، وهي كثيرة هناك.

وأما في هذه البلاد النظيفة الجميلة المشرقة، فلم أر لوجودها فيها إلا كونها مما يظهر حسن الحسن و« الضد يظهر حسنه الضد » كما قيل قديماً.

كان دليلنا إلى المركز الإسلامي في (أبسالا) الأخ الشيخ (سعيد نورتال)، وقد سبقت له رؤية المركز في زيارات سابقة للمدينة، ولكنه نسي المكان، فكانت هذه بالنسبة إلينا « غلطة بصواب » كما قال المثل العربي القديم إذْ صرنا في:

جولة على مدينة أبسالا:

وهي مدينة عريقة، وكانت عاصمة السويد قبل أستوكهولم، وفيها

أقدم جامعة في السويد، وأكثرها عراقة، ولمناسبة ذكر هذه الجامعة ينبغي أن ننوه بأن فيها الآن أربعة من الأطباء السعوديين يتخصصون في فروع من فروع الطب، فهي مدينة عريقة في التعليم الجامعي، حتى قيل إن عمر جامعتها قد بلغ الآن خمسمائة سنة، وهي إلى ذلك تعتبر مركز الثقل للدين المسيحي، ففيها أقدم المؤسسات التي ترسل منصرين ودعاة للدين المسيحي إلى أنحاء العالم.

ومن أكثر الأشياء التي عرفناها عنها حينما فتحنا أعيننا على أخبار البلدان الأوربية قبل أكثر من ٤٠ سنة مركز الزلازل الذي يرصد أي زلزال يحدث في العالم، ويحدد مركزه وامتداده، ولم نكن نسمع في تلك الحقبة مقادير عن غير هذه المدينة في الكلام على أماكن الزلازل التي تقع، أو تقدير قوتها إلا من مرصد الزلازل في مدينة (أبسالا) هذه.

من الطبيعي أن تكون هذه المدينة الصغيرة بالنسبة إلى جمهرة المدن في العالم الآن، بل إنها صغيرة أيضاً بالنسبة إلى عاصمة السويد (أستوكهولم)، من الطبيعي أن تكون أقل في الفخامة والمظهر من العاصمة ومن المدن الكبيرة في هذا الشمال الأوروبي.

ويبلغ عدد سكانها ١٨٠ ألف نسمة، ويكاد يكون هذا العدد من السكان ثابتاً لا يزيد وتعتبر مدينة أبسالا الرابعة في ترتيب المدن في السويد، فالأولى (أستوكهولم)، والثانية: يوتي بوري، والثالثة: مالمو، وقد ذكرنا العاصمة، وسوف يأتي ذكر المدينتين التاليتين لها فيما بعد إن شاء الله. ولكنها لم تكن أقل في مستوى النظافة وكثرة الشوارع واللافتات التي تسهل حركة المرور فيها.

كما أن فيها حدائق عديدة بعضها قديمة يدل على ذلك شموخ أشجارها وسموقها في الجو، ولكنها دون حدائق العاصمة بكثير.

وعلى أية حال فإنها تعتبر مدينة معتادة، فليست فاخرة، ولا يدل مظهرها على الثراء أو الازدهار الاقتصادي، وقد زاد عجبنا من ذلك حينما علمنا أن ثلاثة أرباع سكانها هم من المدرسين والطلبة، أي ممن يشتغلون ببضاعة العلم.

والغريب أنني لاحظت أن صفاً من الأشجار فيها قد علته صفرة الخريف أكثر مما علت الأشجار في (أستوكهولم)، ولعل ذلك يعود إلى نوع هذه الأشجار مع أنه لم يتبادر إلى أذهاننا أي فرق بينهما وبين أشجار (أستوكهولم).



المؤلف في أحد شوارع أبسالا

وحتى الأعشاب النامية في خلال البيوت والأراضي الخالية من النبات هي أقل كثافة، مما هي عليه في العاصمة.

أما منازلها فإن أكثرها متطامن مؤلف من طابقين أو طابق واحد، وتوجد أبنية متعددة الطوابق في ضواحيها، ولكنها ليست كثيرة.

والأبنية المتعددة الطوابق فيها ليست متلاصقة، بل هي متباعدة، جرياً على عادتهم في نثر المنازل في الضواحي وعدم التصاقها، وذلك من أجل الاستمتاع بالهواء النقي، وبالأراضي الخضر التي تكون بينها، حتى في الشتاء عندما يذهب اخضرارها، فإنه ينقلب إلى بياض ثلجي بلوري هو أحسن في عين الشبعان الدافئ من المنظر الجامد للبيوت.

المنازل الحمر والأشجار الحمر:



الأبنية الحمر تقابلها الأشجار الحمر في مدينة أبسالا

اقتضى نظرنا أن نتصل بالهاتف بأحد الإخوة الذين نعرفهم من أجل أن يهدينا إلى مكان المركز الإسلامي والمسجد في (أبسالا) بعد أن عجزنا عن الاهتداء إليه من دون ذلك، فاتصلنا بالهاتف بالأخ (نبيل عباسي) ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في المدينة، وذلك من محطة لبيع المحروقات فوصف بيته، ووجدناه في بناء من عدة أبنية متعددة الطوابق حمر الطلاء حمرة

قانية، يقابلها صف من الأشجار حمر الأوراق أيضاً من التي احمرت أوراقها بسبب الخريف قبل أن تصفر، ثم تموت عندما يستحكم البرد.

وقد عجبت لاتفاق هذا المنظر بين الأشجار والبيوت، وحتى بالنسبة إلى السكان فهم بيض الأبدان، صفر الشعور، ولكن البرد يجلل ألوانهم بشيء من الحمرة مع البياض، فتصبح الأشجار أقرب إلى ألوان أولئك السكان.

الجمعية الإسلامية في أبسالا:

ركب معنا الأخ نبيل عباسي فذهبنا إلى مقر الجمعية الإسلامية في أبسالا، وكان الإخوة العاملون في الجمعية قد علموا من السفارة السعودية أننا سنزورهم اليوم، لذلك وجدناهم في مقر الجمعية الملحق بالمسجد.

وعلى رأسهم الأخ محمد قدري رئيس الجمعية وهو من المغرب، ولكنه يحمل الجنسيتين السويدية والمغربية، إذْ حصل على الجنسية السويدية من دون أن يلغي جنسيته المغربية، ويعمل محاسباً في إحدى الشركات السويدية، ويحسن اللغة السويدية.

والأخ الدكتور الصادق كزدام وهو طبيب سوداني يدرس في جامعة أبسالا بعد أن تخصص في فرع من فروع طب القلب، وذكر من نعم الله عليه أنه حصل على شهادة التخصص (الدكتوراه) في هذا الفرع النادر بالنسبة إلى التخصص في البلدان العربية، وأن زوجته قد تخصصت أيضاً في فرع آخر من فروع الطب هو سرطان الدم.

كما وجدنا الأخ (محمد مسلم) وهو مسلم سويدي مهتدٍ، أسلم وحسن إسلامه، وتزوج من أخت هندية، ويلبس الملابس الهندية المعروفة إلا

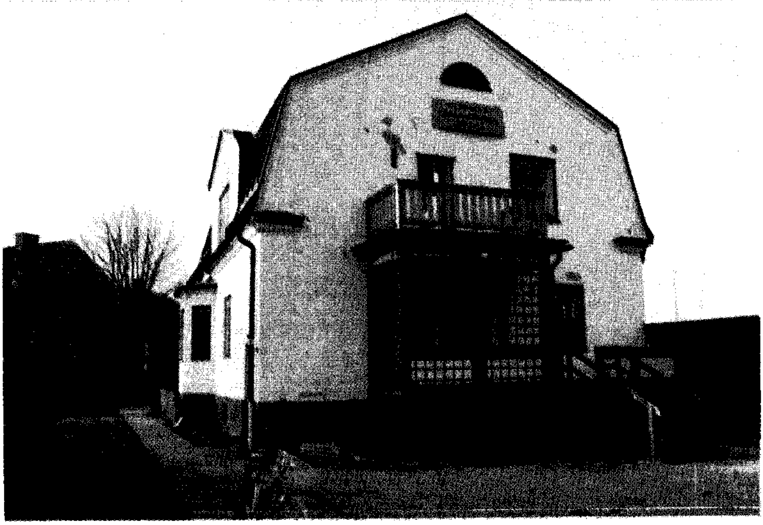
أنها خفيفة بحكم برودة الجو في هذه البلاد.

ومظهره مظهر العابد الخاشع، فهو قد أرسل لحيته إرسالا كما يفعل الإخوة المتدينون من مسلمي الهند من دون أن يأخذوا منها شيئاً.

ويعمل إماماً في المسجد متفرغاً للعمل الإسلامي، وتعطيه الجمعية شيئاً يساعده على التفرغ، مما تستطيع أن تحصل عليه من التبرعات .

وكان قبل ذلك يعمل داعية إلى الله متفرغاً لذلك في بريطانيا، ثم انتقل إلى السويد.

والأخ الدكتور عز الدين العبيد، وهو سوداني الجنسية يعمل موظفاً في الحكومة السويدية، وهو أمين السر في جمعية المسجد.



المصلى ومقر الجمعية الإسلامية من الخارج في أبسالا

جلسنا مع هؤلاء الإخوة وإخوة لنا آخرين في غرفة ملحقة بالمسجد، وبحثنا معهم الأمور المتعلقة بجمعيتهم، وبالعمل الإسلامي في هذه البلاد، وحول ما سمعناه من أنهم كانوا قد رهنوا مبنى المركز الذي فيه المسجد الوحيد في هذه المدينة، مع أن رابطة العالم الإسلامي هي التي اشترت لهم

ذلك المبنى، ولكنهم فعلوا ذلك لغرض نبيل، وهو الحصول على أرض واسعة في منطقة مهمة من مناطق المدينة، اشتروها من بلدية المدينة بعد أن وافقت لهم على أن يبنوا فوقها مسجداً، ولم يكن في أيديهم من النقود ما يكفي لدفع قيمة الأرض، فاقترضوا من مصرف سويدي يساعد الجمعيات الخيرية مبلغاً من المال لسداد قيمة الأرض، وأرهنوه مبنى المسجد، حيث لا يمكنهم الحصول على القرض بدون ذلك، وكان القرض من المصرف (البنك) بدون فوائد.

وقد علم الله حسن نيتهم فتمكنوا من إيفاء كافة الدين على الجمعية، وافتكوا مبنى المسجد من الرهن.

وكنا ونحن في مكة المكرمة قد حصل عندنا تشويش من تصرفهم ذلك، وقد سررنا الآن عندما عرفنا أن الرهن قد فك عن المسجد الذي كان بأيدهم لم يخرج منها حتى في وقت الرهن.



أمام مدخل الجمعية الإسلامية في أبسالا ومجموعة من العاملين في الجمعية

وقد أخبرونا أن أكبر فرج جاءهم لتسديد قيمة الأرض وفك الرهن

عن المسجد هو معونة مالية جاءتهم من المملكة العربية السعودية كانت كافية لذلك.

المسلمون في أبسالا:

يبلغ عدد المسلمين في أبسالا ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف نسمة.

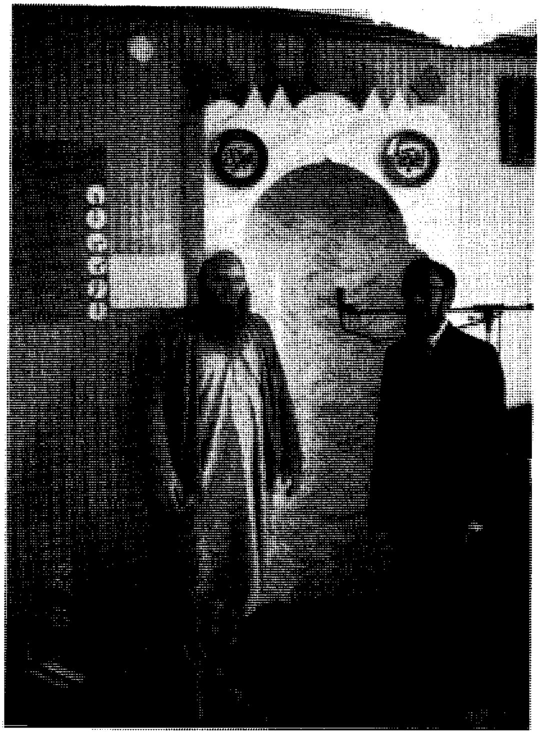
وقد تأسست الجمعية الإسلامية عام ١٩٧٨م، وهي أول جمعية إسلامية تؤلف فيها، وحصلت على مكان يجتمع فيه المسلمون ويصلون بعد ذلك بعامين أي في إبريل عام ١٩٨٠م، وقد اشتروا هذا المبنى الحالي الذي هو منزل يتألف من طابقين وطابق تحت الأرض بخمسمائة وخمسين ألف كرونه سويدية، ويساوي ذلك بالصرف الحالي نحو مائة ألف دولار أمريكي، وكان يعادل أقل من هذا المبلغ بالدولار الأمريكي في ذلك الوقت، لأن صرف الدولار انخفض كثيراً بالصرف السويدي منذ ذلك التاريخ.

والمسلمون يزيدون الآن زيادة ملحوظة، فعلى سبيل المقارنة كان عدد الذين يصلون الجمعة في عام ١٩٨٥م يتراوح بين عشرة أشخاص واثني عشر شخصاً، أما الآن فإن الذين يصلون الجمعة يتراوح عددهم ما بين مائتين إلى ثلاثمائة مصلٍ.

وسبب زيادة المسلمين أمور أولها: الزيادة النسبية في مواليد المسلمين، وهذه بطيئة النتيجة، وغير محسوسة في مثل الحالة هذه إلاَّ بالنسبة إلى ناشئة المسلمين الذين كانوا صغاراً عندما افتتح المسجد وكبروا الآن.

وثانيها: إسلام بعض السويديين الأصلاء من أهل البلاد، وهذا يحدث وبخاصة بين النساء، ولكن ذلك ليس بالكثرة المتوخاة، وذلك لقلة الدعاة

المتفرغين المؤهلين للدعوة الذين يحسنون مخاطبة عقول السويديين، والمضي معهم في تزويدهم بالمعرفة عن الإسلام الصحيح.



في مصلى مسجد أبسالا مع الأخ المسلم السويدي إمام المسجد

ثالثها: وهو أهمها، الزيادة الظاهرة في عدد اللاجئين من البلدان الإسلامية الذين تقبلهم السويد، وتتيح لهم العيش في أراضيها، وهؤلاء كثير كثرة نسبية، وهم من أقطار إسلامية متعددة، منها الصومال والعراق وإرتيريا، وأخيراً من بلاد البوسنة والهرسك وغيرها من بلاد يوغسلافيا السابقة.

أما الهجرة المجردة بمعنى وصول أعداد من المسلمين الذين حالاتهم معتادة، وبلادهم ليس فيها ضغط عليهم فإنها قليلة، إذْ حكومة السويد تشدد في ذلك، لأن قوانينها سهلة في منح من يستطيع الحصول على الإقامة

فيها الجنسية السويدية بعد إجراءات سهلة، ولمدة لا تتعدى أربع سنين من الإقامة المتصلة في البلاد.

أول شعار إسلامي سيرتفع:

هذا المسجد الذي يقيم فيه المسلمون صلواتهم، ويعلمون صغارهم مبادئ الدين الإسلامي، وتتخذ الجمعية الإسلامية منه مقراً لها، هو منزل معتاد، ليس له قبة تميزه، ولا منارة، وفوق ذلك هو واقع في منطقة سكنية كان سكانها من غير المسلمين ساكتين عندما كان عدد المسلمين قليلاً، فكانت السيارات التي تقف حوله، والحركة التي تكون فيه قليلة، ولكن عندما كثر المسلمون، وبخاصة منهم الذين يأتون إلى المسجد بسياراتهم لصلاة الجمعة، فتمتلئ بهم الشوارع المحيطة به، مما يجعل تلك السيارات تضايق سيارات السكان في الوقوف، قدم أهل الحي شكاوى متعددة إلى بلدية المدينة من كون هذا البيت يتخذ مكاناً للعبادة، مع أنه في منطقة سكنية غير مخصصة لأماكن العبادة، ولا لأماكن التجمعات العامة.

وقد أنذرتهم البلدية بعدم استعمال المبنى لغير ما أقيم له في الأصل وهو سكن أسرة أو أسرتين فيه، إلا أنهم بسطوا عذرهم للمسؤولين في البلدية بأنهم يستعملون هذا المكان للعبادة مضطرين، إذْ لا يملكون غير ذلك، وإنما هم بصدد شراء أرض يبنون عليها مسجداً في مكان مناسب لذلك.

وقد أعطتهم البلدية مهلة لمدة عام واحد ذهب ثلثها.

ولذلك يجدّون الآن في جمع المال للبدء في البناء على أرض المسجد الجديد التي تبلغ سعتها أربعة آلاف متر مربع تصلح لتكون مركزاً

إسلامياً أهم ما فيه جامع بقبته ومئذنته أو مئذنتيه يكون شعاراً ظاهراً للوجود الإسلامي في هذه المدينة وتكون إلى جانبه مكتبة عامرة بالكتب التي تشرح أصول الدين الإسلامي وأحكامه لمن يريدون من أهل هذه البلاد المتعلمين ذلك.

وقد ذكروا أنهم شرحوا هذا الأمر للمسلمين المقيمين في هذه المنطقة، وذكروا أنهم يجب أن يعتمدوا على أنفسهم بقدر الاستطاعة من أجل البدء في بناء المسجد، فاستطاعوا بعد جهد أن يجمعوا حتى الآن ١٦٠ ألف كرونة، أي ما يقارب ثلاثين ألف دولار أمريكي، أو مائة وعشرة آلاف ريال سعودية، وذلك بعد أن استراحوا من جمع المال لفكاك الرهن الذي على المسجد من أجل وفاء الدين الذي تحملوه في قيمة هذه الأرض المهمة.

وقد أخبرتهم أن رابطة العالم الإسلامي ستساعدهم بإذن الله حالما يبدؤون العمل، وأن عليهم أن يبدؤوا العمل فوراً بما معهم من النقود، ويكتبوا للرابطة وغيرها، ونحن سنساعدهم بمبالغ من ميزانية الرابطة، وسنتصل بأهل الخير والثراء أن يساعدوهم، وقد علمتنا التجربة أن الإخوة المسلمين إذا بدؤوا البناء، وتوقفوا لعدم النفقة بعد أن ينفقوا كل ما لديهم وتوقف العمل في المسجد، فإن إخوتهم المسلمين في العالم يسارعون في الغالب للتبرع لهم بالمال، لأنهم يعرفون جدهم واجتهادهم، ولأنه ليس من السهل على المسلم القادر أن يرى بيتاً من بيوت الله يتوقف فيه البناء بعد أن بدأ بسبب قصور النفقة، ولا يسارع إلى التبرع له.

وقد ذكروا لنا رأياً طرحه بعضهم، وهو أن موقف الحكومة السويدية موقف ودي، بل هو موقف عجيب في طيبه حتى لم تصل حكومات بعض الدول الإسلامية إلى مثله، وذلك في كونها تساعد

الجمعيات الإسلامية على عملها الإسلامي، وقد قدمت ذكر ذلك قالوا: فنحن نقبض من الحكومة السويدية ٧٠ آلف كرونة في العام وهو مبلغ جيد بالنسبة إلى الأزمة الاقتصادية التي تسود البلاد في الوقت الحاضر وعلى ذلك يقول بعضنا: إن هذا الشعب الذي يقف هذا الموقف المشرف من المسلمين حري بنا أن ألا نستفز مشاعره، وأن لا نعطي حجة للمنصريين والذين لا يحبون للإسلام الازدهار فضلاً عن الانتشار في هذه البلاد وذلك فيما لو بنينا المسجد على شعار إسلامي ظاهر معتاد كأن يكون للمسجد قبة مميزة ومآذن عالية وإنما يكفي أن نبني مصلى يشبه القاعات الكبيرة الواسعة التي تكفي لحاجة المسلمين للصلاة في أيام الجمعة والأعياد.

قالوا: وبعضنا يخالف هذا الرأي، ويرى أن يكون المسجد ظاهر الشعار استكمالاً لمظهر المسجد المميز.

وهم إذْ يقولون ذلك يسألوننا عن رأينا في الموضوع فقلنا لهم: إننا نرى أن يبنوا مسجداً متميزاً بما تتميز به المساجد من مظهر معروف ظاهر بقبته ومآذنه ما دام أن ذلك لا يخالف قانوناً في هذه البلاد، بل إن القوم هم الذين أذنوا لكم بذلك، وهم بمواطن الحساسية عندهم أعرف من غيرهم.

أما القول بأن ذلك قد يثير مشاعر معادية في المستقبل لوجود الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، فالواقع أن ذلك متعلق ليس بمجرد مظهر المسجد، وإنما بسلوك الذين لهم المسجد ومعاملتهم للآخرين، فإذا كانوا سيسيرون على ما يأمرهم به الإسلام من حسن المعاملة والرفق حتى بالحيوان، والإحسان للجار، والصدق في البيع والشراء، والوفاء بالوعد، فإن وجود هذا المسجد المميز سيكون شعاراً ظاهراً للإسلام الصادق الذي سيكون محبوباً من عامة الناس، أما إن كان الأمر بعكس ذلك، فإن المسجد سيثير مشاعرهم، لأنه يذكرهم بأفعال هؤلاء المحسوبين على

الإسلام الذين ينسب المسجد إليهم، مثلما استغل بعض أعداء الدين النواقص الموجودة في بعض المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام، فجعلوها حجة على جميع المسلمين، بل جعلوها حجة على كون الإسلام دين الإرهاب والفوضى، وعدم احترام مشاعر الآخرين.

لا شك في أن بعض الذين لا بصيرة لهم من بني قومهم سيسارعون بتصديقهم، لأنهم لا يرون الإسلام إلا من خلال أفعال المنتسبين إليه.

على أية حال فقد شجعناهم على بناء المسجد كاملاً متكاملاً بشعاره الإسلامي الظاهر، ورفع شعار المسلمين في العالم حوله الذي صاروا يعرفون به في بلاد الاقليات المسلمة وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة، بديلاً من الشعار النصراني المتمثل في الصليب.

هذا بالإضافة إلى ما لا نعرفه من علم الغيب الذي قد يأتي بما لا يتخيله المرء في بعض الأحيان، ومن ذلك أننا لا نستبعد أن يأتي يوم يكثر فيه المسلمون في هذه المدينة حتى يؤلفوا نسبة كبيرة إن لم تكن كبرى بين سكانها، قياساً على مدن وأقطار أخرى في العالم، وما ذلك على الله بعزيز.

وإذا كان الأمر كذلك فإننا لا ينبغي لنا أن نرضى بالدون ونحن نستطيع الحصول على ما هو أعلى منه من أجل توهم أمور ربما لا تقع، والله أعلم.

هذا وقد صلينا الظهر في مسجدهم الذي يقع في الطابق الأعلى من هذا المبنى، وكان إمامنا الأخ المهتدي السويدي محمد مسلم، فصلينا خلفه الظهر بعد أن امتنعت عن الاستجابة لإلحاحهم بأن أؤمهم في الصلاة، ثم جمعنا صلاة العصر مع الظهر لأننا على جناح سفر.

وتناولنا معهم بعد الصلاة الشاي والكعك اللين (الكيك)، وذلك بينما كانوا يجهزون أوراقاً سنحملها معنا تتضمن ما يحتاجون في أمور دينهم غير موضوع بناء المسجد الذي تقدم الكلام عليه، ومن ذلك ما ذكروه من الحاجة إلى الكتب والمصاحف الكريمة وترجمات معاني القرآن الكريم بالإنكليزية، وكذلك ترجمة صحيح البخاري باللغة الإنكليزية، ومطلباً مستقلاً يطلبون فيه أن تتحمل الرابطة راتب إمام المسجد، لأن جمعيتهم عليها التزامات كثيرة، ويثقلها أن تواصل دفع الراتب للإمام.

مغادرة أبسالا:

قبل أن نودع هذه المدينة يجدر بنا أن نذكر معنى اسمها، حيث إنه (ابسالا العليا)، فأبسالا: قرية أخرى لا تزال موجودة بهذا الاسم سنمر بها أو بقربها بعد قليل، سميت هذه المدينة باسم (أبسالا) بمعنى أبسالا العليا لأنها أعلى موقعاً من تلك، ولكنها تطورت واتسعت أكثر من أبسالا التي يمكن أن توصف بأنها (أبسالا السفلى) أو أبسالا المعتادة .

وودعنا الإخوة الكرام الذين تأثرنا من إخلاصهم لدينهم، واجتهادهم في بناء المسجد الجامع وما يتبعه من مبانٍ ومؤسسات إسلامية في مظهر بهيج يتفق ومستوى الحياة في هذه البلاد.

ومن الأشياء الطريفة التافهة أننا ونحن نودعهم عند المسجد بعد أن التقطنا الصور التذكارية معهم جاءت امرأة من السويديات الأصليات وهي تنظر إلى الأرض كمن يبحث عن شيء ضاع له، ثم تكلم القوم، فذكروا لنا أنها قالت لهم: إن قطتها الصغيرة قد دخلت تحت سيارتنا وسيارة أخرى بجانبها، وأنها لم تستطع الإمساك بها، وقد سارع القوم إلى التعاون

والإمساك بالقطة، فإذا بها صغيرة الحجم، صغيرة السن، سوداء مرقشة ببياض، وكان سرور المرأة بالإمساك بقطتها عظيماً، إذْ انبسطت أساريرها، وانطلق لسانها بالشكر والتقدير، وإن كان الخجل قد بان على وجهها من وجود هذا الجمع من الغرباء الذي عرف أن قطتها أفلتت منها، وأنها لم تستطع الإمساك بها ثانية إلا بمساعدتهم، وعندما احتضنتها تذكرت المرأة التي يضيع منها طفلها فتعثر عليه ثم تحتضنه.

وهذا ناشئ عن ولع السويديين بالحيوان الأليف من القطط والكلاب ونحوها، وقد تذكرت ما قيل لنا وعرفناه بعد ذلك بأن الحكومة السويدية تؤمن للكلاب والقطط الطعام والعلاج إذا طلب من هي عنده ذلك، وأظهر أنه عاجز عن توفيره لها.

وهذا أصبنا بالحزن عندما عرفنا به، لا لكونه مدعاة للحزن، بل أنه مدعاة للفرح، لأن الإسلام جاء بالرفق بالحيوان، وأمر بتوفير الطعام والشراب له، حتى جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)، والهرة هي القطة.

وإنما مبعث الحزن أن بلاداً من بلاد المسلمين لا يجد الفرد المسلم فيها من حكامها مثل ما يجده هذا الحيوان من رعاية وعناية في بلاد السويد، ولله في خلقه شؤون.

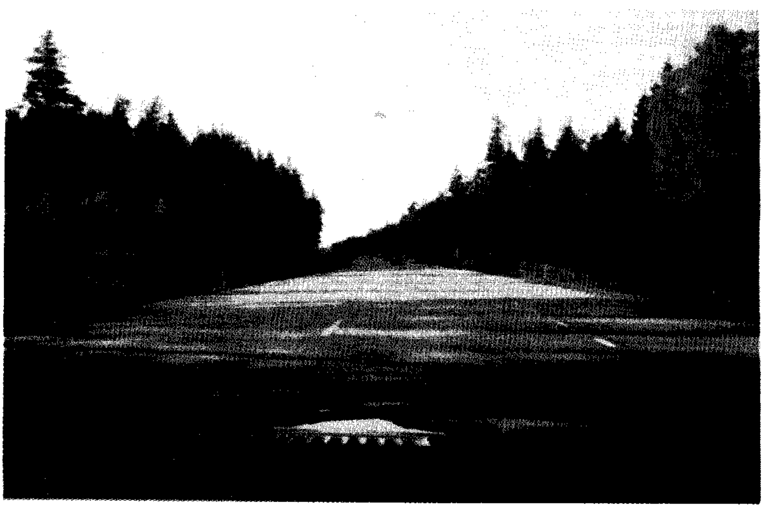
إلى مدينة فسكروس:

قصدنا مدينة فسكروس لزيارة المركز الإسلامي فيها، غير أن الطريق الذي نسير فيه تتشعب منه طرق عديدة، بعضها لقرى أو تجمعات سكنية صغيرة، وبعضها لمجرد اختراق الريف لخدمة المزارعين فيه.

والأرض التي يشقها طريقنا كلها أرض ريفية مزروعة بالحقول، وبعضها قد قلبها أصحابها وتركوها من أجل إخصابها، وإخصابها يكون بنزول الثلج عليها في الشتاء مثلما يكون إخصاب الأرض عندنا بأن تقلب، وتترك لتصيبها الشمس فتخصبها.

ولا حظنا أن القرى في هذا الطريق قليلة، وهو طريق معتاد، أي ليس من الطرق السريعة الواسعة، حتى وصلنا بلدة (سالا) وهي شقيقة مدينة (أبسالا) التي تركناها، ومعنى اسمها (أبسالا) العليا كما سبق.

و(سالا) السفلى أو غير العليا صغيرة، في قلبها مجموعة من الأبنية المتعددة الطوابق، ولم نقف فيها، وإنما واصلنا سيرنا حيث اخترق الطريق منطقة غابات كثيفة، وقد شابت خضرتها صفرة الخريف.



الطريق العام بين مدينة أبسالا ومدينة فسكروس

وحتى بعض الأعشاب المكشوفة للريح قد شابت رؤوسها، وشيبها الآن خضرة هي بمثابة البياض لرأس الإنسان، فهي نذير لموته الوشيك، وأن ذلك الموت إلى حين، إذ يبعث الربيع بدفئه ما أماته الشتاء منه، غير أنها لا تزدهر وتنفع إلا في الصيف الذي هو بمثابة الربيع في بلادنا وأمثالها

الواقعة في حدود المنطقة المعتدلة مع المنطقة الحارة.

وفي الساعة الواحدة والنصف كنا نصل.

مدينة فسكروس:

استقبلتنا المدينة بجسور على طرقها السريعة، وأنفاق لا تكون في العادة في بلدان العالم النامي الذي هو الناقص في النمو في الحقيقة إلا في المدن المحظوظة.

ورأينا أول ما رأيناه منها حديقة واسعة معتنى بها على يسار الداخل إليها من الطريق الذي جئنا منه، وهي مدينة صناعية من أكثر ما اشتهرت به صناعة القطارات الكهربائية.

وقد أعجبتني عناية القوم بشوارعها وأرصفتها التي لا تقل عن مثيلاتها في المدن الكبيرة، إن لم تفقها في بعض الأماكن، والتشجير شامل منسق في جميع شوارعها.

وهي مشهورة بأنها عاصمة هذه المنطقة الوسطى من السويد، يبلغ عدد سكانها ١٢٠ ألفاً، بينهم (١٥٠٠) نسمة من المسلمين الذين يتألفون من الإفريقيين والأتراك والعرب، ويؤلف الإفريقيون أكثرية الإخوة المسلمين فيها.

المركز الإسلامي:

قصدنا المركز الإسلامي فيها، فوجدناه في مكان ضيق من طابق تحت الأرض ينزل إليه بدرج قصير، استقبلنا فيه عدد من الإخوة منهم إمام المركز الشيخ محمود زونقي أصله من قازاخستان، غير أنه مولود في

تركيا حيث كان والده قد هاجر من هناك إلى تركيا فراراً بدينه من تلك البلاد التي حكمها الشيوعيون في السابق كما هو معروف، ومعه الأخ كمال حسين عمر عضو الجمعية، وهو لاجئ سياسي من التركمان العراقيين، هجر العراق لاختلافه مع الحكومة العراقية، وقبل لاجئاً سياسياً في السويد.

وقد بحثنا خلال جلسة مطولة في المركز، ما يتعلق بأحوال المسلمين في هذه المدينة، وعن كيفية دخول المسلمين إليها، فكان من ذلك ما علمناه من أن أول دخول المسلمين إلى هذه المدينة كان منذ ٢٧ سنة.



محراب المركز الإسلامي في مدينة فسكروس وإمام المسجد في أيمن الصورة

وكان أول الداخلين أليها أناساً من الذين هجروا بلادهم فيما وراء النهر ممن نسميهم في بلادنا بالبخاريين، وإن كان بعضهم لا يعرف مدينة بخارى، وليست بلادهم قريبة منها، وكان عدد الواصلين إليها آنذاك قليلاً محدوداً.

وكما قلنا فإن أكثرية المسلمين هنا هم من الإفريقيين: من

الصومال وإريتريا والحبشة، وهي المدينة التي تتميز على غيرها بأن أكثرية المسلمين فيها أصبحوا من الإفريقيين بعد وصول المسلمين اللاجئين الذين قبلتهم حكومة السويد، واختارت لهم الإقامة في هذه المدينة، لأنها تفرق اللاجئين الذين قبلتهم حكومة السويد على مدن السويد الصغيرة والكبيرة، ولا تبقيهم في العاصمة أو في مدينة أخرى وغيرها بمفردها.

وإلاَّ فإن الغالب أن تكون أغلبية المسلمين في المدن السويدية من أحد جنسين، إما العرب أو الأتراك، لأنهم الذين كانوا وصلوا، أو وصل بعضهم إبان الازدهار الاقتصادي في السويد بحيث لم يكونوا يشددون في إجراءات دخول الأجانب في ذلك الحين، بخلاف الوقت الحاضر، حيث لا يسمحون بالإقامة في السويد إلا للأجانب المضطهدين في بلادهم، أو الذين توجد أخطار على حيواتهم.

على أن إمام المركز والعاملين فيه أخبرونا أن في المدينة أيضاً أقلية بين المسلمين يتألفون من السويديين الأصلاء الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، وعددهم خمسة عشر من الرجال والنساء، والنساء فيهم أكثر من الرجال.

وهذا المركز هو المركز الإسلامي الوحيد في المدينة، واسمه الرسمي (**مركز الثقافي للجمعية الإسلامية**) هكذا اسمه المكتوب على مدخله.

وقد أسس في عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

وهو ضيق جداً، بحيث إنه لا يوجد فيه مصلى للنساء يوم الجمعة، بل إنه يضيق بالمصلين من الرجال يوم الجمعة، لأن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه في المتوسط يبلغ مائة مصلٍ فيما ذكروه لنا، وقد رأينا المصلى

فيه لا يتسع لأكثر من خمسين، ولكنهم قالوا: إنهم يزدحمون ويصلون في الممر وبعض الغرف فيه.

وهو مستأجر يدفعون أجرته ٣٠ ألف كرونة في السنة، ويساوي ذلك خمسة آلاف ومائتي دولار تقريباً.

ولم نستطع الاتصال برئيس المركز واسمه (أحمد بهادور) أصله مثل الإمام من قازاخستان جاء إلى هذه البلاد من تركيا قبل استقلال قازاخستان بطبيعة الحال.



الاجتماع مع أعضاء المركز الإسلامي في مدينة فسكروس

ومما يجدر ذكره أن (قازاخستان) هي إحدى جمهوريات المسلمين التي كان الروس قد استولوا عليها في القديم، واستقلت حديثاً عن الاتحاد السوفيتي المنحل. وقد زرتها وكتبت عنها كتاباً منفرداً بعنوان: « **حديث قازاقستان** » يمكنك الرجوع إليه إن شئت.

وقد شكا الإمام رونقي والحاضرون من أعضاء الجمعية قلة ذات اليد، وضيق المكان، وكونهم لا يستطيعون أن يستأجروا أوسع منه.

الكنيسة للبيع:

وأبدوا لنا طمعهم في أن يستطيعوا شراء كنيسة معروضة للبيع، فهي كبيرة تكفي لحاجة المسلمين للمسجد والمدرسة وما يتبع ذلك، وهي عامرة يمكنهم أن ينتقلوا إليها من هذا المكان الحرج الذي هم فيه الآن، وقد ذكروا من مزايا شراء الكنيسة الكثيرة وأطنبوا في ذلك غير أنهم استدركوا بأن الشأن هو في النقود.

وقد ذهبنا معهم لرؤية الكنيسة التي هي كبيرة عامرة بالفعل، تقع في مكان بالقرب من وسط المدينة التجاري، في حي من الوسط السكني في المدينة وصالحة لهم.

وقد سألتهم عن السبب الذي يحمل أهل الكنيسة على بيعها؟ فذكروا أن ذلك هو كونهم بنوا غيرها في مكان أبعد عن قلب المدينة واستغنوا عن مبناها هذا.

وقد نظر أحدهم وهو الأخ العراقي إلى الصليب الذي يعلو الكنيسة فقال بأمل عظيم: إن شاء الله نضع بدلاً منه شعار المسلمين، ونضع بدلاً من الصورة التي تعلو مدخل الكنيسة الشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وقد ذكر أن ثمن هذه الكنيسة يكون في حدود ثلاثمائة ألف دولار أمريكي.

وقد استجلينا المنطقة وما حولها والتقطت صورة لها عسى أن يسخر الله لهؤلاء الإخوة المسلمين المحتاجين من يساعدهم على شرائها لأنهم ضعفاء عن ذلك، وقد قلت لهم ما قلت لغيرهم في مثل هذه المناسبات: إنه

ينبغي لكم أن تبدؤوا بأنفسكم فتجمعوا ما يتيسر لكم، ليكون الدفعة الأولى في الثمن ثم تطلبوا من إخوانكم في البلدان العربية أن يساعدوكم بالباقي، ونحن نكفل لكم المساعدة المجزية من رابطة العالم الإسلامي، كما يمكننا أن نتوسط بطلب المساعدة من بعض القادرين في بلادنا على مساعدتكم، ونحن واثقون أننا إذا زكينا مشروعكم، وأعلمناهم بحاجتكم، بل بحاجة هذه المدينة كلها إلى مسجد يكفي لحاجة المسلمين في الوقت الحاضر، وفي المستقبل، فإنهم لن يتأخروا عن ذلك بإذن الله، غير أنهم قالوا: إنهم أعجز عن أن يجمعوا شيئاً ذا بال من المال.

وقد قيدنا هذا الموضوع، ونبحث الآن عن محسن متبرع، أو محسنين متبرعين بشراء هذه الكنيسة وتحويلها إلى مسجد كريم.

في وسط المدينة:

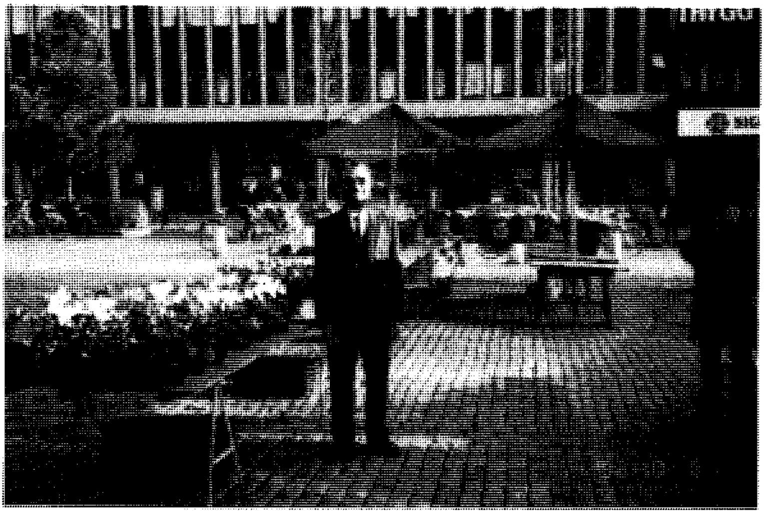
ذهبنا مع الإخوة الكرام إلى ميدان يقع في وسط المدينة، بل هو قلبها يسمونه (توريت ستروم) بمعنى وسط، وهو ساحة مبلطة بالحجارة الخشنة القوية، ويطل عليها فندق قديم اسمه: (إستاد هوتيل) أي فندق المدينة.

وهذا الميدان منسق معتنى به، في حواشيه زهور منوعة الألوان.

وفي هذا الميدان يبيع الفلاحون والمزارعون ما ينتجونه من أرضهم مباشرة على الجمهور، حيث يبقون حوله، ويبيعونه بأنفسهم، ومن أنفس ذلك أنواع منوعة من الزهور المختلفة الألوان والروائح، وقد كتبوا اسم كل مجموعة من الأزهار ونوعها عليها، وكلها معروضة للبيع.

كما رأيناهم عرضوا أنواعاً منوعة من المنتجات الزراعية مثل الفواكه التي هي فواكه معتادة، منها التفاح والكمثرى، والخضرات

كالطماطم والبصل، ومثل ذلك البيض والجبن، كل ذلك طازج أحضروه لتوه من المزرعة، ولكنه كله غالٍ إذا قورن بأسعار أمثاله في بلادنا، فهو يباع أغلى مما يباع عندنا بثلاثة أضعاف، وأحياناً بأكثر من ذلك.



المؤلف في معرض الزهور في ساحة مدينة فسكروس

ثم دعانا الإخوة في الجمعية إلى تناول غداء خفيف في مطعم كبير يطل على هذه الساحة المهمة، فامتنعنا حذراً من أن يكلفهم ذلك نفقة، ولكنهم أصروا، واشترطنا عليهم أن يكون خفيفاً، فكان من السلطات الممتازة مع (البتزا) بالسمك والخضرات، ومعها الأشربة الغازية، والمياه المعدنية، ثم القهوة والشاي.

وكان الفراغ من الغداء في الساعة الرابعة حيث ودعناهم شاكرين، إلا أنهم أصروا أيضاً على أن يتقدمونا بسياراتهم ليرشدونا إلى طريق المدينة التالية التي نحن ذاهبون إليها، وهي مدينة (إسكلس تونا)، وتبعد عن بلدة فوسكروف هذه ٤٢ كيلو متراً.



في مدينة فسكروس. إلى يمين المؤلف الإمام محمود جنكيز، إمام ومدير المركز في المدينة. كما تبدو العمارة ذات اللون الأخضر التي ينوي المركز أن يشتريها من البلدية

إلى مدينة إسكلس تونا:

بعد أن قطعنا الطريق في خروجنا من (فوسكروف) عشرة كيلو مترات، ودعنا الإخوة الكرام وعادوا، وواصلنا نحن سيرنا إلى مدينة (إسكلس تونا) من أجل الاطلاع على المركز الإسلامي الموجود فيها.

وقد استمرت المنطقة خضراء كثيفة الاخضرار ذات حقول أكثرها حصيد، وبعضها قد حرثوه من أجل أن يخصبه الثلج كما تقدم، وتحيط الأشجار الملتفة التي هي على هيئة غابات كثيفة إلا في الأماكن التي يرون أن تكون فيها خفيفة لغرض التجميل كتجميل ما حول الطريق، أو مفترق الطرق حتى وصلنا:

بحيرة مالارن:

وذلك قبل الوصول إلى مدينة (إسكلس تونا) بعشرين كيلومتراً، فرأينا الوقوف بشاطئها الذي شدنا جماله، وجعلنا نقرر الوقوف عنده، والتمتع بالمناظر الجميلة التي تحيط به، والتقاط الصور له قبل مواصلة السير.



عند بحيرة مالارن بين ڤسكروس وإسكلس تونا

والبحيرة كبيرة ممتدة، عليها جسر حديث ضخم، يمر فوقه الطريق الذي نسير فيه.

وكان وقوفنا عند قرية صغيرة واقعة على شاطئ هذه البحيرة الجميلة اسمها: (كنكسون) من أجمل ما رأيت، فيها بيت جميل وردي اللون يقع في أحضان تلة خضراء مشرفة مثله على هذه البحيرة الجميلة، وترفرف بقريه شجرة وردية اللون مثله.

ثم واصلنا السير مع الطريق الجميل الذي يخترق مناطق أجمل منه، مما حملني على أن أكرر هذه الجملة بهذه المناسبة (**سبحان الذي**

أعطاهم).

ولكن أحد المرافقين قال: أرجو أن تتذكر أن هذه المناطق الجميلة تموت كلها في الشتاء حتى تغدو صحراء جليدية، تكاد تجزم بأنه لا أثر فيها لحياة.

فقلت له: إنني أتذكر ذلك، ولكنني أعلم أن ذلك الموت الشتوي هو إلى نشور في الربيع، ولذلك يكفيهم أن يتمتعوا بهذه الجنان في الفصول المعتدلة.

وقد أحسنوا صنعاً في صياغة جمالها، بل إنهم زادوها جمالاً، بل بالغوا في تجميل هذا الجميل حتى غدا بديع الجمال.

وقد تكررت رؤية البيوت الريفية المنفردة، التي لا يوجد بقربها إلا بيت أو بيتان وأكثرها من الخشب. فساءلت نفسي عما يفعل هؤلاء إذا استحكم الشتاء، وعسر الخروج إلى الخلاء، أيجلسون بجانب النار طول الليل والنهار، وفي ذلك الوحدة والانفراد، حتى وإن كان في المنزل أكثر من نزيل، أم يخرجون إلى العراء وفي ذلك الزمهرير الذي يوقف الدم في العروق، وقد يحدث من الإصابات القاتلة في أطراف الجسم ما تحدثه الحروق؟

ثم تذكرت أنها بيوت ريفية ينزلها أهلها في أوقات الاعتدال في الصيف وأطراف الشتاء، ويجلون عنها إلى المدن في الشتاء، فهي أشبه بالمنتجعات وسط الجنات عندما تطيب الأوقات، لا سيما إذا جرى الماء في العود، ثم ازدهرت الورود، وازدهت الخدود، بلسعات الشمس الودود.

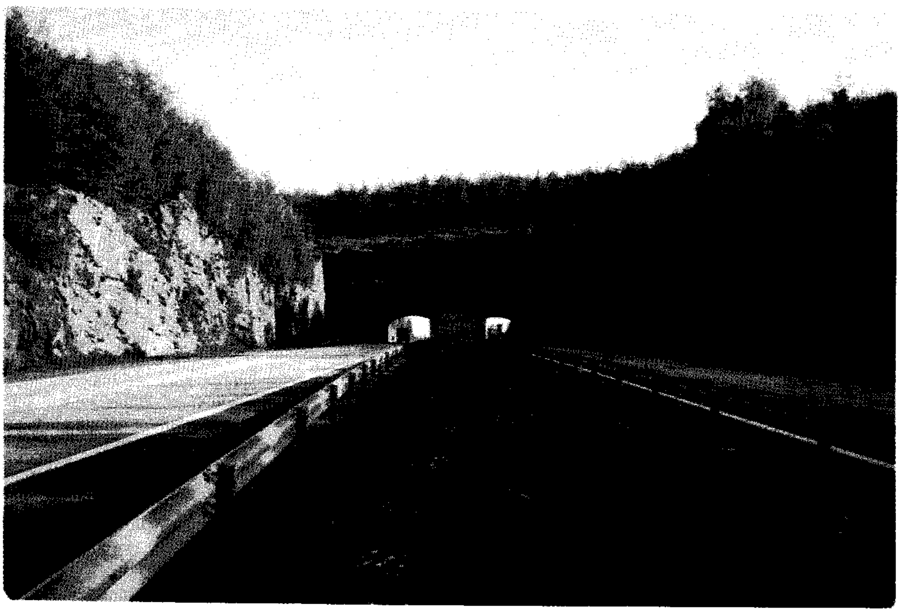
أما المرور في هذه الطريق وما سبقه من الطرق فقل ما شئت من نظام له وهدوء عجيب فيه. مع أن السيارات تسير بسرعة، فسيارتنا مثلاً معدل سرعتها ١٢٠ كيلومتراً، وليست بأسرع السيارات التي تستعمل الطريق،

ولكنها كلها تسير بتعقل وبنظام.

وتتطلب السلامة في السير حتى غدت الحوادث فيها قليلة نادرة، كما أخبرنا بذلك إخواننا المقيمون في هذه البلاد.

وذلك رغم كثرة السيارات ووجودها في كل الطرق حتى المعتادة منها غير السريعة كهذا الطريق الذي نسير عليه.

وبهذه المناسبة علمنا أن شرطة المرور لا تتسامح مطلقاً مع السائقين الذين يسوقون وقد عاقروا شيئاً من الكحول، فهي تتشدد في ذلك، وتجمع للمخالف الذي يسوق وهو شارب ولو لم يصل إلى حدا السكر بين السجن والغرامة، وإذا تكرر ذلك منه مرة ثانية سحبت منه رخصة القيادة لمدة طويلة، ثم إلى الأبد حيث يحرم من القيادة طول حياته.



قالوا: ولذلك تراهم في الحفلات الكبيرة التي اعتادوا على الشرب فيها يجتمع أرباب السيارات من المدعوين، وكلهم أرباب سيارات، فيستأجروا حافلة تنقلهم إلى مكان الاحتفال من بيوتهم، ثم من مكان الاحتفال إلى بيوتهم بعد ذلك، ولا يحضرون بسياراتهم حذراً من العقاب الشديد على من يعرف أنه ساق سيارته بعد تناوله شيئاً من المسكرات، ولو لم يصل به الأمر إلى حد السكر، على أن بعضهم يفعل ذلك إطاعة للقوانين، وليس خوفاً من العقاب، لأن الاستجابة لمثل هذه الأمور صارت عادة مألوفة لديه.

هذه إسكلس تونا:

قبل الوصول إلى مدينة (إسكلس تونا) صار الطريق مزدوجاً بعد أن كان واحداً للسيارات الذاهبة والآيبة.

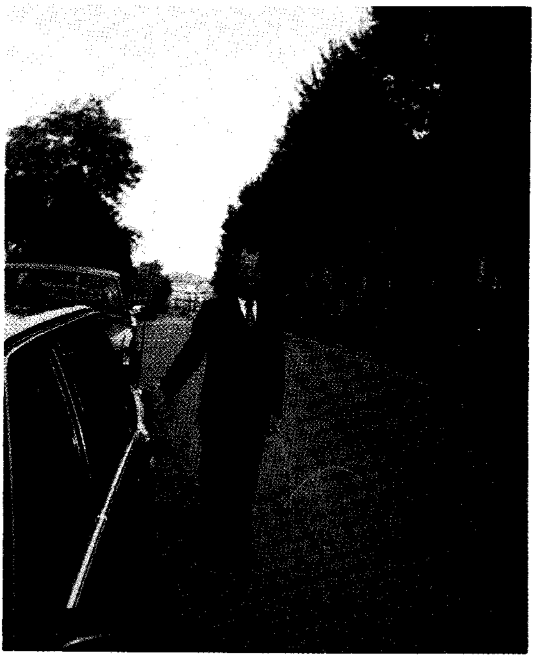
واستقبلتنا المدينة بأبنية متعددة الطوابق (عمارات) حمر الطلاء، حولها مواقف متسعة للسيارات في أفنية مكشوفة، وبكنيسة حمراء الطلاء أيضاً ذات قبة وبرجين عاليين مربعين، يشبهان الصومعتين من صوامع المآذن الأندلسية.

ثم وصلنا إلى بحيرة فيها نافورة جيدة تتراقص مياهها في هذا الجو البارد، فتصيب المرء حتى وهو في سيارته بالقشعريرة من البرد.

وأكثر الناس في شوارع المدينة هم السويديون البيض، إلا أنه من الواضح هنا أنهم يعانون من البرد، إذ بانت لسعات البرد على الخدود الوردية، فغدت كالزهور الحمر المتفتحة.

والملابس هنا كلها شتوية توحي بالبرد الشديد لو كان الأمر

بالنسبة إلينا يحتاج إلى توكيد.



المؤلف في أحد شوارع مدينة إسكلس تونا

ثم وصلنا إلى حديقة هائلة الاتساع، بديعة التنسيق والتقسيم.

ومن أول نظرة إلى المدينة يشعر القادم إليها أنها أجمل من (إبسالا) ولعل مرد ذلك إلى كونها أحدث منها تخطيطاً وعمارة.

المركز الإسلامي:

ذهبنا قصداً إلى المركز الإسلامي في المدينة، دليلنا إليه هو مرافقنا في السفر الشيخ سعيد نورتال الذي زاره أكثر من مرة.

فوجدنا فيه أخانا المهتدي الأخ (عبد الحق كيلاني) وهو مسلم سويدي أسلم في (أستوكهولم) عام ١٩٨٤م، وهو مولود في هذه المدينة (إسكلس تونا).

والمركز هو الوحيد في هذه المدينة، وقد افتتح في عام ١٩٧٢م، ويشغل جزءاً من طابق أرضي، وليس (بدروماً) تحت الأرض، مثل سابقه بضم مسجداً ذا محراب جميل ومكتبة صغيرة وغرفة مكتب ومحلات للوضوء، ويصلون فيه الجمعة، ذكر الأخ عبد الحق أنه يصلي معهم الجمعة عدد يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٦٠ مصلياً.

وهو الإمام الذي يؤم الناس في الصلاة، ويؤذن في المسجد، وهو الحارس أيضاً، لأنه لا يوجد من يقوم بهذه الوظائف للمركز غيره، وذكر أنه يفتح المركز في الصباح، ويغلقه في الليل بعد صلاة العشاء.

المسلمون في إسكلس تونا:

جلسنا في المكتب الملحق بالمسجد الذي هو داخل المركز على شاي وشراب بارد مع فاكهة وفستق وكعك لين (كيك)، قدمه أخونا الأخ عبد الحق الكيلاني، ويحدثنا في أمور المركز خاصة، وفي أمور المسلمين في هذه المدينة بصفة عامة.

قال الأخ عبد الحق، وهو أحق من يتكلم عن ذلك لكونه من أهل المدينة ومواكب للحركة الإسلامية فيها، ولا حظنا أنه لا يبالغ، بل كثيراً ما يبني أحكامه على الاحتياط في القول.

قال: يبلغ عدد المسلمين في المدينة ألف رجل، أو أكثر من ذلك قليلا، أكثرهم من الأتراك واليوغسلافيين.

وفيهم أعداد محدودة من عرب شمال إفريقية ومن الأكراد، ومن الإفريقيين من الصومال والحبشة خاصة.

وذكر أن نفقات المركز من التبرعات التي يجمعونها من المسلمين

يوم الجمعة وغيره، ومن إعانة محدودة يحصلون عليها من الحكومة السويدية مثل غيرهم من المراكز الإسلامية، بل من المؤسسات الدينية بصفة عامة من مسلمة وغير مسلمة.



ساحة صغيرة أمام المدخل المؤدي إلى المركز الإسلامي في مدينة إسكلس

عبد الحق كيلاني إمام مسجد المركز الإسلامي في إسكلس تونا على يساره المؤلف

ويبلغ سكان مدينة (إسكلس تونا) ٩٠ ألف نسمة، وهي مدينة صناعية مهمة تشتهر بصناعة السلاح من بنادق وغيرها، كما تشتهر بصنع الآلات والأدوات الحادة من السيوف والخناجر والسكاكين والمقصات ونحوها، وفيها مصانع للمحركات أيضاً.

صلاة المغرب:

كانت الجلسة مع الأخ عبد الحق الذي قدم الفاكهة والنستق والشاي - كما سبق - جلسة استراحة واستفادة، أطلناها رغم معرفتنا

بحاجتنا لتوفير الوقت الذي كنا نود أن ننفقه في الطريق قبل أن تغرب الشمس، ولكن الوقت مضى من دون أن نشعر به، وحان وقت الصلاة، فأذن الأخ الشيخ عبد الحق لصلاة المغرب أذاناً شجياً، إن لم يكن فصيحاً في لغته، فإنه فصيح في إخلاصه ومعناه في هذه البلدة النائية عن الحواضر الإسلامية، وفي جو كان - ولا يزال - ميداناً للنصرانية دون غيرها من الديانات السماوية.

وأسرع الأخ عبد الحق بعد الأذان يخلع عليَّ جبة خضراء يلبسني إياها فوق ملابسي الإفرنجية، ويحضر قلنسوة (طاقية) بيضاء يضعها على رأسي، ثم يعزم علي أن أتقدم فأؤمهم في الصلاة.



عبد الحق كيلاني إمام مسجد المركز الإسلامي في إسكلس تونا. على يساره المؤلف

ولم يكن من عادتي أن أسارع إلى تلبية مثل هذا الأمر، ولكنني

فعلت ذلك، استجابة لإلحاح الأخ عبد الحق، وإلاَّ فإنني أمتنع عن ذلك في العادة مراعاة لشعور الإمام الراتب للمسجد، ومن أجل أن نرى كيف يؤم الناس ومدى فقهه ومعرفته بأحكام الإمامة.

لم يصل معنا إلا ثلاثة ونحن أربعة، فكان جميع جماعة المسجد سبعة فقط.

ثم جمعنا صلاة العشاء بعد صلاة المغرب لكوننا مسافرين، وأفهمتهم ذلك لئلا يظنوا أننا ممن يجمعون بين الصلاتين من دون سبب، كما يفعل الشيعة، أو الكثيرون منهم.

الزوجة التي قتلت نفسها:

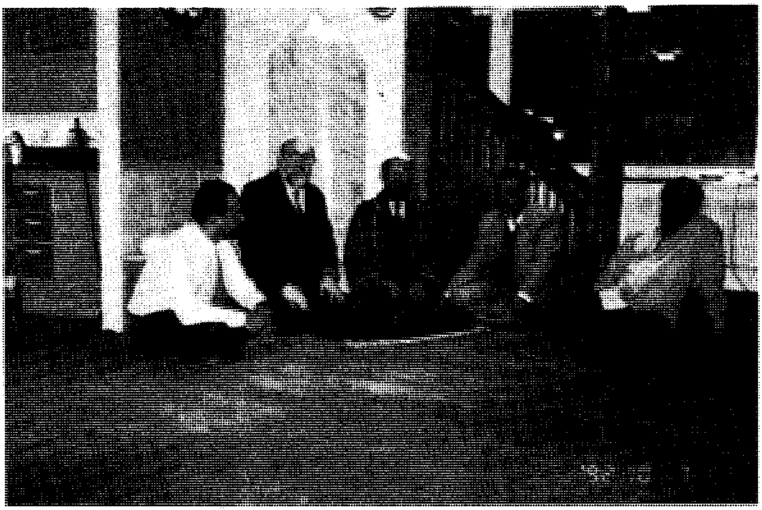
صلى معنا في المسجد أخ باكستاني شاب وسيم في حدود الثامنة والعشرين من عمره اسمه (أبرار)، سألنا بعد الصلاة عن موضوع قال إنه يشغل باله، وهو أنه - فيما ذكر - كان متزوجاً من فتاة سويدية أسلمت قبل زواجها بأن نطقت بالشهادتين، وقبلت بأن تصبح مسلمة، فلا تذهب إلى الكنيسة، ولا تصنع شيئاً مما يفعله المسيحيون من الأمور الدينية.

قال: ولكنني لم أستطع أن أجعلها تلتزم بشرائع الإسلام وواجباته، فمثلاً لم تكن تواظب على أداء الصلاة، ولم تكن تصوم رمضان صوماً كاملاً، فنشب صراع بيني وبينها، أنا أريدها أن تكون مسلمة ملتزمة، وهي تقول: إنها أسلمت، ولكنها لا تستطيع أن تكون ملتزمة مثله، وإنما هي مثل حالة بعض المسلمين العريقين في الإسلام الذين لا يلتزمون بالشرائع، لعجزها عن ذلك فيما تقول.

قال: فلم يكن أمامي إلا أن أطلقها، لأنني لا أريد أن أبقى مع زوجة

غير مسلمة حقاً، وإن كانت تقول: إنها مسلمة، وقد قطعت صلتها بدينها المسيحي السابق، قال: فكبر ذلك عليها، وقتلت نفسها بأن انتحرت.

قال: ولذلك أشعر الآن بما يؤرقني، وهو أن أكون أنا الذي دفعتها بتشديدي عليها، ثم بتطليقها، دفعاً إلى الانتحار، وأخشى من عقاب الله تعالى على ذلك.



جلسة داخل المصلى في مدينة إسكلس

فقلنا له: لقد أخطأت في إجبارها على الدخول في الإسلام، ويمكنك أن تبقى معها وهي مسيحية، هذا لو كانت أصرت على أن تبقى مسيحية، ولكنها قطعت صلتها بالمسيحية كما قررت، وإذاً بقي عليك أن تحاول بحكمة أن تجعلها تحب دينها الجديد الإسلام، وأن تلتزم عن اقتناع وطواعية بأداء فرائضه، وكان بإمكانك أن تستعين على ذلك بقوم من المسلمين من قومها، وبخاصة من الأخوات السويديات المسلمات من أبناء جنسها، بدلاً من أن تلجأ إلى الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله.

فقال: لقد بذلت جهدي حتى أيست من موافقتها فطلقتها.

فقلنا: وهي أيضاً أخطأت، ولو كانت مسلمة حقاً لما قتلت نفسها لكونك طلقتها، لأن إيمانها يعطيها الصبر والقوة على تحمل هذه المصيبة التي نزلت بها.

قال بأسف: والآن أنا أريد أن أدعو لها وأتصدق عنها، لأنه ليس بإمكاني أن أفعل لها غير ذلك، فهل يجوز لي أن أفعل ذلك لها ؟.

قال ذلك وهو في حالة كبيرة من التأثر مما يدل على أنه كان يحبها، وأنها كانت تحبه، بدليل أنها قتلت نفسها عندما فارقها.

فقلت له: نرجو ألاّ يكون عليك إثم في ذلك.

إلى أوربورو:

ودعنا الأخ الكريم عبد الحق الكيلاني، وهذا كله اسم له إسلامي جديد، فقد أراد أن يهجر اسمه القديم كله، وإلاّ فإن اسمه القديم كان (ليف) كما علمنا بعد ذلك، وودعنا معه الأخ (أبرار) وأسفه على زوجته السويدية التي قتلت نفسها حزناً على فراقه، أو غماً لطلاقها منه، وذلك في الساعة الخامسة والنصف، وقد عم الظلام قاصدين مدينة (أوربورو) التي تبعد عن مدينة (إسكلس تونا) ١٢٠ كيلو متراً.

الغزال في ضواحي المدينة:

بينما كنا نسير متأنين من أجل التأكد من الطريق الموصل إلى (أوربورو) عن طريق قراءة اللافتات المكتوبة على مفارق الطرق، إذا بغزال يسير وسط الطريق الإسفلتي كأنما بهره النور فوقف في الطريق أو كاد، وذلك في ضواحي مدينة (إسكلس تونا).

ولا شك أنه لو صادف سيارة مسرعة لأحدث لها مشكلة، لأنها إما أن تصطدم به إذا لم يبعد عن طريقها، أو يسبب لها أن تنقلب إذا حاولت تفاديه.

وذكرت هنا ما سبق أن سجلته ونحن نسير من (أستوكهولم) إلى (أبسالا) من أنهم كتبوا على الطريق لافتة تقول: هنا منطقة (أيايل)، فينبغي أن تخفف السرعة.

وذكرت أكثر من ذلك أن هذا الغزال لو وجد في بلادنا وفي مثل هذه الحالة في مكان ناءٍ بعيد لشاع ذكره في الديار، وتناقله السمار، حتى طلبه القناصون الذين ليسوا بحاجة إلى لحمه، ولا لصيده، وإنما هم راغبون في الصيد، وليس من أجل الحاجة لا يبالون بما أنفقوا في ذلك من جهد أو مال، ولا ما خالفوا من أوامر أو نواهي أولي الأمر.

أما الحكومة السويدية فإنها تشدد على حماية الحياة الفطرية، وتتتبع الحيوان الوحشي، بل حتى الأهلي فتحميه، وتيسر له ما يبقيه على قيد الحياة، بل ما يضمن له التناسل والتكاثر، يساعدها على ذلك شعب متعلم يقدر هذه الأمور مثلما تقدرها الحكومة أو أكثر، ويتولى هو تنفيذ هذه القوانين حتى يكون رقيباً عليها، لا يرضى بأن يعبث بها العابثون، وإذا لاحظ شيئاً من المخالفة لها سارع إلى منعه بنفسه إن استطاع، وإلاّ اتصل عاجلاً بالسلطات المختصة التي تستطيع أن تحمي القوانين، وتمنع مخالفتها.

ومن طرائف محافظة العامة من السويديين على القوانين ما حدثنا به رفيقنا في هذه السفرة الأخ محمد باصفر، وهو دبلوماسي سعودي مسؤول في السفارة عن الشؤون الإسلامية والعلاقة مع المراكز والجمعيات الإسلامية، قال: دعوت عدداً من جيراني السويديين على عشاء في ليلة من

الليالي، وقدمت لهم من أطايب الطعام وأغلاه ما استكثروه.

قال: وقد خرجوا من عندي بعيد الساعة التاسعة بقليل، ودخلت الحمام لأمر من الأمور وأفرغت ماء (السيفون) في المرحاض، فما شعرت إلاّ بجاري يطرق عليَّ الباب ويقول: أذكرك بأنك خالفت القانون الذي ينص على منع تحريك (السيفون) وهو الذي يدفع الماء في المرحاض بعد الساعة التاسعة والنصف.

قال: وكان هذا الجار قد خرج لتوه من بيتي بعد أن تعشى عندي.

ويشير ذلك الجار إلى القانون الذي يمنع تحريك (السيفون) أو فتح (المروش) وهو (الدش) الذي يستعمل في الحمام بعد الساعة التاسعة والنصف ليلاً، محافظة على راحة الجيران من سكان العمارة، وطلباً للهدوء في الليل.

قال الأخ محمد باصفر: ويمنع القانون أيضاً انطلاق الموسيقى في ذلك الوقت، وهذا أمر معقول، لأنها إذا ارتفع صوتها تكون مزعجة، وحتى إذا لم يرتفع فإنها تمنع الهدوء، أما استعمال (المروش) أو منظف المرحاض الذي يدفع إليه الماء، فذلك أمر عجيب!

هذا وعند الخروج من ضواحي مدينة (إسكلس تونا) لم نستطع الاهتداء للطريق الذي يوصل إلى مدينة (أوربورو) مباشرة لكثرة الطرق، وتعدد لافتاتها، ونحن نعرف رقم الطريق الموصل إليها، ولكن الشأن في الوصول إليه.

لذلك سألنا أصحاب محطة لبيع المحروقات فوصفوها لنا وعرفناه برقمه دون عناء.

كان الظلام قد استحكم، لذلك لم يكن في الطريق متعة إلاّ متعة

تبادل الأحاديث التي لا يشغلك عنها شاغل مما تراه في الطريق في النهار.

مدينة أوربورو:

حتى وصلنا مدينة (أوربورو) في الساعة الثامنة إلا ربعاً، وكان أول ما استرعى انتباهنا أمر متكرر، ولكن العجب منه، أو الإعجاب به تكرر أيضاً، وهو شبكة الطرق الحديثة الواسعة التي تتجه للمدينة وتتفرع في ضواحيها، وهي طرق تركبها جسور تجعلها سريعة لا تتعارض مع السيارات التي تسير في طرق تعترضها.

والعجب العجاب كثرة اللافتات والإرشادات المرورية التي اكتفوا بها عن شرطة المرور، إذْ لا حاجة إليها إذا التزم السائقون بالنظام، واتبعوا ما تدل عليه هذه الإرشادات وهم يفعلون ذلك، وتبعنا لافتة على طريق يشير إلى قلب المدينة التجاري، ويسمونه (السنتروم)، وهو السنتر بالإنكليزية، و(السنترو) باللغات اللاتينية، فسرنا معه وقد طوح بنا إلى جهة من ضواحي المدينة قبل أن يصل إلى قلبها.

المركز الثقافي الإسلامي:

وقفنا عند هدفنا الذي هو المركز الإسلامي في هذه المدينة، ويقع في قلبها التجاري الحافل بالمحلات الكبيرة.

صعدنا إلى المركز في الطابق الأول الواقع فوق الأرضي الذي فيه محلات تجارية، فوجدنا المسؤولين عن المركز موجودين فيه، لأنهم كانوا عرفوا بقدومنا، وإن كانوا لم يعرفوا الساعة التي نقدم فيها.

كان في الحاضرين الأخ الشيخ جبريل علي الهرري إمام المركز وهو متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد قال ذلك ليذكرني

بأنه من تلاميذي في الجامعة، فقد كنت آنذاك أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة، والشيخ جبريل الآن شيخ يبدو كبيراً قد طار من رأسه الغراب، وحل محله الغرنوق، كما يقول المثل العامي، والغراب هو أسود غربيب، أما الغرنوق فإنه طائر أبيض شديد البياض، والشيخ جبريل مبعوث من رابطة العالم الإسلامي إلى السويد، تدفع الرابطة راتبه ليتفرغ لهذا العمل النبيل.

جلسنا في مكتب في المركز نتذاكر الأمور المتعلقة بالمسلمين في هذه المدينة، ونذكرهم بما أثر عنهم من كونهم هاجموا بلادنا، وذكروها بذكر غير حسن، مع أنها ساعدتهم مثلما ساعدت غيرهم من المراكز الإسلامية في هذه البلاد الإسكندنافية وفي العالم أجمع، وقد أسفوا لذلك، وذكروا أنه وقع بالفعل، ولكنه من قوم كانوا ينتسبون إلى هذا المركز من دون أن يكونوا مسؤولين فيه.



المسؤولين عن المركز الإسلامي في أوريبرو داخل المركز

وذكروا أنهم اتفقوا منذ فترة أن تمر جميع المكاتيات التي تصدر عن هذا المركز للإمام الشيخ جبريل الذي هو مبعوث الرابطة، ولا يعتبر أي

كتاب أو منشور يصدر عن المركز رسمياً إلا إذا كان وافق عليه.

وذلك كله منهم تلافياً للنزاع والشقاق فيما بينهم .

ثم أكدوا لنا أنه لن يصدر عنهم ما يسيء إلى المملكة في المستقبل.

أما المركز فإن اسمه المركز الثقافي الإسلامي، أنشئ في عام ١٩٧٩م، وهو مستأجر بتسعة عشر ألف كرونة في الشهر، ويساوي ذلك ثلاثة آلاف ومائتي دولار، وأنهم يستعينون على ذلك بما يأخذونه من معونة من الحكومة السويدية، يتسلمونها عن طريق مجلس الكنائس السويدي.

ذكروا أن عدد الذين يصلون الجمعة في مسجد المركز يكون في العادة في زهاء مائتي شخص، ولا يكاد المسجد يتسع لأكثر منهم.

ثم أعطونا هذا المنشور الذي يتعلق بعمل المركز من إعداد الشيخ جبريل على الهرري:

تقرير الداعية/جبريل علي الهرري:

بتوفيق من الله بدأ الإسلام - وما يزال - يظهر في هذا المجتمع النائي يوماً بعد يوم، وللإسلام هويته المتميزة مهما يكن أتباعه قليلاً، لأنه دين الحق. أما عن المركز الثقافي الإسلامي هنا الذي تأسس عام ١٩٧٩م /١٣٩٩هـ فيتلخص نشاطه على النحو التالي:

١- يحضر إلى المركز يوم الجمعة ما يزيد عن ٣٥٠ رجلاً وما بين ١٠٠-٦٠ من النساء، وهذا العدد من المسلمين هم الذين يتمكنون من أداء صلاة الجمعة، ويستفيدون من خطبتها التي تُعتبر درساً أسبوعياً؛ حيث يكون موضوعها حسبما يتطلب الموقف ويحتاج إليه المسلمون في نواحي العقيدة وأصول الإسلام، والحفاظ على الأخوة والتعاون، ووحدة صف الأقلية المسلمة في هذا المجتمع، كما أن هناك عدداً

كبيراً من المسلمين يترددون يومياً على مقر المركز للاستفادة من التوجيهات والإرشادات ومعرفة أمور دينهم.

٢- دروس في العقيدة الإسلامية والفقه والسيرة النبوية للرجال، ومثلها للنساء.

٣- بصفتي إماماً ومرجعاً للمسلمين أتواجد يومياً في المركز لاستقبال المسلمين، والإجابة على استفساراتهم وأسئلتهم الفقهية والأمور التي تطرأ لهم.

٤- نقوم بزيارة تجمعات المسلمين في المدن الأخرى المجاورة حسب الإمكانيات لتنقدهم وتوعيتهم، وذلك من ضمن أنشطة المركز الدعوية.

٥- يوجد حول المدينة التي يقع بها مقر المركز عدد من مراكز اللاجئين، التي تضم أعداداً كبيرة من المسلمين، فنقوم بإرسال بعض الإخوة بشكل دوري إلى هذه المراكز أيام الجمع ليصلوا بأهلها من المسلمين، كما نقوم بزيارتهم من وقت لآخر، ونوفر لهم ما يحتاجون إليه من الكتب الإسلامية والمصاحف حسبما يتوفر لدينا.

٦- يقوم المركز بإجراء عقود الزواج الشرعي، حيث إن عقود الزواج التي يصدرها المركز معترف بها لدى السلطات السويدية، لذلك يفد إلينا المسلمون من مدن بعيدة لهذا الغرض.

٧- نقوم بالإشراف على المقبرة الإسلامية التي يدفن بها المسلمون فقط حيث يتم إعداد موتى المسلمين حسب الأصول الشرعية من غسل وتكفين وصلاة ودفن.

٨- للمركز نشاطه الفعال في مجال الشؤون الاجتماعية وإصلاح ذات البين بين المسلمين في محافظتنا.

تقوم « مدرسة القرآن الكريم واللغة العربية » بتدريس أطفال المسلمين القرآن والعقيدة والتاريخ الإسلامي واللغة العربية في العطلة الأسبوعية؛ حيث تضم فصول المدرسة ما يقارب من ٧٠ طفلاً وطفلة تتراوح أعمارهم بين ٦ إلى ١٦ عاماً، ويتم وضع البنات اللواتي تتراوح أعمارهن فوق ١٠ سنوات في فصول منفصلة تحت إشراف مدرسة مختصة.



إمام ومدير المركز الإسلامي الثقافي في أوربرو مع المؤلف عند منبر المركز

هذه نبذة بسيطة عن النشاطات التي يقوم بها المركز الثقافي الإسلامي، والتي هي بحاجة إلى التحسين المتتابع لاستمرار العمل الدعوي بين الجالية المسلمة في أوربرو، ونعلمكم أن هذا المركز في حاجة إلى الأمور التالية والتي سبق أن قدمت إليكم في مناسبة سابقة:

١- مراجع علمية شرعية مثل: شرح صحيح البخاري للعسقلاني، شرح صحيح مسلم للنووي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المغني

لابن قدامة، تفسير الطبري، تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير وغيرها، بالإضافة إلى كتب العقائد والسيرة والفقه باللغة الإنجليزية، ومعاني القرآن الكريم مترجمة إلى اللغات الأوروبية المختلفة.

٢- كتب ومناهج لروضة الأطفال والمرحلة الابتدائية.

٣- مناهج لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من الكبار.

٤- مساعدة مالية للمركز، وخاصة للمعلمين الذين يقومون تطوعاً بتدريس أطفال المسلمين، والحاجة ماسة إلى تشجيعهم ليستمروا في عملهم.

٥- ضرورة الحصول على سيارة نقل (أوتوبيس) يتسع لحوالي ٣٠-٤٠ شخصاً لنقل الأطفال إلى ومن المدرسة، وللرحلات واستخدامها في أعمال الدعوة، وزيارات مراكز اللاجئين لتفقدهم وإنقاذهم من براثن المبشرين النصارى، ولزيارة المسلمين في المدن القريبة، حيث أن أوربرو تقع في منتصف السويد شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، وهي أكبر المدن فيما حولها.

ختاماً أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ويوفقنا لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين.

المسلمون في (أوربورو)

يبلغ عدد المسلمين في مدينة (أوربورو) ٢٤٠٠ مسلم في داخل المدينة، أي لا يشمل ذلك من يوجدون في القرى أو الأماكن القريبة منها ولكنهم خارجها، وذلك من مجموع سكان المدينة الذين يبلغ عددهم مائة وثلاثين ألف نسمة.

وليس في المدينة إلا هذا المركز الإسلامي الواحد، بل الوحيد على حين أنها توجد فيها ٢٤ كنيسة، وهذا ليس بغريب إذا عرفنا أن ديانة سكانها كانت - ولا تزال - هي المسيحية، ولا نستقل عدد المراكز الإسلامية الآن إذا قارناها بما كانت عليه الحال في السويد في الماضي القريب، حيث لم يكن يوجد فيها مسلمون، وبالتالي لا توجد فيها مساجد أو مراكز إسلامية، إلا أن الشيء الذي ينبغي أن يتذكره المرء أنه لو كان هناك دعم فعال من دول العالم الإسلامي، أو جماعاته القادرة على الدعم للمسلمين في هذه البلاد السويدية التي كثر فيها المسلمون، أو على الأقل صار لهم فيها وجود مذكور لكانت مراكز المسلمين لائقة بمكانة الدين الإسلامي الحنيف، ولكانت مصادر إشعاع إسلامي يجذب كثيراً من غير المسلمين للدخول إلى الإسلام، لأنه يفترض أن يكون فيها دعاة قادرون على شرح مبادئ الدين الإسلامي ومزاياه، وما يجب أن يكون عليه المسلمون في ديار الاغتراب من خلق حسن، وما ينبغي أن يتحلوا به من أمانة وحسن معاملة، حتى يقتدي بهم غيرهم من ذوي الأديان الأخرى، ويدخلوا في دين الله أفواجاً.

هذا بالإضافة مع ما ينبغي أن يكون في المركز الإسلامي أو المسجد من كتب متعددة بلغات القوم ما بين كتب صغيرة للتوزيع ومراجع للباحثين

ومحبي المعرفة.

وأكثر المسلمين في هذه المدينة هم من العرب، لذلك لم نحتج أن نتكلم معهم بغير العربية، بخلاف المركز الذي قبله فقد كنا نتكلم مع إمامه الأخ عبد الخالق كيلاني بالإنكليزية رغم كونه يحسن قدراً من العربية، ولكنه لا يكفي للتفاهم معه.

قالوا: ويلي العرب في هذه المدينة الأفارقة الذين بعضهم من الصوماليين وبعضهم من الأحباش، جاؤوا كلهم لاجئين، وقبلتهم حكومة السويد، ولكنها فرقتهم على المدن، بل والقرى الكبيرة وفقاً لسياسة تسير عليها في توزيع اللاجئين في أنحاء البلاد، وعدم تركيزهم في مدينة واحدة.

تجولنا بعد ذلك معهم داخل المركز، فرأيناهم أنفقوا كثيراً من أجل جعله صالحاً للمركز، فمثلاً أزالوا حاجزاً من أحد أركانه فصارت فيه قاعة واسعة اتخذوها مسجداً، وجعلوا في ركنه مدرسة أو لنقل فصولاً للدراسة للأطفال.

ومع ذلك يشعرون بالمضايقة هنا، لأن فوقهم في الطابقين الثاني والثالث فندقاً ذكروا أنه شكا من كثرة الأصوات في صلاة الجمعة والعيدين، كما أنهم لا يعرفون متى يطلب منهم صاحب المحل أن يغادروه فلا يستطيعون أن يجدوا له بديلاً جاهزاً.

ولذلك حزموا أمرهم واشتروا أرضاً يريدون أن يبنوا عليها مركزاً إسلامياً يملكونه ولا يخرجون منه، يكون لهم وللمسلمين من بعدهم، إلا أنهم مثل أهل أبسالا لديهم إشكال فيما يكون عليه شكل المسجد، وربما كانوا أكثر اتفاقاً من أهل أبسالا على أن لا يكون مسجداً ذا

مظهر متميز بقبته ومآذنه، يقولون إنه ربما كان في ذلك استفزاز لمشاعر أهل البلاد الذين قد يسعون لمضايقة المسلمين، إذا ما رأوا هذا الشعار الإسلامي الغريب عن بلادهم ظاهراً واضحاً للعيان.

على أنهم جميعاً مع أهل (أبسالا) يؤكدون أن العامة من أهل البلاد بعيدون عن التعصب، وأنهم الآن لا يواجهون أية مشكلة من أحد تتعلق بأمور دينهم، وإنما خشيتهم بعد ذلك هي من الدوائر الدينية الكنسية التي قد ترى في وجود الدين الجديد ونموه بين الناس ما تشعر بالخطر منه.

وقد قلنا لهم ما قلناه لإخوانهم أهل أبسالا: إنه إذا كانت الجهات المختصة في المدينة أذنت ببناء مسجد متميز له مظهر المسجد، فإن بناءه كذلك هو أفضل من جعله مبنى معتاداً، وعليهم أن تكون معاملتهم للجميع معاملة تتسم بالعطف ومحبة الخير لهم، وبيان سماحة الإسلام وأنه خير للجميع من مسلمين وغير مسلمين .

وقد وعدناهم عندما يبدؤون العمل في هذا المركز بالمساعدة المالية من رابطة العالم الإسلامي، كما وعدناهم بالسعي لدى أهل الخير من الأثرياء في بلادنا لتزكية المشروع، والإسهام عن طريق الرابطة في بنائه.

مغادرة أوربورو:

غادرنا مدينة أوربورو في التاسعة والنصف والظلام دامس، وكنا نأمل أن نجد بعد أن نسير خمسين أو ستين كيلومتراً فندقاً ننام فيه، ثم نستأنف السير في الصباح إلى مدينة (أوتي بوري) التي تعرف في العالم باسم (قوتن بيرج)، وهي المدينة الثانية في السويد من حيث عدد السكان كما أنها ميناء مهم.

وكان الطريق مليئاً بالسيارات التي ضمت سيارات الركوب الصغيرة المعتادة والشاحنات الضخمة الطويلة، ولم يكن في السير في هذا الظلام الحالك أية متعة، مع التنويه بأن السائقين كانوا مؤدبين ملتزمين بقوانين السير وحتى بآدابه، فلا يوجد من يرفع النور في سيارته فيبهر السائقين الآخرين، ولا من يسرع إسراعاً اكثر من المعتاد، ولا من يتجاوزك في غير موضع تجاوز.

وحتى السيارات التي تريد أنت أن تتجاوزها، فإن سائقها يسارع ويأخذ جهة اليمين من المسار الأيمن. ويخرج بعض سيارته عن هذا المسار حتى يتيح لك سهولة التجاوز.

وكنا نعتمد في معرفة وجود الفندق على اللافتات التي تشير إلى الفنادق والأنزال (الموتيلات) في الطريق، فسرنا ١٣٠ كيلومتراً دون أن نرى لافتة واحدة إذْ كانت المنطقة ريفية خالية من المدن والقرى الكبيرة، وإنما هي مزارع وبيوت ريفية متفرقة.

ثم رأينا بعد قطع تلك المسافة لافتة تشير إلى نُزُل وهو الموتيل، فطرقنا بابه فذكر أنه مشغول كله.

الفندق للاجئين:

فسرنا مسافة غير طويلة ورأينا لافتة تشير إلى وجود فندق على يسار الطريق، ولكننا عندما سألنا أهله أجابوا بأنه مشغول كله، وليست فيه غرفة خالية، قالوا: وذلك أن الحكومة استأجرته، وأسكنت فيه اللاجئين، وذلك أن من عادتها إذا قبلت دخول اللاجئين أن تؤمن لهم السكن والمأكل والملبس، وراتباً شهرياً مؤقتاً، ثم تفرقهم في البلاد كما تقدم الحديث عن ذلك. وتطلب منهم ألا يبتعدوا عن مكان إقامتهم، وهم

لا يستطيعون ذلك لأن الحصول على مسكن أمر صعب بالنسبة إليهم لغلاء المساكن، وذلك إلى حين البت في أمرهم، وغالباً ما ينتهي ذلك بمنحهم حق اللجوء الاضطراري، وبذلك يمنحون إقامة طويلة تتضمن حق العمل، وحق التعويض عن العمل إذا لم يجدوا عملاً، أي أنهم يمنحون ما يمنحه المواطنون تقريباً.

وبعد أن أيسنا من هذا الفندق الجيد الذي أسكنت الحكومة فيه اللاجئين سرنا بضعة كيلومترات ونحن نقترب من بلدة (إسكارا)، فرأينا لافتة فندق وجدنا فيه الغرف المطلوبة لنا، وهي أربع غرف كل غرفة بأربعمائة كرونة مع طعام الإفطار، ويساوي ذلك نحو سبعة وخمسين دولاراً، وهذا سعر جيد بالنسبة إلى أسعار الفنادق في هذه البلاد.

وسبب رخصه أنه في منطقة ريفية تسمى (برن برونا)، واسم الفندق: فاردشوس، وهو جيد من ذوات النجوم الأربع، ومثيله في أستوكهولم تساوي الغرفة فيه ١٨٠ دولاراً في الليلة، فهو أرقى من فندق (دومس) الذي سكنا فيه في أستوكهولم.

كان أول ما استمتعنا به منه دفء معتدل فيه بعد برد الخلاء في البرية، وإن كنا في السيارة وهي مدفاة، فلم نكن نشعل التدفئة فيها خوفاً من الزكام عند الخروج منها إلى الجو البارد، ولم يبالغوا في تدفئته إلى درجة ان يشعر المرء فيه بالحر بعد فترة، ولا شك أن السبب في ذلك هو خبرتهم بالتدفئة الصحية من واقع تجربتهم في بلادهم الباردة.

ونظن أن درجة الحرارة عندما وصلنا قد تدنت إلى الصفر المئوي، لأننا رأيناها في التاسعة على لوحة في المدينة التي قبلها وهي (أوربورو) خمس درجات مئوية.

يوم الأربعاء ١٧/ ١٠/ ١٩٩٢م.

كنا بحاجة إلى النوم لذلك نمنا البارحة مبكرين، فكان نوماً عميقاً هادئاً.

وفي الصباح كانت الشمس تتسلل بخيوطها الفضية، ولما تبلغ كبد السماء من نافذة غرفتي الواقعة في جهة الجنوب، فكان لمنظرها ووقعها في النفس أثر عظيم مما ذكرني بالمثل العربي القديم الذي قيل إن أول من قالته ابنة الخس، وهي امرأة من شهيرات العربيات اللاتي ذهبت أقوالهن أمثالاً، وهو قولها: كنت أحسن من النار في عين المقرور. والمقرور: الذي أصابه القرُّ وهو البرد الشديد.

وقد تساءلت مازحاً عما إذا كانت هذه هي الشمس التي كانت طالعة أمس وسط الزمهرير من الهواء البارد، إلا أنها اختفت بعد قليل بغلائل من الغيم المستطيل الرقيق، ثم اختفت وراء أشجار عالية كانت بقرب النافذة.

وكان من المريح في هذا الصباح أن ذهبنا إلى مطعم الفندق لتناول طعام الإفطار، ومن دون أن نثقل أجسامنا أو نضيع أوقاتنا بارتداء الملابس الثقيلة، لأن الفندق كله دفيء، أو لنقل مكيف بالهواء الساخن.

وكان الإفطار في الفندق جيداً كعادة الفنادق في هذه البلاد، وكله على مائدة، بل موائد مفتوحة، يأخذ منها الآكل ما شاء من دون مساعدة من أحد.

وأهم ما فيها أنواع من الجبن متعددة.

وبعد الإفطار عدنا إلى الفندق لنقضي وقتاً في ارتداء الملابس الثقيلة.

بلدة إسكارا:

غادرنا (برن برونا) وودعنا أهل الفندق فيها الذين لم نرهم إلاَّ البارحة وداعاً ودياً، فقد كانوا كسائر أهل السويد وديين يسهل التعارف بهم.

وكانت مغادرة الفندق في التاسعة والنصف صباحاً ولوحة درجة الحرارة تسجل درجتين فوق الصفر.

وقد جلل الطفَل وهو الندى الكثيف سيارتنا، وقد خلت أنها تحتاج إلى وقت من تشغيل محركها حتى يدفأ وتنطلق انطلاقا معتاداً، ولكن رفيقنا الأستاذ محمد باصفر الذي يسوق السيارة ومعتاد على ذلك في السويد، قال: إن الأمر لا يحتاج إلى ذلك هنا رغم شدة البرد، لأن سياراتهم مجهزة لمثل هذه الظروف الباردة وما هو أشد منها.

قال وشيء آخر، وهو أن (تحمية) السيارة بمعنى أن تترك محركها يعمل فترة قبل الانطلاق من أجل أن لا يؤثر فيه البرد ممنوع قانوناً، لأن ذلك يؤدي إلى تلوث الهواء.

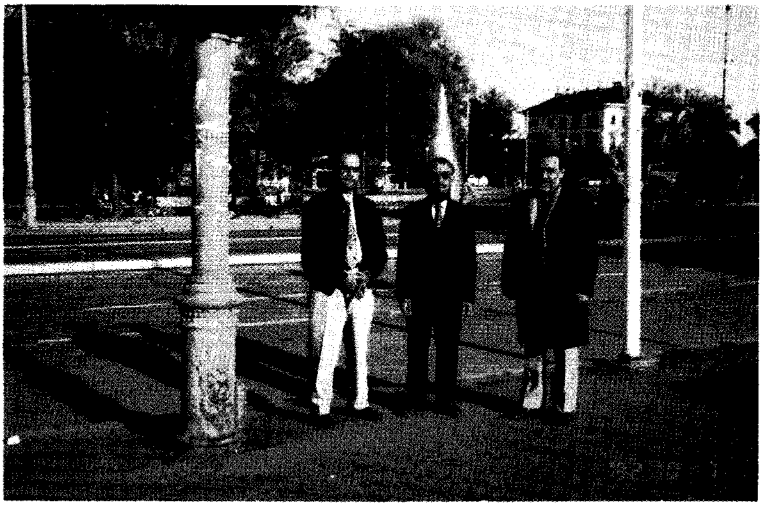
قال: ولقد مرت بي تجربة قبل ذلك عند أول وصولي إلى السويد، فتركت المحرك قليلاً، فجاءني جيراني وذكروني بأن هذا مخالف للقانون لأنه يلوث الهواء.

كان الجو شامساً، لذلك التقطنا صوراً تذكارية في شارع الفندق الذي هو الطريق العام.

وتبعد (إسكارا) عن (برون برونا) ٢٤ كيلومتراً فقط.

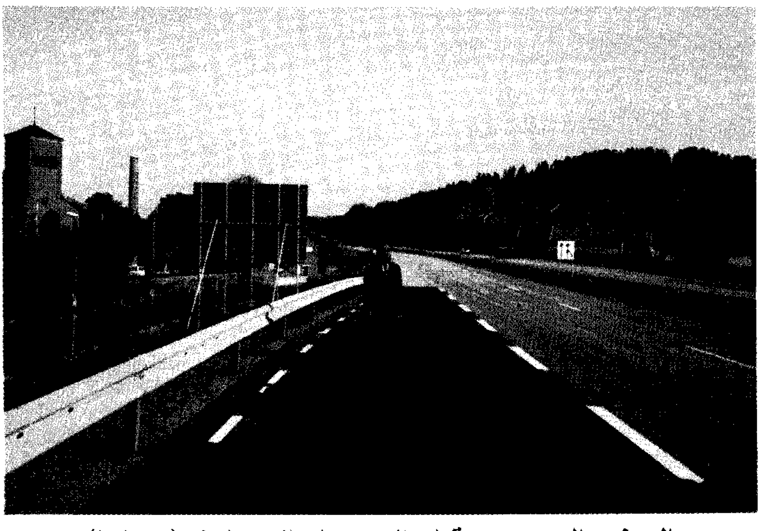
انطلقنا مع طريق جيد كالعادة يشق ريفاً أخضر ما عدا بقعاً منه

محروثة ومتروكة لإخصابها للزرع المقبل.



صورة تذكارية مع الأخوين محمد حافظ ومحمد بصفر في شارع الفندق في (برن برونا)

والسيارات كثيرة في الطريق رغم كون الوقت مبكراً بالنسبة لمن يعملون في غير المكاتب.



الريف السويدي قبل الوصول إلى بلدة (سكارا)

وقد اجتمع مع جمال الطريق جمال آخر في أشياء كثيرة، وبخاصة

الأشياء المتحركة، فاجتمع فيه المثل: الماء والخضرة والوجه الحسن.

وتكررت رؤية البيوت الريفية الخشبية التي يغلب اللون الأحمر على طلائها، مع أنها بيوت متفرقة، بل بعضها منعزل وليس على الطريق العام، فإن الخدمات العامة من هاتف وكهرباء وما أشبه ذلك واصلة إليها، وموجودة فيها.

مدارس الفروسية:

رأينا قطيعاً من الخيل يرعى في هذا الريف الأخضر، وقبله رأيت عدداً من الأفراس، وعجبت من وجودها في هذه البلاد المتقدمة في الاتصالات وفي الآلات، فأخبروني أن الشعب السويدي له هوى بل غرام خاص بالخيول، لذلك توجد مدارس تعلم الفروسية، وتنشئ الشباب، بل الأطفال على ركوب الخيل، وتعلم فنون الفروسية، وهذه المدارس منتشرة في كل المدن، ومنها عدة في العاصمة (أستوكهولم).

وقد ذكروا الأخ محمد باصفر بأن في المنطقة التي يسكن في أستوكهولم ثلاثة إسطبلات للخيول.

هذه إسكارا:

وصلنا بلدة (إسكارا) وهي ريفية خضرة، وليس فيها جمعية إسلامية ولا مركز إسلامي.

كان أبرز ما رأيناه فيها مصنعين ينفثان الدخان، فيظل عالقاً في الجو فترة بسبب الرطوبة والبرودة.

ولم يستطع الأخ محمد بصفر شراء الوقود للسيارة من محطة فيها،

وذلك كونها لا عمال فيها، وإنما يضع المشترى بطاقة في مكان معين منها، ويضغط على رقم سري يفتح له الأنبوب الذي يضعه في السيارة، ثم يسجل جهاز في المحطة ذلك كله بطريقة آلية، ويحاسب الساحب عليه فيما بعد، ولم نجد بجانبها محطة تبيع بالنقد.

وقد شاعت مثل هذه المحطات الآلية لبيع الوقود توفيراً لأجور العمال.

ولم نقف في بلدة (إسكارا) التي هي صغيرة ولا هدف لنا من الوقوف فيها، وإنما واصلنا سيرنا قاصدين مدينة (قوتن برق) هذا هو اسمها الإنكليزي الشائع في العالم، واسمها عند السويديين (أوتي بوري)، وهي ثانية المدن في السويد بعد العاصمة (أستوكهولم) من حيث عدد السكان كما تقدم.

وتشير لوحات الطريق إلى أنها تبعد عن (إسكارا) هذه ١٢٠ كيلو متراً.

وعاد الريف الخصب ونحن عدنا إليه، وكان من أهم ما يسترعي انتباه المرء فيه أكياس بيض من اللدائن ملقاة فيه، ذكروا أنها مليئة بالأعشاب والأعلاف التي يحشّونها أي يقطعونها من الأرض في الصيف علفاً للحيوان في الشتاء عندما تجلل الثلوج الأرض، ولا يجد الحيوان ما يأكله فيها، وحتى لو وجد العشب من باب الافتراض فإنه لن يستطيع الرعي في الخلاء تحت درجة الحرارة التي قد تتدنى إلى ٢٠ أو نحوها تحت الصفر.

ومن طريف ما مررنا به لافتة معتادة مؤقتة وليست ثابتة، تعلن عن وجود بطاطس هنا للبيع، والبطاطس غذاء شائع رخيص في مثل هذه البلاد الباردة يخزنونه للشتاء البارد أيضاً.

بلاد غير مزدحمة:

وكدت أقول وأنا أنظر إلى هذا الريف: إنها بلاد غير مسكونة، غير أنني لا أكاد أعدم بعض البيوت الريفية المنعزلة، فضلاً عن التجمعات السكنية الصغيرة في الريف.

وذلك أن البلاد واسعة تبلغ مساحتها قرابة ٤٥٠ ألف كيلو متر مربع، ولا يزيد عدد سكانها عن ثمانية ملايين إلا بعدد قليل، مع أن أرضها خصبة ذات حقول واسعة، تنتج مقادير كبيرة من الغذاء الذي أهمه القمح، حتى يزيد عن حاجتهم فيصدرون بعضه، وإن كانت أرضهم تظل فترة الشتاء لا ينتفع بها، فإنها تعوض ذلك لهم بإنتاج الصيف وما يسبقه أو يلحقه من أيام معتدلة للزرع من فصلي الربيع والخريف.

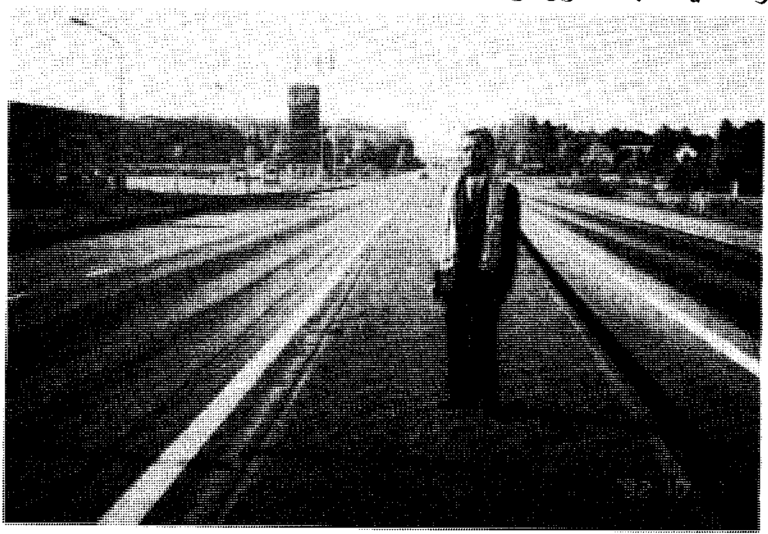
ولذلك تراهم يستقبلون بعض اللاجئين المهاجرين، إلا أن الذي يحد من ذلك هو ما يصرفونه على أولئك اللاجئين من مصروفات كثيرة صاروا يحسبون لها حساباً الآن بعد أن أصيبوا بأزمة اقتصادية أجبرتهم على إعادة النظر في المصروفات، والنظر في تخفيض النفقات.

ومما يجدر ذكره هنا أن البلاد كان يحكمها الحزب الاشتراكي منذ ٤٠ سنة إلى ما قبل سنة واحدة، حيث انتخب الحزب المحافظ الذي حاول أن يعالج اقتصاد البلاد بالحد من النفقات التي كان الحزب الاشتراكي قد التزم بها، ومن ذلك بعض ما يتعلق بالضمان الاجتماعي، مما جعل بعض الناس الذين يمسهم هذا الأمر بصفة مباشرة يغضبون على سياسة هذا الحزب المحافظ.

كما يقول الناس في ذم سياسة هذا الحزب المحافظ إن البطالة قد ارتفعت في عهده إلى أكثر قليلاً من ٦ ٪ وأن العملة وهي الكرونه

السويدية قد انخفضت قيمتها.

هذا وما زلنا نمعن في السير في هذا الريف الجميل الذي لم يفارقنا فيه، بل لم تفارقنا منذ أن تركنا العاصمة رؤية الأشجار الملتفة من أشجار الغابات والأشجار المتفرقة، سواء ما كان غابات كثيفة، وما كان أشجاراً محيطة بالحقول أو تتخللها.



المؤلف في الطريق إلى قوتن بيرق

وسيارتنا سويدية من صنع (فولفو) القوي الجيد التي يتمدح السويديون هنا بأنها أكثر أنواع السيارات أماناً على الطرق السريعة، وسرعتنا في السير ما بين ١١٠ و١٢٠، ومع ذلك نجد بعض السائقين يسيرون بسرعة أكثر.

ومررنا أيضاً بمصنعين لم نعرف لأي شيء هما، وبمنازل ريفية متفرقة نائية لا شك أن أربابها يهجرونها في الشتاء إلا لأوقات محدودة، بسبب قسوة البرد واستحكام الثلج.

بلدة لنغ سوس:

مر الطريق ببلدة مهمة اسمها (لنغ سوس) فيها محطة للوقود تبيع بالنقد، وقفنا بها واشترينا منها وقوداً للسيارة، وهي على الطريق مع أن فيها محطة أخرى للبيع الآلي من دون عمال، ولم نقف في مكان آخر غيرها، وإنما استرعى انتباهنا معرض كبير لبيع السيارات قد عرض سياراته في فضاء مكشوف.

وتبين أنها بلدة صغيرة، لكن الطرق فيها والعناية التامة بمرافقها تشعرك إذا كنت غريباً عنها كأنما هي كبيرة، لأنك لا تجد فرقاً في العناية بها بينها وبين المدن الكبيرة، وهذه سمة من سمات البلدان المتقدمة في الإدارة، ومنها هذه البلاد السويدية.

وأكثر المنازل فيها منفردة أي غير متلاصقة، وهي ذات سقوف مسنمة.

وبعدها رأينا بحيرة غير واسعة يسار الطريق، ولم نرَ أنهاراً في هذه المنطقة، وإنما أكثر ما رأيناه فيها هي البحيرات.

بحيرة توليرو:

وهذه بحيرة كبيرة واسعة ترصع ضفافها التي على الطريق زهور برية بيض وصفر جميلة، وتجلل أرضها أعشاب خضر ريانة.

وقد وقفنا عندها في جو شامس جميل قد بدد قسوة البرد في الصباح، وجعل خضرة أشجار الغابات التي شابت بعضها صفرة الخريف واضحة ترى إلى مسافات بعيدة.

وتبدو العناية مع الجمال في كل شيء يراه المرء في المنطقة، حتى

الطريق لا ترى فيه نقراً أو شقاً، أو ما قد يحتاج إلى إصلاح، وكأنما فرغوا منه أمس.

والتقطت صوراً عديدة في هذا الجو الجميل.

الغابة فوق النفق:

قبل الوصول إلى (قوتن بيرق) رأينا نفقاً قد شق في جبل غير عالٍ، وفوق الجبل غابة كثيرة من الأشجار، فكأنما الأشجار غرست فوق النفق، ولم نستطع إلا أن نقف عنده، ونلتقط له صورة، لأن هذا العمل المتقن مثير للإعجاب ولو كان في صحراء خالية، فكيف به وقد ركبته غابة خضراء؟ وهو في منطقة تسمى (كيرم).



عند النفق الذي فوقه الغابة

وبعد أن فارقناه قاصدين (قوتن بيرق) انخفض الطريق قليلاً، وكان مستوياً في كل حالاته، فأشرفنا قبل انخفاضه على منظر جميل بل رائع، وهو منظر أرض منخفضة كالوادي المتسع ولا وادي فيها، وإنما هي الخضرة الشاملة، مع أن الأماكن المرتفعة هي خضراء أيضاً كالأماكن

المنخفضة.

ورأينا قرية صغيرة قرب الطريق عجبنا من كون كل ما فيها يبدو في جماله والعناية به كالذي في المدن، فمثلاً لا يجد المرء في بيوت هذه القرية بيتاً واحداً باهت الطلاء، فضلاً عن أن يكون سيئ المظهر، ولا أدري أتعهد البيوت بالطلاء الجميل هو بأمر من الحكومة أم مبادرة من أهل تلك المنازل، وإن كنت أعتقد أنه من الأمرين كليهما.

هذه قوتن بيرق:

وصلنا قبل الوصول إليها إلى منطقة فيها مصانع ضخمة متعددة، وجسور كثيرة على الطرق للسيارات المعترضة.

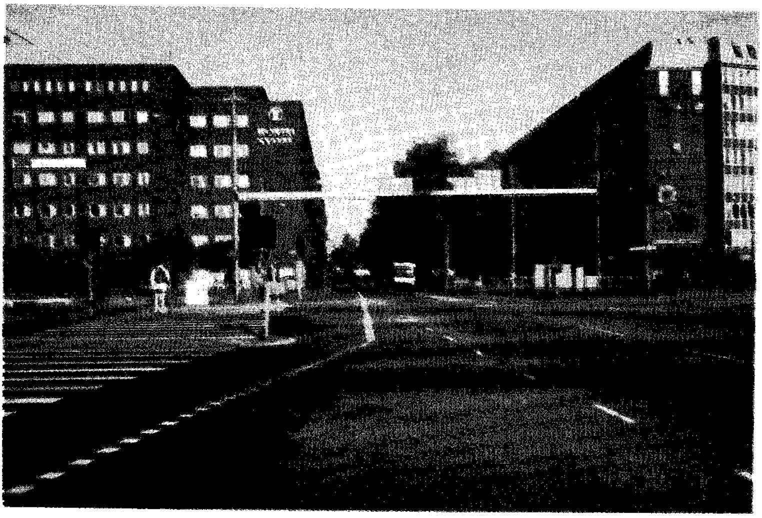
ولم أرهم يأخذون ضريبة لاستعمال الطرق الجديدة أو الجسور الكبيرة كالموجودة بكثرة في الولايات المتحدة التي يجعلون عليها بوابات لجباية تلك الضريبة، وقد لاحظت ذلك منذ أن خرجنا من أستوكهولم، بل منذ أن وصلنا إليها في أول الأمر.

ورأينا قطاراً طويلاً يغادر مدينة (قوتن بيرق)، ووجود مثل هذا القطار مهم للمدن الصناعية، مع أننا كنا رأينا مئات من الشاحنات الكبيرة متجهة إليها أو صادرة منها.

ورأيت على بعد قلعة قديمة البناء على تله مرتفعة قرب المدينة لم نقف عندها، ولكنهم حافظوا عليها جرياً على عادتهم وأمثالهم في المحافظة على الآثار القديمة، مع أن قديمهم يعتبر حديثاً بالنسبة إلى الآثار الموجودة في بلادنا العربية.

ثم دخلنا المدينة فكان أكثر ما فيها ظهوراً الحدائق المتعددة

والساحات الخضر الواسعة، لكن الذي شوه جمالها عندنا كثرة أوراق الأشجار التي أسقطها الخريف، ولم يستطيعوا ملاحقته لجمعها وإبعادها، وربما كان هذا عندهم أمراً معتاداً لأنه يتكرر كل عام.



شارع في قوتن بيرق

على أن حدائقها ليست - على وجه العموم - في نظافة حدائق العاصمة، وإن لم تكن ناقصة التنظيف.

وسط المدينة:

قطعنا جانباً من وسط المدينة، فوصلنا إلى الميناء الذي هو مهم جداً للسويد، بل هو ميناء عالمي بالنظر إلى الأهمية الاقتصادية والصناعية لهذه البلاد، ورأينا فيه سفناً كثيرة، بل هو غاص بالسفن كما هو المتوقع، وتحف بالميناء من جهة البر أبنية عالية أهمها بناء مميز ليس فيه نوافذ هو صوامع الغلال لخزن القمح والحبوب.

الجمعية الإسلامية:

وقفنا عند المسجد الرئيسي في المدينة، ويقع في مركز إسلامي تديره جمعية إسلامية، وجدنا اسمها مكتوباً على بابها: إسلاميكا فورسا منجن، أي الجمعية الإسلامية باللغة السويدية، وليس عليها شيء من لافتة أو نحوها بالعربية من الخارج.

وفي داخل المبنى نشرة عربية فيها ما يلي:

نشاط لجنة الدعوة:

دروس ومواعظ.
قيام ليل.
زيارة المرضى.
زيارة المقبرة الإسلامية.
زيارة المسلمين في بيوتهم.
ندوة دورية في الثقافة الإسلامية.
دروس في القرآن الكريم واللغة العربية.

ومنشور آخر في العربية يقول: إلى الإخوة العاطلين عن العمل، الرجاء تسجيل أسمائكم لدى الجمعية، وذلك يعود بالفائدة لدى الجمعية وعليك.

وأخرى تقول: بشرى سارة، مرحباً بكم في مطعم الجالية الإسلامية الإرتيرية... إلخ.

وهناك منشورات عديدة باللغة العربية، مما يدل على أهمية هذه الجمعية، وكثرة الذين يرتادونها من المسلمين، وهذا أمر تأكدنا منه بعد ذلك.

واسمها: الجمعية الإسلامية في (يوتي بوري) و(يوتي بوري) هو اسم مدينة (قوتن بيرق) عند السويديين كما تقدم، ومعناه الحرفي: سكان القناة، لأن (يوتي) عندهم: قناة، وبوري: سكان.

وهذه الجمعية هي الرئيسية في هذه المدينة، وهناك جمعيات إسلامية أخرى عديدة، منها:

المركز الإسلامي، وهو خاص للمسلمين الأتراك، بمعنى أنهم يرتادونه يصلون فيه، ويسمعون فيه الدروس بالتركية، وطبيعي أنه يصلي فيه معهم غيرهم.

والجمعية الإسلامية الصومالية، عمادها الإخوة الصوماليون اللاجئون الذين قبلوا في هذه البلاد.

والجمعية الإسلامية الإرتيرية.

والجمعية النسائية الإسلامية.



في مكتب رئيس الجمعية الإسلامية واسمه إلياس إبراهيم في مدينة قوتن بيرق الساحلية، ويبدو في يمين الصورة إمام المسجد محمد علي سليمان وهو من إرتيريا

أما رئيس هذه الجمعية الرئيسية التي نزورها الآن فإنه الأخ أحمد مفتي، وهو من المنطقة الكردية في شمال العراق، ولم نجده في مكتب الجمعية الموجود في المبنى، وإنما وجدنا أخاً آخر وهو من المنطقة الكردية في شمال العراق أيضاً.

وجرى حديث مطول في مكتب الجمعية مع عدد من المسؤولين في الجمعية هذه، وعن المسلمين في هذه المدينة بوجه عام.

المسلمون في مدينة قوتن بيرق:

وقد آثرنا أن نذكرها باسمها العالمي هذا، وليس بالاسم السويدي المحلي (يوتي بوري)، لأنه هو المعروف عالمياً.

يقدر عدد المسلمين في هذه المدينة بخمسة آلاف مسلم ينتمون إلى عدد من البلدان المسلمة، لكن أكثريتهم النسبية هي من إرتيريا والصومال.

وينضوي المسلمون هنا تحت عدة جمعيات إسلامية، أكثرها ذو تسمية قطرية، مثل جمعية الأتراك، والصوماليين، والإريتريين، وذلك إشارة منهم إلى أن تلك الجمعيات تلقي الوعظ والإرشاد باللغة الخاصة بأولئك القوم، أما العرب فإنهم ليست لهم جمعية عربية بهذا الاسم، وإنما لاحظنا أن الجمعيات التي يقومون عليها في هذه المدينة، بل في كل أنحاء السويد تسمى جمعيات إسلامية فقط من دون وصفها ببلد من البلاد، وذلك لكونها مفتوحة للجميع، ولأن الأصل في اللغة التي يتعلمها المسلمون أن تكون اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.

ولكن لاحظنا أيضاً أن في المدينة جمعية نسوية إسلامية باسم

(الجمعية النسائية).

صلاة الظهر:

حان موعد صلاة الظهر فصلينا مع الإخوة في مسجد الجمعية الذي هو قاعة واسعة في مقر الجمعية، وأمَّ الجميع الشيخ محمد علي سليمان، وهو من إريتريا ومتخرج من الأزهر، فصلى خلفه خمسة صفوف، وهذا مقدار كبير من المصلين لم نر له مثيلاً فيما صلينا فيه من المساجد التي زرناها.

ويقع في الطابق الأولى من المبنى، وأخبرونا أن عدد الذين يحضرون صلاة الجمعة يتراوح ما بين ٤٠٠، ٥٠٠ مصلٍ، وأن المسجد يضيق بهم.

وهم ينتمون إلى قوميات مختلفة، يجمع بينها الدين الإسلامي الحنيف.

وبعد انتهاء الصلاة نهض إمام المسجد الشيخ (محمد علي سليمان) وألقى كلمة في المصلين ذكر فيها قدومنا إلى هذه المدينة، وطلب مني أن ألقي كلمة بالمصلين، فألقيت فيهم كلمة عرفتهم فيها برابطة العالم الإسلامي التي ننتمي إليها، وبينت لهم مهمة هذا الوفد في هذه البلاد السويدية، وأوصيتهم بتقوى الله تعالى ومراقبته، وبالبعد عن موطن الاختلاف والشقاق، لأن المسلمين أقلية عددية في هذه البلاد، والأقلية ضعيفة في العادة، فإذا انقسموا إلى فرق وطوائف زاد ضعفهم، وبالتالي ضعف تأثيرهم على غير المسلمين من أهلها.

كما أوصيتهم بأن يلتزموا بالأخلاق الإسلامية في المعاملة التي تأمر بالأمانة والصدق والبعد عن الغش وإيذاء الآخرين.

وأوصيتهم بالكلمة الطيبة التي قال فيها الرسول ﷺ: (الكلمة الطيبة صدقة)، وأنه ينبغي أن يشمل ذلك المسلمين وغيرهم، فغير المسلمين يجب أن تكون الدعوة إلى الله الموجهة إليهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبينت لهم فضل العمل في عمارة المساجد، وفضل الصلاة جماعة ومشروعيتها من ضمن الاجتماعات المشروعة في صلوات الجمعة والعيدين ومواسم الحج.

وقد وعدناهم ببذل الجهد في مساعدتهم أسوة بالجمعيات الإسلامية الأخرى في العالم.

أرض المركز الإسلامي:

انقضت الصلاة وعدنا إلى مكتب إدارة الجمعية لاستكمال البحث في موضوع التعاون ما بين هذه الجمعية بصفتها أكبر الجمعيات الإسلامية في مدينة قوتن بيرق التي هي المدينة الثانية في السويد بعد العاصمة (أستوكهولم) من حيث عدد السكان.

وقد حدثونا بأن مقر المركز الذي هم فيه مستأجر، وأنهم يدفعون أجرته، وتبلغ أجرته ١٢٤ ألف كرونة، مما يحصلون عليه من معونة من الحكومة السويدية أسوة بغيرهم من الجمعيات الدينية، ومما يتجمع عندهم من التبرعات.

وأن هذا المركز قد ضاق بهم إضافة إلى أنهم مهددون بالإخراج منه، أو بالزيادة عليهم في أجرته، لذلك فكروا في مشروع إسلامي كبير يتضمن شراء أرض واسعة يقيمون عليها مركزاً إسلامياً يضم مسجداً ومدرسة ومكتبة وقاعة محاضرات ومرافق أخرى، وأنهم قد عينوا الأرض

التي سيقيمون عليها المركز ويفاوضون البلدية على شرائها، لأنها أرض حكومية.

وقد حضر هذه الجلسة الأخ ياسر حمود من لبنان وهو عضو الجمعية، والأخ إلياس إبراهيم من المنطقة الكردية في شمال العراق، وهو المدير الإداري للمركز الإسلامي.

وذكروا أن المركز له مجلس إداري مؤلف من خمسة أشخاص، وأنه يمارس أنشطة إسلامية مكثفة، منها دروس يومية باللغة العربية، ومنها دروس في السيرة النبوية، وتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية.

مشكلة اثني عشر ولداً:

ألح علينا أخ صومالي رأيناه في هذا المركز قائلاً بأن لديه مشكلة يريدنا أن نستمع إليه وحده، ولم يكن يريد من ذلك أن يكون الأمر سراً، وإنما أراد أن يتيقن من حسن استماعنا لمشكلته وفهمها.

قال بتأثر وانفعال ظاهر: أنا عندي مشكلة عويصة، وهو أن لي ثلاث بنات في سن التعليم، يريد هؤلاء - يعني السويديين - أن يأخذوهن مني يعلموهن مع بناتهم، وإذا فعلوا ذلك فإنهن سيكن مثل السويديات لا دين ولا حشمة ولا صلاح لديهن، قال: وقد كتبت رسائل عديدة إلى جميع الجامعات الإسلامية في البلدان العربية ليقبلوا أن يلتحقن بها فلم أتسلم جواباً من أحد.

قال: أنا أريد أن أعلمهن تعليماً إسلامياً في بلد إسلامي، لأن التعليم هنا فاسد من ناحية الدين والطهارة، والسويديون لا يتركون البنات من

دون تعليم، وخاصة إذا طلبن التعلم، لا يتركونهن إلا إذا حصلن على منحة دراسية من أي بلد خارجي، ثم قال بتأثر وانفعال وهو يحكي قصة وصوله إلى هذه البلاد: أنا جئت إلى هذه البلاد، وقبلت فيها لاجئاً، وأنا الآن بخير دنيوي، فلدي (فلتين) أي منزلين وسيارة، وعايش معيشة طيبة، لا أشكو من أي شيء، ولكن المصيبة في الأولاد، أنا لدي اثنا عشر ولداً ؟ لا أعرف كيف أربيهم في هذه البلاد، والمشكلة الكبرى في البنات، الذكور أهون من البنات .

فسألته عن عدد زوجاته فأجاب: واحدة فقط، كل الاثني عشر ولداً من زوجة واحدة.

لكن بناتي ما أعرف كيف أحل مشكلتهن، ولا أرضى أنهن يصرن فاسدات مثل بنات السويديين!

فقلت له : إنني سوف أنظر في موضوع طلبه لدى إحدى الجامعات الإسلامية، ولكن عليك الآن أن تتقي الله ما استطعت، وأن تعلمهن ما أمكن أن تعلمهن من أمور دينهن، وتربيهن تربية إسلامية بقدر إمكانك وطاقتك، وبقدر ما يتوفر لك ذلك في هذه البلاد، إلى أن يحدث الله من أمره ما يشاء، ولعل الله يجعل لك فرجاً ومخرجاً مما أنت فيه.

مشكلة عويصة:

ومشكلة الأولاد في هذه البلاد وأمثالها مشكلة عويصة، لأن حلها يتطلب وجود تعليم إسلامي معترف به، لأن الحكومة هنا لا تدع أحداً من دون تعليم.

والمشكلة الكبرى أن الطفل إذا اشتكى للحكومة بأنه لا يستطيع

أن يعيش مع والديه أو أحدهما لكونه يقسو عليه، فإن الحكومة بعد أن تتحقق من عدم وجود ما يطمئن إليه في المنزل تأخذه من أهله، وتجعله يعيش ويتعلم بعيداً عن والده أو والديه.

وفي حالة بنات هذا الأخ الصومالي الكريم إذا طلبن من الحكومة أن تقبلهن في التعليم، لأنه حق قد كفلته الدولة للجميع، فإن والدهن لا يستطيع الاعتراض على ذلك، وتعليمهم كما قال هو تربية على ما يربون عليه أولادهم، وتعليم لما يريدون أن يكون عليه المواطن، وهم يريدون أولاد المسلمين أن يكونوا على ما يكون عليه أولادهم.

ولا بد لحل هذه المشكلة من وجود مؤسسات تعليمية صالحة للتربية الإسلامية، ولتأهيل الطلاب للحياة في هذه البلاد، أو من وجود خطة ضخمة لإقامة مؤسسات تعليمية مخصصة لتعليم أبناء المسلمين المحتاجين للتعليم أكثر من غيرهم في بلاد الأقليات المسلمة.

وذلك على غرار الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة التي أنشئت لتعليم أبناء المسلمين من خارج البلاد السعودية، وكنت من المؤسسين لها إذْ كنت أول موظف فيها من حيث تاريخ التوظيف، واتخذت الخطوات التمهيدية لذلك، ثم لبثت في العمل فيها أربع عشرة سنة، حتى رأيت ثمرة التعليم فيها شباناً تخرجوا من المدينة المنورة مثقفين ثقافة إسلامية نقية، عادوا إلى بلادهم فحملوا مشعل التعليم والدعوة، وقد شهدت آثار عملهم في بلادهم، فعرفت أنه لا يقدر بثمن.

إلا أن الجامعة الإسلامية ليس فيها تعليم للإناث، وحبذا لو أنشئت كليات أو جامعات على غرارها خاصة بالبنات، سواء في المدينة المنورة أو غيرها من البلدان الإسلامية.

جولة في مدينة قوتن بيرق:

وهذه الجولة هي في قلبها التجاري ووسطها المزدحم بالمتسوقين والمشاة.

وقد دخلنا أحد المطاعم فيها وأكلنا قليلاً من الطعام الحلال الذي لم يدخله اللحم، لأننا اشتهينا السمك، وإن كنا لا نقول بعدم جواز أكل لحم الذبائح في هذه البلاد المسيحية إلا إذا عرفنا أن طريقتهم في الذبح هي الخنق أو نحوه، أو أنهم لا يذبحون أصلاً، وإنما يميتون الذبيحة بالصعق الكهربائي أو نحوه، وهذا ما لم نعرفه عن أهل هذه البلاد، وليس المسلم مطالباً بالتفتيش عن ذلك، لأن الآية الكريمة وردة مطلقة بإباحة وحل طعام أهل الكتاب.

أما إذا أراد المسلم من باب التحرز لدينه أو من باب اطمئنان نفسه بألا يأكل إلا من لحم ذبحه مسلم فله ذلك، لأن إباحة الشيء لا تقتضي إلزامه بتناوله كما هو معروف، ولكن لا يجوز له في مثل هذه الحالة أن يحرم ذلك الطعام الكتابي على غيره إلا بدليل مما ذكرناه.



المؤلف في قلب مدينة قوتن بيرق

وظهر لنا من الجولة في المدينة أنها أوروبية شمالية خالصة، أهلها في غاية البياض في اللون والشقرة في الشعر، إلا أن طائفة منهم هم ذوو أجسام غليظة، بمعنى أن أجسامهم كبيرة حتى وإن لم تكن سمينة.

والجمال هو الغالب عليهم، ولكن فيهم قلة لا يرى المرء منا جمالاً في الطلعة التي تطالعه من رؤيتهم رغم بياضهم أو شقرتهم، فالجمال ليس بالبياض وحده، وإن كان البياض من الجمال كما قالت العامة عندنا: «البياض سلطان الزين» والزين هنا هو زين الخلقة، الذي هو الجمال، ومع انه لا غرابة في أن يكون أهل هذه المدينة بهذه المثابة من البياض والشقرة لوقوع مدينتهم هذا الموقع الشمال، فإنني لاحظت كثرة الملونين فيها، إذْ لا يكاد يخطئهم النظر، وأكثرهم من السود، وأقلهم من السمر ذوي المظهر العربي، فالعرب أو ذوو المظهر العربي موجودون ولكن على قلة، ويشاركهم الأتراك في المظهر، وإنما أكثر الملونين هنا من السود الذين قدم أكثرهم لاجئين إلى هذه البلاد فقبلتهم فآوتهم بل كفلتهم وضمنت لهم المعيشة اللائقة بهم، كما فعلت مع مواطنيها الأصلاء أو قريباً من ذلك.

وأكثر هؤلاء السود اللاجئين هم من المسلمين، ولذلك يجب تركيز العناية بهم حتى يحافظوا على إسلامهم وثقافتهم، بل وجودهم المميز، وحياتهم الإسلامية الصحيحة من أجل أن يؤلفوا مجتمعاً إسلامياً في هذه البلاد قد ينفع الله به أهل البلاد أنفسهم، فيدخلوا في الإسلام كما هو حاصل الآن على نطاق ضيق.

إلى مدينة مالمو:

تبعد مدينة مالمو عن مدينة (قوتن بيرق) (٢٨٥) كيلومتراً.

توجهنا إليها من المركز الإسلامي، ولسنا على ثقة من سلوك الطريق الذي يخرج إليها قصداً، لأن الطرق كثيرة ومتشبعة، ولكننا حصلنا من أهل المركز الإسلامي على رقم ذلك الطريق القاصد، ومن ثم أخذنا نبحث عنه في اللافتات.

ومررنا على جهة اليمين بجسر عظيم مقام على خور ضيق من البحر، وهو جسر كبير ذكرني بجسر سان فرانسيسكو المشهور، وبجسر آخر غير مشهور، ولكن منظره لا يزال في ذهني رغم السنين، ويقع في بلد أبعد عن بلادنا من سان فرانسيسكو، وهو جسر مقام على نهر عظيم تقع عليه مدينة (بورتو اليقري) آخر ولايات البرازيل جهة الجنوب؛ حيث تختلط حدود البرازيل هناك بحدود (الأراغوي)، وقد ذكرت الحديث عنه في كتاب «**جنوب البرازيل**» من سلسلة الرحلات البرازيلية.

وبعد هنيهة من محاذاة هذا الجسر الطويل العظيم دخلنا في نفق طويل عظيم، لأنه منحوت داخل جبل أصم، قدرت طوله بألف وخمسمائة متر.

وفي ضاحية من المدينة رأينا لوحة الحرارة في أحد الميادين وهي تسجل ١٣ درجة مئوية في الظهر، وهذه درجة جيدة في مثل هذه البلاد في شهر أكتوبر هذا، ولم أشعر بالبرد إلا مثلما كنت أشعر به في القصيم خلال فصل الشتاء البارد هناك.

لكن الإخوة أهل السويد قالوا لنا: من حسن الحظ أن الشمس كانت مشرقة عند قدومكم، وظلت كذلك أكثر الوقت منذ وصولكم.

إضافة إلى أننا ذهبنا جنوباً في منطقة ساحلية، وكل ذلك مما يلطف قسوة البرد بالنسبة إلى الشمال المرتفع عن البحر بطبيعة الحال.

ثم غادرنا ضواحي (قوتن بيرق) متجهين مع طريق (مالو) جهة الجنوب.

ومررنا ببحيرة ممتدة على يمين الطريق وشماله، كما مر الطريق ببعض السهول غير الواسعة التي لا يعدم المرء أن يرى فيها هضاباً جبلية، وقد بدأت رؤية الجبال من الطريق منذ أن قاربنا الوصول إلى مدينة (قوتن بيرق) التي فيها هضبة جبلية عليها بيوت قديمة، بنيت من دون أن يسهلوا أرضها، إلا أن الغابات الملتفة هنا هي أقل ظهوراً مما هي عليه في المنطقة التي تقع إلى الشمال والشرق منها من المناطق التي رأيناها.

وأما الطريق هنا فإنه طريق سريع مؤلف من طريقين منفصلين أحدهما للذاهب وآخر للآيب، وهو واسع في غاية من النظافة والعناية، بحيث لا تكاد تقول: لولا أن فيه كذا، أو لو كان فيه كذا على حد قول أحد الشعراء في ابن المعتز بالله:

ما فيه (لَوٌّ) ولا (لَيتٌ) تنقّصُه وإنما أدركته حرفة الأدب

وإذا عرفنا أن العناية والتنظيم والملاحظة قد شملت حتى الغابات وأشجار الطريق، بل أشجار البرية التي حمتها من القطع لم نستغرب ذلك.

والقول مثل ذلك في الإنسان والحيوان، حتى حيوان الغاب وطيورها يتعهدون إطعامها إذا أستحكم البرد وغطت الثلوج مصادر غذائها.

وهذا أمر من العناية عجيب.

وبعد قليل ضاق الطريق فصار واحداً بعد أن كان خطين، وقد فصلوا ما بين السيارات الذاهبة والآيبة بخط أبيض ناصع البياض.

أما السيارات فإنها كثيرة كثرة ظاهرة، وعرفنا أنهم يصلحون الخط من الجهتين جهة (قوتن بيرق) وجهة (مالمو) ليكون مزدوجاً، وقد

أنجزوا جزئين منه في الجهتين.

سماد يكسّب:

من الأمثال العامية التي سجلتها في كتابي « **الأمثال العامية** » المطبوع في خمس مجلدات قول العامة « **سماد يكسِّب ولا زباد يخسِّر** » أي لئن يتجر الرجل بسماد يكسب منه، أفضل له من أن يتجر بزباد يخسر منه، والزباد: نوع من أنواع الطيب الجيد.

وجاءوا بالسماد في المثل في مقابلة الزباد الطيب الريح.

واليوم ذكرت المثل حينما مررنا بمنطقة واسعة لتربية الأبقار في ريف بعيد عن أي مدينة أو قرية، ومزارع تربية الأبقار هذه واقعة على يمين الطريق وشماله، والذي استرعى انتباهنا لوجودها هو رائحة أرواثها النفاذة التي لفتت شم أنوفنا قبل أن ترى عيوننا أي حيوان من الأبقار، فقد كانت لأرواث الأبقار وأبوالها رائحة قوية عمت هذا الطريق البري المفتوح الذي لا يغلقه إلا وجود بعض الأشجار العالية عليه.

ضفاف بحر الشمال:

بقي الآن على الوصول إلى (مالمو) ١٢٩ كيلومتراً، وقد حاذينا ساحل البحر (بحر الشمال) كما يسميه الأوروبيون، وهو لنا الآن (بحر الجنوب) لأننا قادمون إليه من جهة الشمال، بل إن البلاد السويدية هذه التي نحن فيها تسمى الجنوب الذي يراد به جنوب إسكندنافيا، ولذلك عنونت هذا الكتاب بعنوان « **إلى جنوب الشمال** ».

وأهم ما ميز ساحل البحر هنا رمل أحمر كأنه رمل القصيم، رغم

تشبعه بالرطوبة بكافة أنواعها من ماء المطر، إلى ندى البحر، إلى تراكم الثلوج في الشتاء.

وكان الرمل واضح الحمرة لكوننا وصلنا إلى المنطقة التي يعيدون فيها سفلتة الطريق من جهة (مالمو) ليصبح مزدوجاً.

وقد كان كذلك بالفعل إذ وصلنا منطقة قد اكتملت منه.

هذه مالمو:

في مشارف مدينة (مالمو) كثرت السيارات، بل امتلأت الطرق بها، وظهر لنا كما لو كنا وصلنا إلى بلاد في غرب أوروبا، وذكرنا أحد الإخوة بما كنا عرفنا من قبل من كون (مالمو) ومنطقتها كانت تحت حكم الدانيمرك، وإنما أخذتها السويد منها بالحرب.

فقد ازدادت الحقول خضرة في رأي العين، ورأينا مطاحن هوائية كالموجودة في هولندا.

ودخلنا (مالمو) قبيل غروب الشمس، فذهب أحدنا يلتمس غرفاً في فندق رأيناه في وسط المدينة، وقد وقفنا السيارة في موقف بجانب الرصيف لم نكد نقف فيه حتى أسرع إلينا أحد عابري الشارع يقول: لقد وقفتم في موقف الحافلة، وإذا نحن بالفعل بالقرب من موقفها، وقد كتبوا على موقفها - كعادتهم - بحروف بارزة أنه موقف للحافلات.

الشرطي الهادي:

ليس (الهادي) من الهدوء، وإلا لصار (الهادئ) بالهمزة على الياء، وإنما ذلك من الهداية، فقد كنا أخبرنا بعض الإخوة من أهل (مالمو) أننا

سنصل إليهم، ولكننا لم نحدد الوقت، لأننا لا ندري عما سيكون عليه وقتنا بالنسبة إلى البلاد التي سنزورها داخل السويد قبل الوصول إلى مالمو، فذكروا أنهم سوف يحجزون لنا ابتداء من هذه الليلة في فندق (سكاي لاين) من باب الاحتياط، فلم نوافق على ذلك اعتماداً على أننا سنستطيع أن نفعل ذلك بعد أن نصل، أو أن ننزل في أي فندق مناسب، حتى لو كان خارج المدينة إذا لم نجد غرفاً في فندق في داخلها، لأن سيارتنا معنا.

ولما لم نجد غرفاً خالية في قلب المدينة، ونحن لا نعرف موقع فندق (سكاي لاين) هذا، سألنا شرطياً رأيناه واقفاً بسيارته عن مكان هذا الفندق وكيفية الوصول إليه فلم يكن جوابه قولاً، وإنما كان فعلاً، إذْ أشار إلينا أن اتبعوني، وانطلق بسيارته أمامنا، فخرج من قلب المدينة إلى إحدى ضواحيها، ووقف عند ذلك الفندق ثم أشار بتحية الوداع.

وقارنت في نفسي بين معاملة هذا الشرطي الذي ذهب بسيارته لمسافة طويلة من منطقة في وسط المدينة المزدحم ليهدينا إلى موقع ذلك الفندق، ولم يكتفِ - مثلاً - بوصفه، أو وصف الطريق لنا، أو حتى بالإشارة إلى موقعه على الخريطة الموجودة لديه، وبين موقف شرطة ورجال إدارة في بلاد تعد من البلدان الإسلامية، فكانت المقارنة في صالح الشرطي السويدي في هذا الموضوع.

نزلنا في فندق (سكاي لاين) وهو من ذوات النجوم الأربع بأجرة رخيصة بالنسبة إلى أجور الفنادق في بلاد السويد، وهي ٥٧٥ كرونة ويساوي ذلك (١٠٥) دولارات أمريكية للشخص الواحد في الغرفة الواحدة.

يوم الخميس: ١٨ /١٠/١٤١٣هـ

صباح مالمو:

غرفتي في الطابق الثامن من الفندق. وعندما أزحت ستارة النافذة في هذا الصباح أسفرت عن منظر عجيب قشيب، فالنافذة تطل وهي في ضاحية المدينة على غابات من الأشجار، وبسط سندسية من الحشائش، وكأنك من ذلك في ريف خالٍ، لولا وجود صف من الأبنية المتعددة الطوابق (عمارات) تزيل وهمك أنك في الريف، فتعيدك إلى المدينة، أو على الأدق إلى ضواحٍ من ضواحي هذه المدينة.



منظر لضاحية في مالمو. التقطتها من نافذة الفندق

وهذه عادة متبعة عندهم أن يحافظوا على الأشجار والمساحات الخضر بكل ما أمكنهم، مع أن بلادهم خضراء ليست فيها بقعة غبراء فضلاً عن أن تكون فيها صحراء، فيشعر المرء مهما تنقل فيها أنه في بستان، لأنه يشاهد من الشجر ألواناً مع ألوان، وتطالعه الخضرة في كل مكان.

وبعد هذا المنظر السار، نزلنا إلى مكان الإفطار، وهو في طابق تحت الأرض في قاعة مطعم غاية في الطول والعرض، لكونهم هيأوها للوجبات الثلاث، من دون أن يغيروا شيئاً من الأثاث، وإنما يغيرون موائد الطعام، التي وجدناها منصوبة لا تحتاج إلى خدام، بل كل شيء معروض عليك، وموضوع بين يديك، وهي موائد حافلة بما لذ وطاب، من طعام وشراب، وما كان منها حراماً فإنك واجد عوضاً من الحلال ما لا تحتاج في حلّه إلى سؤال.

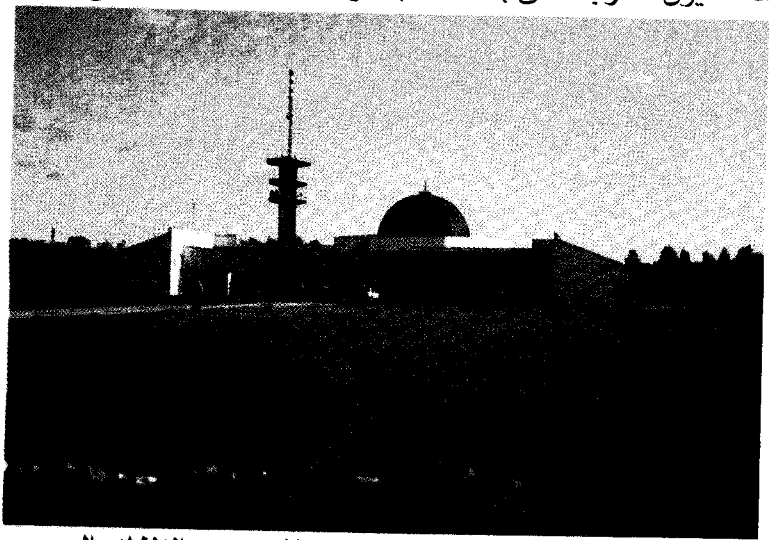
وقد امتلأت هذه القاعة على كبرها بالآكلين، فالفندق كبير، والقوم جمعهم كثير.

وقد ذكرتني هذه المائدة المفتوحة الحافلة بالفاكهة والحلوى، ما كنت قد نسيته من طعام الإفطار في فنادق البرازيل الذي يضم المن والسلوى.

المركز الإسلامي في مالمو:

توجهنا مبكرين إلى المركز الإسلامي في مالمو، وهو مركز كبير تبلغ أرضه ثلاثين ألف متر، كان المسلمون الأوائل الذين وصلوا إلى (مالمو) وهم من الألبانيين الذين يعيشون في جمهورية مقدونيا قد حصلوا على أرضه من الحكومة السويدية (بلدية مالمو) بالشراء بثمن رخيص، وقد دفعت المملكة العربية السعودية مبالغ لتأسيس المسجد، وتم البدء في ذلك منذ سنوات استدان أهل المركز للإنفاق على المسجد، حيث أرادوا له أن يكون مسجداً متكاملاً ذا مظهر إسلامي متميز في هذه البلاد المسيحية التي لم تشهد قبله ولا بعده حتى الآن مسجداً له مظهر المسجد المبني على طراز معماري إسلامي خالص، لذلك رهنوا المبنى عند شركة معمارية

قامت بالتنفيذ على أمل أن يهب لنجدتهم من يهب من الهيئات المسلمة لتسديد الديون المترتبة على بناء المسجد وإنقاذ المسجد من البيع.



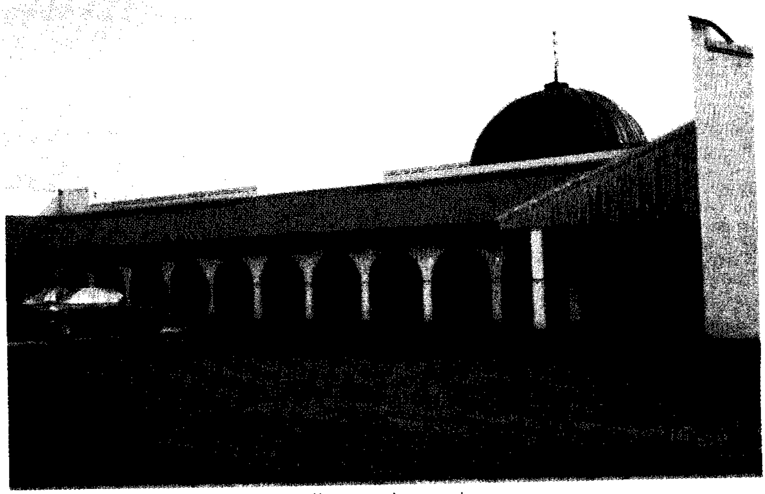
جامع مالمو كما يرى من الطريق وخلفه برج التلفاز السويدي

وهذا ما حصل بالفعل فقد استحق القسط المالي الأخير لشركة البناء، ولا يزال المسجد، بل المركز كله من أرض البناء رهناً للشركة حتى تستوفي ما تم الإنفاق عليه لبناء المسجد، وعجز القائمون على المركز عن السداد، لأنه يكلف مبالغ طائلة لا قبل لهم بها.

واستنجدوا بالدول الإسلامية، وبخاصة برابطة العالم الإسلامي التي أنجدتهم بما أرادوا، وكنت مسؤولاً آنذاك بالرابطة، فاتخذنا قراراً بدفع مبلغ من المال من الرابطة، وبطلب مبلغ آخر من المحسنين حصلنا عليه من شركة عبد العزيز ومحمد الجميح، وبقيت ستمائة ألف ريال، أي نحو مائة وثمانين ألف دولار أمريكي، كتبنا لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز، فأمر - جزاه الله خيراً - بإرسالها إليهم عن طريق السفارة السعودية، ولكننا اشترطنا على المسؤولين عن المركز لسداد هذا الدين الكبير أن يسجلوا المركز وقفاً للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، لأننا

رأينا أنه ليس من المناسب أن ندفع هذه المبالغ الكبيرة الأخيرة إضافة إلى ما دفعته المملكة والرابطة من تبرعات سابقة عند ابتداء العمل في المركز، وأن يترك التصرف في المركز للجمعية التي سجل باسمها التي قد تتساهل أو يتساهل من يرثونها في إدارة الجمعية والإشراف على المركز، فيفضي ذلك إلى بيع المركز، أو جزء من أرضه بأية حجة من الحجج.

وقد وافقوا على ذلك، وتم تسجيله بوساطة محام معروف للسفارة السعودية في (أستوكهولم) وقفاً للمجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ودفعت المبالغ المستحقة عليه للشركة بوساطة السفارة السعودية.



رواق جامع مالمو

ولكن المركز كان يحتاج إلى مصاريف لتشغيله وللحاجات المتكررة كالكهرباء والتدفئة والماء، إضافة إلى بناء منارة له، وإقامة سور عليه.

وقد وصلت إلى الرابطة شكاوى من بعض المسلمين تقول إن المركز تتحكم فيه هذه الجمعية القديمة، وأنها أغلقته. وقال آخرون: إنها منعت

الصلاة فيه.

لذلك رأينا أن نراه على الطبيعة، ونبحث جميع الحلول اللازمة للمشكلات التي قد نجد أنها موجودة فيه.

في إدارة المركز:

يقع المركز في ضاحية جميلة مهمة من مدينة مالمو على طريق رئيسي سريع (هاي وي)، وطريق آخر رئيسي، بحيث يبدو بارزاً للعيان لكل من يمر من الطريقين المذكورين بقبته العربية الطراز، وبمساحة أرضه الواسعة الخضراء التي تبلغ سعتها ثلاثين ألف متر مربع.

وهو بهذا المظهر يسر أعين المسلمين الناظرين.



أثناء الاجتماع مع أعضاء مجلس إدارة المركز الإسلامي في مالمو

عقدنا اجتماعا رسمياً مع أعضاء مجلس إدارة المركز، على رأسهم رئيسهم الأخ بيزيت بيكروف، وهو كما قدمت ألباني الأصل من جمهورية مقدونيا في يوغسلافيا، ولكنه حاصل على الجنسية السويدية، والأخ

الدكتور مدحت إبراهيم بيجو فيتش وهو أستاذ في الجامعة متخصص في هندسة الدفاع الجوي، وهو من البوسنة في يوغسلافيا، ويعمل مسؤولاً عن الشؤون المالية في المركز، والدكتور رؤوف الرصايصي، وهو تونسي يعمل في إدارة الهجرة مسؤولاً عن المسلمين المهاجرين للسويد وعضو في إدارة المركز، واعتذر العضو الرابع واسمه أحمد مفتى وهو سويدي من المسلمين الجدد، وبعث برسالة اعتذار لوجوده خارج السويد، كما حضر الاجتماع جمال الملاح وهو مصري موظف في المركز، أهم ما يقوم به الترجمة، كما حضره لبعض الوقت الشيخ إمام الجامع ويعرف العربية جيداً، وهو أيضاً من يوغسلافيا.

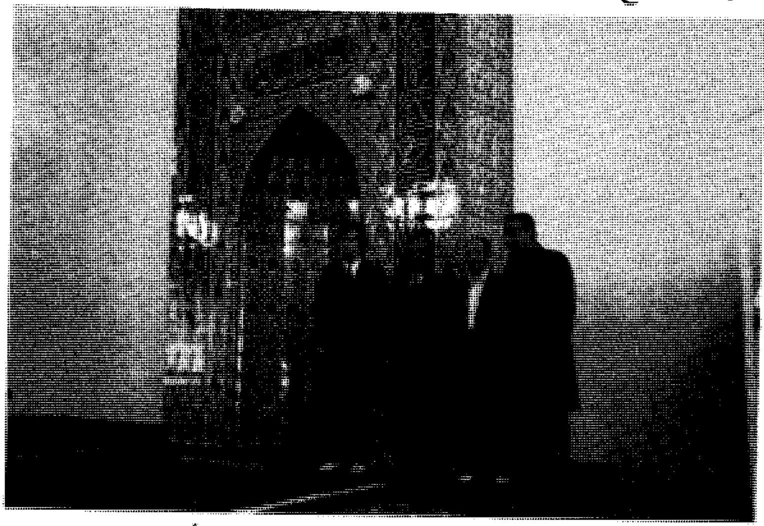
كما حضر معي من الجانب السعودي الأخ محمد محمود حافظ المدير العام للإعانات والمشاريع في الرابطة الذي يرافقني في هذه الرحلة الإسكندنافية، والأستاذ محمد بصفر أحد رجال السفارة السعودية، وهو مختص بالعلاقات مع الجمعيات والمراكز الإسلامية في السويد والنرويج، والأستاذ سعيد نورتال وهو غامبي الجنسية، متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومبتعث من الرابطة للدعوة إلى الله في السويد.

وقد انقضى أكثر الوقت في بحث عميق فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين المركز والرابطة، أو على الأدق في تجديد العلاقة بين الرابطة والمركز مع تحديدها تحديداً واضحاً.

جولة في المركز:

اقترحوا علينا أن نقضي نصف ساعة أو تزيد قليلاً في استراحة من المباحثات على مائدة شاي في مكان آخر من المركز، وأن نتجول بعد ذلك على أقسام المركز، ثم نعود إلى مواصلة البحث في الإدارة، وفي مكتب

رئيس المركز الأخ بيزيت بيكروف.



تذكارية في محراب جامع مالمو، من اليمين: الأستاذ بيزيت رئيس المركز، فالمؤلف، فإمام المسجد، افالأستاذ محمد حافظ

فتناولنا الشاي والحلوى والكعك اللين (الكيك)، وقمنا بجولة على مرافق المسجد وملحقاته، ومن أهمها مقر المدرسة الإسلامية في ثلاث غرف من المبنى جيدة، ثم المصلى الرئيسي، ومصلى النساء، وهو وحده يعادل في مساحته مسجداً من المساجد، وكل ذلك مفروش بفراش غالٍ ثمين من السجاد الفاخر. وأما المدرسة والمكاتب فإن أثاثها من الأثاث الخشبي الجيد. وجلنا في أرض المسجد الواسعة الثمينة، وأجمعنا أنه لا بد من تسويرها حتى لا يطمع فيها طامع، وقد ذكروا أن التسوير ضروري وإن كانوا ذكروا أنهم لا يخافون عليها من الاعتداء، لأن ملكيتها للمسجد موثقة.

مواصلة البحث:

عدنا بعد ذلك إلى البحث الذي اتصل حتى صلاة الظهر فأديناها في

الجامع خلف إمامه الشيخ يونس لطيف الذي خلع عليَّ جبته، ووضع على رأسي طاقية، ورغب إليَّ أن أؤمهم في الصلاة، فقبلت ارتداء اللباس، واعتذرت عن الإمامة جرياً على عادة لي قديمة بأن لا أستأثر بالإمامة دون الإمام الراتب الذي له الحق القديم والتكريم، ومن أجل أن أرى بنفسي كيف يؤم الناس في الصلاة، وكيف يتابعه المأمومون.



في مكتب الأستاذ بيزيت في المركز الإسلامي في مالمو

ثم اتفقنا على أن نستأنف العمل بعد الصلاة حتى الساعة الثالثة، وأن نؤجل باقي البحث إلى الصباح غداً، لأننا حريصون على أن نؤدي صلاة الجمعة في هذا الجامع المبارك، وقد أوشكنا على الانتهاء من بحث ما نريد بحثه.

جولة في مدينة مالمو:

أنهينا حصة البحث هذا اليوم في المركز الإسلامي، واتفقنا على أشياء كثيرة مما أردنا بحثه، وكتبنا مشروع محضر سوف يكتمل غداً ويوقع بإذن الله بعد بحث ما يستجد من أمور.

وانطلقنا بعد الساعة الثالثة من المركز الإسلامي إلى جولة في مدينة (مالمو) القديمة، وذلك قبل موعد الذهاب إلى بلدة (تريلي بيرق) التي تقع إلى الجنوب من (مالمو) لزيارة الجمعية الإسلامية فيها، وتناول طعام الغداء المتأخر هناك.

كان يصحبنا في هذه الجولة على مدينة (مالمو) الأخ (فهد جودت) وهو طالب سعودي أنهى دراسته في هذه المدينة منذ فترة، وصار يتعاون مع إحدى الشركات قبل أن يقرر العودة إلى المملكة التي ذكر أنها قريبة جداً.

وقبل البدء بالجولة لا بد من أن نذكر معنى اسم (مالمو) فنقول: إنه جزيرة الفحم، ذلك بأن (مالم) معناها: فحم، و(أو) معناها: جزيرة، والمراد بالفحم هنا الفحم الحجري.

المتحف الوطني:

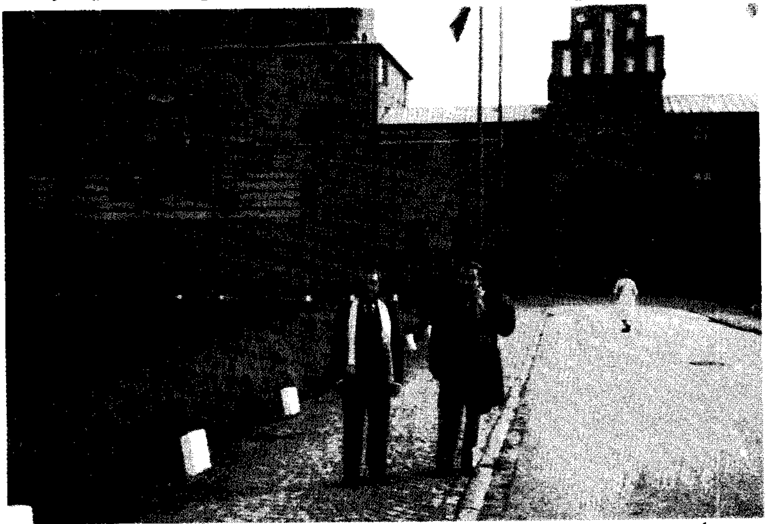
كان أول ما ذهبنا إليه المتحف الوطني في (مالمو) ولم نستطع دخوله لأنه كان مغلقاً.

ولكننا رأينا من ظاهره عجباً في هندسته، فهو مبني على طريقة هندسية لهذه البلاد قديمة، إذْ بني في عام ١٦٠٧م، أي منذ ثلاثمائة وخمس وثمانين سنة.

وذكروا أنه كان قصراً ملكياً وأن هذه المنطقة كانت عندما بني هذا القصر تحت حكم الدانيمرك، ولكن السويد انتزعتها في عهد الملك جوستاف الثالث.

وهو أحمر الطلاء ذو أبراج ضخمة مستديرة كأنها القلاع المنفردة،

ويحيط به خندق مائي لا يزال الموجود في المقدمة على حاله مليئاً بالماء.



مع الأستاذ محمد حافظ أمام مدخل المتحف الوطني في مالمو

مصنع الطائرات:

مررنا بمصنع للطائرات المروحية خاصة، أي أنه لا تصنع فيه الطائرات النفاثة، وهذه الطائرات المروحية مشهورة بجودتها رغم صغرها، وهي تكفي حاجة السويد التي يصعب التجول فيها بالسيارات عندما يستحكم الشتاء وتتراكم الثلوج، وتصدر أعداداً منها إلى الخارج.

صوامع الغلال:

ورأينا صوامع الغلال هنا كما رأيناها في أكثر المدن الساحلية السويدية؛ حيث يبنونها على طراز خاص معين، وتكون قريبة من الموانئ حتى يمكن تصدير ما يفيض عن حاجتهم من القمح إلى الخارج.

ومما يجدر ذكره أن البلاد السويدية تنتج من القمح ما يكفي البلاد، ويبقى منه ما يصدرونه.

في قلب المدينة القديمة:

وصلنا إلى ساحة صغيرة واقعة في قلب مدينة (مالمو) القديمة، ويسمونها: (ليلى توريت) بمعنى الساحة الصغيرة بالسويدية.

أرض هذه الساحة مبلطة بالحجارة الصغيرة الخشنة، وبيوتها التي تطل عليها ذات طراز غريب، إذْ أكثرها مبني من الخشب رغم كونه يتألف من أكثر من طبقة واحدة، وقد حشي الفراغ الذي في الحيطان بين أعمدة الخشب بلبن الآجر، أو قل: إنه كسي بلبن الآجر (سيان)، ولكنك ترى الأخشاب ظاهرة على هيئة مربعات وخطوط متعارضة.

وحتى الأزقة فيها فإنها ذات شكل غريب، فهي ضيقة وأكثرها غير مستقيم، مما يتماشى مع أكثر الموجود في أحياء المدن الصغيرة في ذلك الوقت.



مدخل الحوش القديم في الحي القديم في مالمو

وقد حافظوا على هذه الأبنية فمنعوا هدم هذه البيوت وتغيير طراز البيوت فيها، وهي تستحق المحافظة عليها دون شك.

ومن لطيف ما في هذه المنطقة القديمة حوش دخلنا إليه مع زقاق قصير كأنه المدخل في القصور القديمة، فوقعنا في هذا الحوش بسرعة.

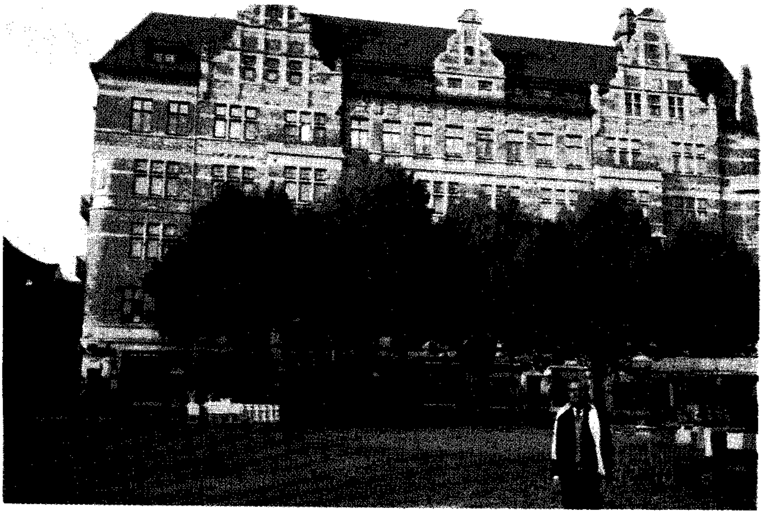
والحوش هنا ليس الحوش المعروف في نجد وغيرها من البلاد بأنه الفناء الخارجي المكشوف من البيت الذي كثيراً ما يتقدمه عند الدخول إليه، وإنما هو (الحوش) المعروف في أبنية المدينة المنورة، وهو أن يكون الحوش فيها ميداناً صغيراً على هيئة فراغ من الأرض تحيط به البيوت المتراصة، وتفتح أبوابها عليه، ويكون له مدخل عام كان يغلق أيام الخوف قبل استتباب الأمن، وقد هجر هذا النظام الآن فلا يوجد في البيوت الحديثة في المدينة.

وتحيط بهذا الحوش المالوي - على ثقل هذه النسبة - البيوت الصغيرة الغريبة الطراز الذي يفهم منه من النظر إليه في بادئ الأمر أنه طراز بيوت الفقراء ومحدودي الدخل، فهي بيوت رثة، أي مبيسبة على طراز غير متقن من الناحية الفنية فيما يبدو للنظر، وحتى صباغها فهي مطلية بلون أصفر أقرب ما يكون إلى ذوق الأفارقة في الطلاء، لا سيما إذا قرن بطراز البيوت في البناء، على بعد ما بين الأفارقة وأهل هذه المنطقة من بعد المكان والألوان، فضلاً عن التربية والتعليم.

وتطل هذه البيوت على الساحة الصغيرة التي هي صغيرة بالفعل بالنسبة إلى ما عليه الساحات في المدن المماثلة لمدينة (مالمو) في الوقت الحاضر، وإن لم تكن صغيرة في مقاييس العصر الذي أنشئت فيه؛ حيث ذكروا أن الباعة الذين يفدون إلى المدينة من البر والبحر يعرضون بضائعهم فيها.

وعلى ذكر البحر نوهوا بأن هذه الساحة لم تكن تبعد عن البحر في القديم إلا بأربعمائة متر تقريباً، وأما الآن فإنها تبعد عنه بكثير، لأنهم

ردموا الساحل الضحل على مر السنين، وزرعوه أشجاراً وأقاموا بينها بيوتاً ومنازل، وذلك ابتغاء للتوسع في الأرض، ومن أجل الوصول بميناء المدينة إلى المياه العميقة.

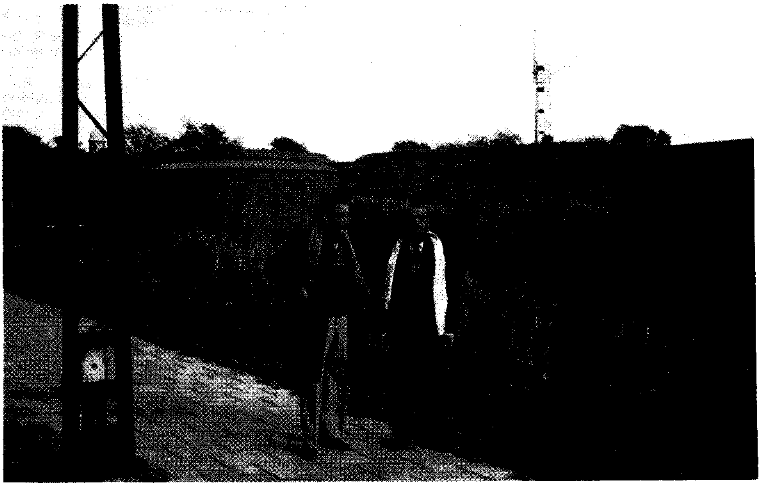


المؤلف في لقطة تذكارية أمام مبنى البلدية القديم والذي يقع في الساحة القديمة في مدينة مالمو

وتطل على هذه الساحة كنيسة خضراء البرج، ذات طراز منسجم مع الأبنية الموجودة في المنطقة القديمة، وهذا ليس بالغريب، وإنما الغريب وجود حوض لماء الشرب في هذه البلاد الباردة التي لا تمس الحاجة إلى شرب الماء فيها كما تمس إلى ذلك في البلدان الحارة.

وقد سلطوا في الوقت الحاضر صنبوراً يفتحه من يريد الماء فيشرب منه، وتبقى فضلات الماء في ذلك الحوض القديم الذي بقي كالبركة الصغيرة.

ومدينة(مالمو) لا تعتبر في عداد المدن الكبيرة رغم كونها المدينة الثالثة في السويد من حيث عدد السكان، فالأولى هي العاصمة (أستوكهولم)، والثانية (قوتن بيرق)، والثالثة: (مالمو).



مع الأستاذ محمد حافظ أمام الخندق الذي يحيط بالمتحف الوطني في مالمو

بلدة تريلي بيرق:

تركنا مالمو بعد أن ألقينا نظرة على القسم القديم الذي يستحق الاطلاع منها، والتقطنا صوراً تذكارية فيه، دون أن نطوف بضواحيها الحديثة، بل معظم المدينة الذي هو حديث الطراز، ليس فيه ما يستوقف النظر، واتجهنا جهة الجنوب إلى مدينة (تريلي بيرق) التي تبعد عن مالمو بمسافة ٣٠ كيلومتراً وهي مسافة قريبة بالنسبة إلى جودة الطرق وسهولة انسياب المرور في هذه البلاد.

وتعتبر بلدة تريلى بيرق هذه في نهاية السويد من جهة الجنوب.

عندما فارقنا ضواحي مدينة (مالمو) وقعنا في ريف أخضر معتاد، أكثر المزروعات فيه من الخضرات التي تنمو في هذا الفصل من السنة، لأن جو البلاد ألطف من الشمال وأقل منه برداً، ولاحظنا من تلك الخضرات الكرنب وهو الملفوف عند بعض العامة في البلدان العربية.

وهـذا إلى جـانب الحقـول الخضـر المعتـادة في طـول هـذه البـلاد وعرضها، ورأيت في أحد الحقول الريفية مروحة هوائية تستعمل لاستخراج الماء العذب من الأرض.

ثم ساحَلَ الطريق، أي صار يسير محاذياً لساحل البحر الذي كان على أيماننا ونحن نتجه جهة الجنوب كما قدمت.

ووصلنا إلى بلدة (تريلي بيرق) بسرعة، فقصدنا منزل أخينا رئيس الجمعية الإسلامية وهو الأخ عز العرب بن الغضب الزين، وهو لبناني من أصل كردي، جاء إلى هذه البلاد لاجئاً سياسياً عندما كانت الحرب الأهلية في لبنان على أشدها.

لم نرَ في هذه المدينة أي شيء يميزها، فهي مدينة صغيرة سويدية معتادة، شوارعها في غاية التنظيم، وأرصفتها تنافس أرض العاصمة في العناية والنظافة، وبيوتها غير متلاصقة، وأغلبها من طابق أو طابقين.

وجدنا أحد أبناء الأخ (عز العرب) موجوداً في البيت، كما وجدنا أخاً كريماً لبنانياً اسمه (عزامي كرامي)، عرفنا أنهما تعاونا على تأسيس الجمعية الإسلامية في هذه البلدة، وقد جلسنا في غرفة الاستقبال المؤثثة تأثيثاً جيداً تزينها لوحات عربية إسلامية عديدة.

ثم حضر الشيخ (عز العرب) نفسه، واكتمل حضور بعض أبنائه بحضور أربعة رجال، منهم هم محمد وسليمان وعلاء الدين ويوسف، وليسوا كل أولاد الشيخ حفظه الله وحفظهم، فإنهم كلهم من ذوي الدين والصلاح يبين ذلك على وجوههم، وذكر لنا أن بين الذين لم يحضروا رمضان، وأنه هو الذي يؤمهم في التراويح في رمضان.

وقد أخبرنا الأخ (غضب بن زين) أن عدد أولاده يبلغ (١٣) ولداً من

ذكر وأنثى، وأنهم كلهم من أم واحدة، إذْ لم يتزوج إلا زوجة واحدة.

أسرع أبناء الشيخ يحضرون الطعام، فجاؤوا به عربياً لبنانياً سخياً، كنا عشرة على المائدة، ولكن الطعام كان يكفي ٦٠ شخصاً أو أكثر من ذلك.



في بيت الخ عز العرب على الفاكهة بعد الطعام

وكان أكثر ما فيه سخاءً أنواع اللحوم، وبخاصة الدجاج المشوي والمصلوق، وأنواع الخضرات، وعلى ذكر اللحوم ذكروا لنا أن الأخ (زين) عندما جاء إلى هذه المدينة لم يكن فيها لحم حلال، أي مذبوح على الطريقة الشرعية يقيناً، فافتتح حانوتاً لبيع اللحم الحلال وغيره من المأكولات، وبخاصة الأجبان.

المسلمون في تريلي بيرق:

أسس الأخ عز العرب مع صديقه الأخ عزمي كرامي أول جمعية إسلامية في هذه البلدة وهي المركز الإسلامي في عام ١٩٦٦م .

وكان المسلمون قلة قليلة في البلدة في أول الأمر، ولكنهم زادوا، ويبلغ عددهم الآن ١٥٠ بين رجل وامرأة، من مجموع سكان البلدة الذين يبلغ عددهم (٣٨) ألف نسمة، وهذا غير القرى القريبة منها التي قد تعتبر ملحقة بها.

وقد استأجروا محلاً لجمعيتهم أسموه المركز الإسلامي، زرناه فرأيناه طابقاً أرضياً واسعاً فيه قاعة كانت أكثر من غرفة، فأزالوا الحواجز بينها، وهيأوها للصلاة، وذكروا أن عدد المصلين معهم يوم الجمعة يكون في حدود ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة.

ويدفعون أجرة لهذا المحل (٨٤) ألف كرونة سويدية في السنة، ويقارب ذلك سبعين ألف ريال سعودي.

في قسم من المحل غرفة أعدوها لتكون مدرسة ابتدؤوا التدريس فيها في وقت مبكر، وهو تدريس غير متكامل، لأنه لا يوجد عندهم المدرسون المتفرغون، ولكنه تربية يهدفون منه إلى تعريف أولاد المسلمين بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وبتعليمهم أركانه مع مبادئ اللغة العربية، وبخاصة الكتابة بالعربية.

وذكروا أن عدد الأطفال الذين يحضرون هذه المدرسة (٨٨) طالباً من الجنسين.

ورغم ضيق المحل فإنهم خصصوا غرفة للألعاب الرياضية من أجل اجتذاب الأطفال للمكان، مثل مائدة لكرة (الطاولة).

وكان من أهم ما أكدوا عليه حاجتهم إلى حافلة تنقل أولاد المسلمين في حضورهم للدراسة، قالوا: لأن المسلمين متفرقون ويصعب على الأطفال أن يحضروا بأنفسهم، فإذا وجدت سيارة تحضرهم فإن العدد

منهم الذين يدرسون في المدرسة سيكون أكثر، وقد وعدناهم بالمساعدة على ذلك من رابطة العالم الإسلامي، وأن نرسل لهم ذلك بعد عودتنا إلى المملكة.

كما استمعنا إلى ما يحتاجونه من الأمور الأخرى التي من أهمها وجود إمام متفرغ للعمل، ليؤم المسلمين، ويرشد كبارهم، ويتولى القيام بكل ما يحتاجون إليه من إفتاء وتعليم إسلامي.

وسألت الشيخ (عز العرب) عن علاقة المسلمين بجيرانهم السويديين سواء منهم من كان جاراً للمسجد أو كان جاراً ساكناً للمسلمين في دورهم، فأجاب أنهم أناس طيبون، بل هم في غاية الطيبة، وما لقينا من أحد شيئاً نكرهه.

ثم قال: هؤلاء لو قالوا لا إله إلا الله صاروا مسلمين من أطيب المسلمين.

فقلت له: إننا لا نغمط السويديين محاسنهم التي تتجلى في حسن معاملتهم للغريب عندهم، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، كما أن تسامحهم مع المسلمين، وعدم إظهار التعصب هو أمر معروف مشهور عنهم.

وأما التلفظ بالشهادة فإنها وحدها لا تكفي، فكم من شخص يتلفظ بكلمة (لا إله إلا الله) ولكنها لا تنفعه، لأنه لا يعمل بمدلولها، بل يخالف ذلك، وحتى المسلمون الذين يتلفظون بالألفاظ الإسلامية كلها لكنهم لا يحسنون التعامل مع الآخرين من غير المسلمين وفقاً لما أمر الله به ورسوله من الصدق والأمانة والقيام بالواجب ومراعاة حقوق الآخرين، سواء أكانت حقوقاً عامة أم خاصة هم مخطئون.

فهم بهذا قد نفروا من حيث يشعرون أو لا يشعرون من يريد الدخول

في الإسلام، لأن عامة الناس لا ينفذون ببصائرهم إلى حقائق الأمور حول الإسلام، وإنما ينظرون إلى أفعال المنتسبين إليه، فيستدلون بها عليه، ويحكمون بأنه غير مناسب لهم، وهذا من قصور الفهم وعدم التمعن في الأمور، ولكن سببه الأول هو أولئك القوم المنتسبون إلى الإسلام من دون أن يتمثلوا الإسلام، فيمثلوه بأفعالهم وأقوالهم ومعاملاتهم مع الآخرين.

العودة إلى مالمو:

عدنا إلى (مالمو) وقد اختلط الظلام بالضياء، وكنا نسرع في العودة لكوننا قد اتفقنا مع جمعية المركز على استئناف البحث في الموضوع الذي بدأنا به هذا الصباح في الفندق في الساعة السادسة.

وقد حضروا - بالفعل - في الموعد المحدد إلى الفندق، واستأنفنا البحث الذي استمر إلى ما بعد الساعة العاشرة، ووصلنا فيه إلى الاتفاق على عدة نقاط مهمة لا أريد أن أتحدث عنها هنا، لأنني سوف أذكر نص المحضر الذي اتفقنا عليه معهم في نهاية المباحثات، وهو يشمل جميع الموضوعات مدار البحث، ولئلا يكون في ذلك تكرار لا داعي له.

يوم الجمعة ٩/١٠/١٩٩١م

انتهاء البحث في المركز:

أصبحنا على جو شامس دفيء، إلا أن الهواء إذا هبَّ يكون بارداً رغم سطوع الشمس ودفء أشعتها، وذلك شأن هذه البلاد الشمالية الباردة.

ثم ذهبنا مبكرين إلى المركز الإسلامي حيث استكملنا البحث، واتفقنا على صياغة المحضر الذي يتضمن كل ما اتفقنا عليه ثم طبعناه ووقعناه.

وقد رأيت أن أورد نصه هنا لأن هذا أمر مهم في الحديث عن العمل الإسلامي في هذه المنطقة من بلاد السويد:

محضر اتفاق:

الحمد لله وحده،

لقد تم الاتفاق في مدينة مالمو في الفترة بين أيام: الأربعاء والخميس والجمعة الموافق ٧-٨-٩/١٠/١٩٩٢ الاجتماع بين وفد الرابطة وبين مسؤولين في المركز الإسلامي بمالمو ويمثلهم:

١- **بيزت بيكيروف**	رئيس مجلس الإدارة
٢- **مدحت إبراهيم بيجوفيش**	أمين الصندوق وعضو مؤسس
٣- **يونس لطيفي**	إمام المسجد
٤- **جمال الملاح**	سكرتير إداري
٥- **رؤوف الرصائصي**	عضو المجلس الإدارة.

وتوصل المجتمعون إلى ما يلي:

أولاً: تلتزم الرابطة بتسديد الديون الحالية على المركز والناتجة عن بعض الإصلاحات، وهي على نحو التالي:

أ- التدفئة المركزية بتكلفة ٤٥٠٠٠ كرونة.

ب- نفقات تركيب النوافذ الزجاجية للمسجد بمبلغ ٢٥٠٠٠ كرونة

جـ- نفقات للمحامي الذي قام بإثبات الخطأ في تمديدات التدفئة على الشركة التي قامت ببناء المركز (ا ي سبي في) بمبلغ وقدره ٧٥٠٠٠ كرونة.

د- نفقات المحاسب القانوني ٩٠٠٠كرونة.

هـ- رسوم لمجلس البلدية ٩٠٠٠كرونة.

يكون مجموع المبلغ ١٦٣,٠٠٠ كرونة

ثانياً: تقوم الرابطة بإيداع مبلغ ٢٠,٠٠٠ دولار في السفارة السعودية على حساب منصرفات الماء والكهرباء والتدفئة في المستقبل بحيث يتم الصرف حسب المستندات.

ثالثاً: التزمت الرابطة بتسديد قيمة أجهزة مكبرات الصوت، وذلك لعدم وجودها في المسجد حتى تاريخه بمبلغ قدره ٢٥,٠٠٠ كرونة .

رابعاً: ستقوم الرابطة بالنظر في مشروع عمل منبر للمسجد.

خامساً: تعهدت الرابطة بتكاليف عمل اللوحة بطول ٢متر وعرض ٥٠سم بالألوان يكتب عليها (**رابطة العالم الإسلامي . المركز الإسلامي بمالمو**) توضع على المركز.

سادساً: ستنظر الرابطة في تقديم مساعدة على راتب إمام المسجد.

سابعاً: ستنظر الرابطة في المستقبل في بناء السور حول المركز، والمساعدة على بناء منارة للمسجد في مرحلة لاحقة، وتأمين جهاز فاكس للمركز.

التزمت إدارة المركز بـ

ثامناً: إضافة ثلاثة أعضاء جدد إلى مجلس إدارة المركز، اثنان منهم يمثلان رابطة العالم الإسلامي، والثالث يمثل سفارة المملكة العربية السعودية في السويد، ويتم بموجب هذا الالتزام تعديل لوائح المركز بحيث تنطبق مع ما ذكر.

وعلى هذا جرى التوقيع من الجميع

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

أستاذ محمد بن محمود حافظ مدير عام إدارة المشاريع والإعانات في الرابطة

أستاذ محمد يسلم بصفر ممثل سفارة المملكة العربية السعودية بالسويد

الإمام سعيد نورتال مدير مركز الجمعيات الإسلامية بأستوكهولم

بيرزت بكيروف رئيس إدارة المركز

مدحت إبراهيم بيجوفيش أمين الصندوق

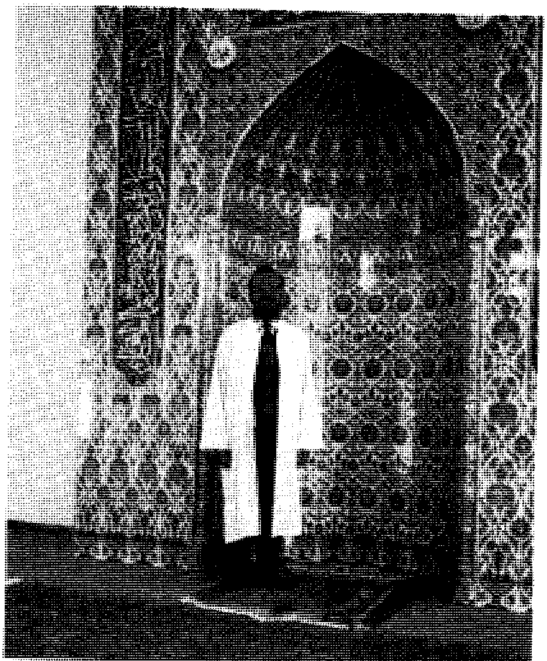
يونس لطيف إمام المسجد

جمال الملاح سكرتير إداري

رؤوف الرصائصي عضو مجلس الإدارة

جمعة مالمو:

حان وقت الذهاب إلى المسجد في الثانية عشرة، ودخلنا إلى المسجد وهو مسجد المركز، فوجدنا طائفة من الإخوة المسلمين الذين حضروا مبكرين، وأكثرهم من كبار السن، ثم صار الناس يتقاطرون زرافات ووحداناً على المسجد من جميع الأعمار، ونسبة الشبان، بل الفتيان فيهم كبيرة، حتى امتلأ الجامع بهم أو كاد.



المؤلف بالجبة البيضاء في محراب جامع مالمو

وكان حضور الأخوات المسلمات كثيفاً، ونحن لا نراهن ونحن في المسجد، لأنهن في شرفة أعلى، وإنما كانت ضوضاء أطفالهن عالية تدل على كثرة ذوات الأطفال منهن، وذلك أن العادة أن يحضر المسلمون صلاة الجمعة في بلاد الأقليات المسلمة مثل بلاد السويد وتكون معهم أسرهم، حتى يعوّدوهم على ارتياد المسجد في يوم الجمعة، وحتى يسمعوا الذكر

والموعظة، ومن اجل أن يتعرفوا على إخوتهم المسلمين الذين لا تتاح لهم فرصة اللقاء بهم إلا في مثل هذه المناسبات الدينية الحافلة.

لقد طلب مني الإمام الأخ (يونس لطيف) أن أؤم الناس لصلاة الجمعة فاعتذرت عن ذلك، وقد أذنوا أذانين كالعادة في الحرمين الشريفين، وفي أكثر الأمصار الإسلامية في الوقت الحاضر، إلا أنهم أكثروا قبل الأذان الأخير من الصلاة على النبي.

ثم خطب الإمام بالناس خطبتين، الأولى بالعربية وهي قديمة مسجوعة، والثانية باللغة الألبانية إلا أن جملاً منها كانت بالتركية.

ومما يجدر ذكره أن نسبة كبيرة من المصلين هم من أصل ألباني، وفيهم أتراك، وعدد لا بأس به من الإخوة العرب.

والمسلمون الأليان أقدم هجرة إلى مدينة مالمو من غيرهم كما سيأتي الحديث عنه في الفصل المتعلق بالمسلمين في مالمو.

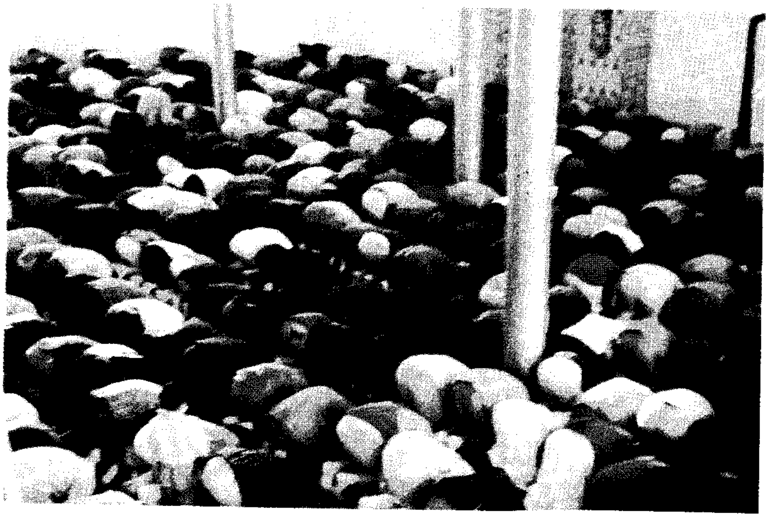
ويذكر أن الإمام يتكلم التركية والألبانية والعربية، واستعمل هذه اللغات كلها في خطبته.

وقد أعلن الإمام بالعربية وبغيرها من اللغات التي تكلم بها بأنهم سوف يصلون على جنازة أحد المسلمين بعد الصلاة، ثم أعلن لهم خبر وصولنا وقال: ربما تكلم معكم فلان بكلمة.

وقد صلى صلاة مطمئنة خاشعة، وقرأ قراءة متقنة لا أثر فيها للكنة أو عجمة.

وبعد الصلاة مباشرة نهض القوم لأداء النافلة، ولكني رأيت كثيراً منهم خرجوا من المسجد الذي هو المصلى الرئيسي، وبعضهم استمروا يتنفلون، وكان الإمام قد قال لي: إنني سأصلي عشراً ثم نصلي على

الجنازة، ولاحظت أنهم أو بعضهم يريدون بالعشر أربع ركعات يصلونها كصلاة الظهر على رأي بعض الفقهاء الذين يرون إعادة صلاة الجمعة ظهراً، ما لم يتيقن أنها واقعة بعد صلاة الإمام الأكبر للمسلمين، ثم يصلون ركعتين ركعتين.



صلاة الجمعة في المسجد الجامع في مالمو

أما نحن فقد صلينا النافلة ركعتين وجلسنا ننتظر فراغهم من هذه الركعات الطويلة التي نخشى أن يفضي الالتزام بها بصفة دائمة وعدم الإخلال بذلك إلى أن يعتقد بعض الناس وجوب أدائها، فيصد بذلك بعض الشبان وغيرهم ممن لا يرغبون أن يصلوا كل هذه الركعات بعد صلاة الجمعة.

وعندما ما فرغ آخرهم من صلاة الركعات العشر هذه، كان الجامع قد فرغ من الناس، فعجبت من ذلك وقلت للإمام: لماذا لم تحضروا الجنازة هنا بعد صلاة الجمعة مباشرة وتصلوا عليها قبل أن ينصرف الناس عن المسجد.

فقال: إنهم لم ينصرفوا، إنهم ينتظرون.

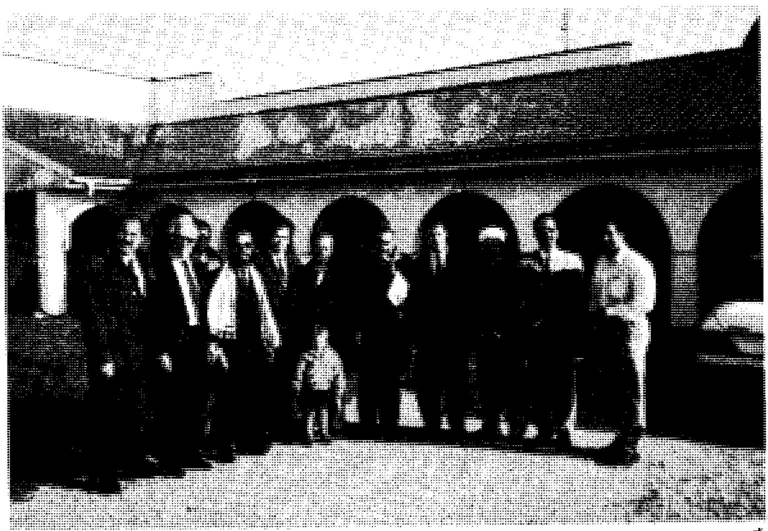
وكان ذلك بالفعل، إذْ خرجنا من المسجد الذي خلا تماماً من الناس إلى رواق خارجي، وقد وضعوا الجنازة في تابوت ثقيل حسب القانون السويدي، وصف الناس صفين طويلين خلفها.

وكان الإمام الشيخ (يونس لطيفي) قد أخبرني اليوم، وقد رأيته مشغولاً مشمراً ثيابه أنه كان يقوم بغسل هذا الميت وتكفينه وتجهيزه للصلاة.

وتبين أن أكثر المصلين الذين خرجوا من المسجد لم يغادروه، وإنما انتظروا الصلاة على الجنازة.

والميت إيراني رأيت أسرته وأقاربه من النساء قد اتشحن بالسواد وهن يبكين خلف الجنازة.

وقد صلوا على الجنازة مثل صلاتنا إلا أنها سبقها وتبعها دعاء للميت كثير.



تذكارية مع عدد من الإخوة المسلمين أمام رواق المركز الإسلامي في مالمو

وقال لي الإمام بعد الصلاة ونحن خارج المسجد: ألا تريد أن تتكلم في الناس، فنحن نستطيع أن ندعوهم لدخول المسجد ثانية؟ فقلت: لا أرى داعياً لذلك وقد ذهب قسم كبير منهم، وربما لا يستجيب للعودة إلى المسجد إلا عدد قليل.

ثم عدنا إلى قسم الإدارة في المركز، فدفعنا إلى لجنة إدارة المركز بحضور أعضائها كلهم إلا الأخ (أحمد مفتي) الذي كان خارج مالمو، ما تم الاتفاق عليه من المبالغ المالية للمصروفات اليومية المتكررة للمسجد.

غداء المركز:

انتقلنا إلى قاعة من القاعات الموجودة في المركز، وكانوا قد دعونا أمس على الغداء فاعتذرنا إليهم بأننا مدعوون من قبل.

واليوم جاؤوا بالطعام مطهياً على الطريقة الباكستانية، لأنهم قد أحضروه من المطعم الذي يملكه رئيس جمعية المسجد الأخ بيزيت، وهو يستخدم عمالاً باكستانيين، وهو من الأرز والفطائر والدجاج السمين الذي جاؤوا به بمقادير كبيرة وسلطة خضرات وفاكهة، أما الشراب فإنه الماء المعدني والأشربة الغازية، وقد حضر الغداء معنا نحو خمسة عشر شخصاً.

هل أسافر إلى باريس ؟:

تلقيت وأنا على الغداء مكالمة هاتفية من كوبنهاجن تفيد بأن الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يبحث عن هاتف يتصل من خلاله بي، ثم كلمني من جدة، ورغب إليّ أن أذهب إلى باريس في هذا المساء لتمثيل الرابطة في مؤتمر اتحاد المؤسسات الإسلامية

المقرر أن ينعقد في الساعة التاسعة من صباح غدٍ السبت.

وقال الدكتور نصيف: إنه يمكنك أن تسافر الليلة على طائرة عرفت أنها تغادر (مالمو) في السادسة فتمر بكوبنهاجن، ثم تذهب إلى باريس.

فقلت له: إن المهم هو سمة الدخول إلى فرنسا التي لا أحملها ولا يمكن الحصول عليها من مثلي في المطار إلا إذا كان معي حجز مسبق لمدة ٢٤ساعة.

فأعطاني هاتف المسؤولين عن المؤتمر، وقال: يمكنك الاتصال بهم، وإذا لم يستطيعوا أن يحصلوا لك على السمة ويضعوها في المطار هذه الليلة فاعتذر لهم.

قال: وبعد انتهاء المؤتمر المذكور تستطيع أن تعود وتواصل سفرك في إسكندنافيا.

وقد هاتفتهم بالفعل فذكروا أنه من الصعب عليهم الحصول لي على السمة، وخاصة أن مساء الجمعة يسفر بعده عن يوم السبت الذي هو يوم عطلة.

وكفى الله المؤمنين هذا المؤتمر.

ثم ودعنا أهل مركز (مالمو) بحرارة، وكذلك من حضر معهم من الإخوة المسلمين الذين رأينا بعضهم لأول مرة في المسجد، إذْ جاؤوا لصلاة الجمعة، والتقطنا صوراً تذكارية مع الجميع.

مدرسة روضة النخيل:

غادرنا المركز إلى ضاحية من ضواحي (مالمو) لرؤية مقر لمدرسة

يريد الأخ يوسف العمري، وهو طالب سعودي يدرس في (مالمو)، أن ينشئها، وذلك لكونه لا توجد مدرسة للأطفال الصغار من أولاد المسلمين، فرأى مع بعض الإخوة ضرورة فتح روضة لأطفال المسلمين يمكن تعليمهم المبادئ الإسلامية فيها، وتلافي إرسالهم إلى رياض الأطفال التي يشرف عليها غير المسلمين.

ولم يبدؤوا الدراسة، بل لم يكملوا الاستعداد لذلك ما عدا استئجار المقر الذي رأيناه طابقاً أرضياً متسعاً.

ويقع مقر المدرسة في ضاحية من ضواحي مالمو التي يسكنها عدد كبير من المسلمين، وخاصة الجالية الصومالية والإرتيرية، وهذه المدرسة قام بتأسيسها الأخ يوسف العمري الذي يدرس الطب.

والمدرسة تقع في أسفل مبنى واسع ليس بعده مبانٍ، وإنما تشرف على منطقة واسعة من الحقول والمزارع، وأفادنا الأخوان يوسف وأخوه بأنهما يهتمان بالمحافظة على تعليم أطفال المسلمين القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية طبقاً لمناهج المملكة، فإن لديهم أسماء ٨٠ طالباً سجلت أسماؤهم، وتتراوح أعمارهم بين سن ٥- ٧ سنوات للدراسة في المدرسة بعد افتتاحها، وستكون الدراسة عندما تبدأ صباحية ومسائية ولكامل الأسبوع من يوم الإثنين وحتى يوم الجمعة، وعدد العاملين في المدرسة سيكون في حدود ٩ أشخاص، وقد قمنا بزيارة هذه المدرسة وتفقد الصالات والغرف التابعة لها.

ومما يجدر ذكره أن الأخ فهد هو شقيق الأخ يوسف، ولكنه أنهى دراسته وسيغادر للمملكة.

وإن من احتياجاتهم تزويدهم بالمنهاج الدراسي السعودي وبالدعم

المالي، وبآلة كاتبة عربية، وبجزء عم وجزء تبارك.

وهم يخططون لاستيعاب ٥٠٠ طفل، والمكان مستأجر بأربعة عشر ألف كرونة شهرياً، وقد رأينا تقديم مساعدة للمدرسة عندما تبدأ نشاطها الدراسي؛ حيث لم يبدأ بعد.

المسلمون في مالمو:

يجدر بنا قبل أن نغادر (مالمو) أن نذكر نبذة مختصرة عن المسلمين فيها.

بعد عام ١٩٦٠م وصل عدد من المسلمين ويعتبرون من أوائل المسلمين الذين وصلوا إلى (مالمو) في العصر الحديث، ونقول في العصر الحديث، لأنه من المتبادر للذهن الذي وجدناه مستفيضاً عند الناس في هذه المنطقة أن أعداداً من المسلمين من التجار كانوا قد وصلوا في العصور القديمة إلى سواحل بحر الشمال التي هي منطقة (مالمو) وما حولها، وكذلك في العصور الوسيطة، ويستدلون على ذلك بأدلة عامة، منها أن المسلمين وصلوا في تعاملهم التجاري إلى إسكندنافيا عن طريقين، الأول شرقي عن طريق روسيا ولتوانيا عندما كان جنوب روسيا وإن كانت لا توجد لهم مؤسسات كالمساجد والجمعيات في ذلك الوقت شمالاً وغرباً وجنوباً محكوماً من مملكة مسلمة عظيمة هي مملكة(التون أورده)، وقد أثبت المؤرخون أن هناك صلة قائمة بين هاتين المنطقتين المتجاورتين، ويستدلون على ذلك بوجود عدد من المسلمين القدماء من التتار في (أستوكهولم) والطريق الثاني: طريق غربي وهو طريق غرب أوروبا عن طريق الدانمارك وبريطانيا ويستدلون على ذلك بوفرة المخلفات الإسلامية هنا ومنها آلاف من قطع النقود والعملات الإسلامية.

ونحن إنما نذكر في كتابنا هذا الذي هو كتاب رحلة ومشاهدات ما رأيناه أو كان متصلاً بما رأيناه مما سمعناه.

وبعد ذلك قدمت أعداد من المسلمين إلى منطقة (مالمو) من يوغسلاقيا والمغرب وتركيا وكانوا عمالاً مرغوباً فيهم في ذلك الوقت عندما كان الاقتصاد هنا مزدهراً يتطلب المزيد من العمال ولكن كان مجيئهم مؤقتاً وكانت هناك بلاد أوروبية أخرى أقوى أقتصادياً من السويد كألمانيا ترحب بهم لذلك لم يستقروا هنا ولم يبنوا مسجداً أو يؤسسوا جمعية إسلامية. وذلك رغم كثرة عددهم في وقت من الأوقات.

ثم حدثت فترة تراخ في قدوم المسلمين إلى أن حل العقد الثامن من هذا القرن (الثمانينات) فبدأ قدوم المسلمين من طالبي اللجوء السياسي.

حتى بلغ عدد المسلمين في مدينة (مالمو) وحدها عشرين ألف نسمة وهذا عدد المسلمين المسجلين لدى دائرة الهجرة الحكومية من مجموع عدد المسلمين في السويد كلها المسجلين لدى الحكومة وهو (١٢٠) ألف نسمة ويؤكد الجميع من عامة المسلمين ومن العاملين في الحكومة أن هذا العدد ليس هو كل المسلمين في السويد في الحقيقة وإنما هو عدد المسجلين رسمياً في دوائر الحكومة وهناك مسلمون كثير لم يتم تسجيلهم حتى الآن إما لكون طريقة دخولهم إلى البلاد لا تكفي لتسجيلهم أو لكونهم في الطريق إلى ذلك.

كما أن آلافاً من المسلمين الذين طلبوا اللجوء السياسي قد سمحت السلطات الرسمية لهم بالدخول ولكنهم لا يعتبرون حتى الآن مسجلين تسجيلاً رسمياً.

وهذا العدد الكبير نسبياً من المسلمين في السويد يجعل الدين

الإسلامي هو الدين الثاني في السويد بعد المسيحية.

ويلاحظ أن السلطات السويدية لا تسجل الناس على أساس أديانهم وإنما على أساس جنسياتهم القومية السابقة ولكن من المعروف أن أجناساً من الناس مثل الصوماليين والأتراك كلهم من المسلمين وأجناساً أخرى أغلبهم من المسلمين مثل العرب والألبانيين والاريتيريين.

وقد جد عنصر إسلامي جديد هم أخواننا أهل البوسنة والهرسك وقد وصلت أعداد منهم حتى الآن وتفرقوا في مدن السويد ولم تتم إجراءات منحهم حق اللجوء السياسي رسمياً حتى الآن لأن ذلك يستغرق في العادة ما بين سنة ونصف إلى سنتين تمنح الحكومة لطالبي اللجوء السياسي أثناء ذلك المأوى والمأكل والملبس إلى أن يبت في أمرهم بالقبول أو بالرفض.

أما عن المسلمين من أهل البلاد الخلص وهو السويديون فيقولون: إنهم موجودون ولكن أعدادهم قليلة، ويضربون المثل على ذلك بالأخ الدكتور أحمد مفتي عضو مجلس الإدارة لمركز مالمو فهو أستاذ جامعي من أسرة سويدية عريقة، بل هي عريقة أيضاً في التدين بالنصرانية إذ كان منها في القديم عدد من رجال الدين المسيحي.

ويقول إخواننا المسلمون إن النساء السويديات أكثر دخولاً في الإسلام من الرجال، حتى إنهم يحصون نحو خمسين امرأة أسلمت من السويديين أهل البلاد الأصلاء.

وتوجد في مالمو عدة جمعيات إسلامية صغيرة ولكن لا يوجد فيها مسجد كامل متكامل غير مسجد مركز (مالمو) هذا ولا تقام صلاة الجمعة في غيره من أماكن الصلاة في المدينة.

وبهذا أنهينا الكلام عن مشاهداتنا في مدينة (مالمو) والمعلومات

المتصلة بها المتعلقة بأحوال الأخوة المسلمين.

وبذلك أيضاً ننهي الكلام على رحلة (جنوب الشمال بلاد السويد) إذ سنغادر إلى مدينة (أوسلو) عاصمة مملكة النرويج وبذلك نبدأ الحديث في الكتاب الأخر عن اسكندنافيا وهو كتاب : ((**إلى شمال الشمال : بلاد النرويج وفنلندا**)) ونسأل الله تعالى التوفيق إلى حسن المآل.

الفهرس